﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

الإصلاح

العدد (47)

لا يُصلحُ آخِرَ هذهِ الأمَّة إلاّ ما أصلحَ أوّلَـها

مجلة جامعة تصدر عن دار الفضيلة للنشر والتوزيع

السنة التاسعة .العدد السابع والأربعون: رمضان/شوال 1436هـ الموافق لـ جويلية/أوت 2015م

نجوم ورجوم

آلعـامية أم الفصحى؟!

تعظيم القـــرآن

أ. د.عبد الرزاق البدر

البركة مع أكابركم

عبد الغني عوسات

فتاوى في الأضحية

أ. د. محمد علي فركوس

لصوص العـقـول

توفيق عمروني

السعر: 200دج رقم الإيداع القانوني: 3623. 2006 ISSN: 1112. 6825



فضل أصحاب الحديث للحافظ المقدسي / دراسة وتحقيق د. جمال عزون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدُه ونَسْتَعِينُه ونَسْتَغْفِرُه، ونعوذُ باللهِ مِنْ شرورِ أنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له.

وأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب].

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وأحسنَ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمورِ مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وكُلَّ ضَلاَلَةٍ في النَّارِ.

■■■





مجلة جامعة تصدر عن دار الفضيلة للنشر والتوزيع



عنوان المجلة:
دار الفضيلة للنشر والتوزيع
التعاونية العقارية (الإصلاحات) ـ قطعة (44) عين النعجة ـ الجزائر
الهاتف والفاكس: 38 56 57 (023)
(النقال): 92 99 06 (0559)
التوزيع (جوال): 08 53 62 (0661)
البريد الإلكتروني:
darelfadhila@hotmail.com
الموقع على الشبكة العنكبوتية:
www.rayatalislah.com



مدير المجلة

نجوم ورجوم

يُشبَّهُ العلماءُ بالنُّجوم؛ والنُّجُوم يُهتَدى بهَا في ظُلمات البر والبَحْر، وكذَلكَ العُلمَاء يَهتَدي بهم النَّاسُ في ظُلمات الجَهل والغيِّ، وكما أنَّ النُّجومَ زينةٌ للسَّماء، فالعُلماء زينةٌ للأرض؛ وكمَا أنَّ النُّجوم جُعلت رجومًا للشَّياطين تحُول بَينَهُم وبين استراق السَّمع من السَّماء، وكذلكَ العلمَاء رجومٌ لشياطين الإنس الَّذين يُوحي بَعضُهم إلى بعض زُخرفَ القَوْل غرُورًا؛ فَالعُلَماء رجومٌ لهَذَا الصِّنْف منَ الشَّيَاطين.

فوظيفةُ العُلماء لا تقتَصر على عَرض الحقِّ وتبليغه، بل من صَميم وظيفتهم الذَّبُّ عن الحقِّ وردُّ الباطل ودفعُ كلِّ مَن يُحاول أن يلبِّس على النَّاس أمرَ دينهم، وقد قصَرَ الحديثُ المشهور ـ على اختلاف في ثبوته ـ عملَ العُلماء على ذلك: «يحملُ هذَا العلمَ من كُلِّ خلَف عُدُولُه، يَنْفُون عنْهُ تحريفَ الغَالين، وانتحَالَ المُبطلين، وتأويلَ الجَاهلين».

لهذا انبَرى العلماءُ قديمًا وحديثًا للآراء الباطلة، والأقيسَة الفاسدَة، والمذاهب المنحرفَة واتَّفقوا على نفيها وذمِّها، والتَّحذير منها ومن أصحابها، وصنَّفوا في ذلكَ المصنَّفات نصحًا للأمَّة وأداءً للأمانة، وامتلأت المكتَبةُ الإسلاميَّة بكتب الرُّدود، وأضحَى بيانُ الحقِّ والجادَّة في باب الاعتقاد على طريقتَيْن معلومتَيْن: طريقة العَرض، وطريقة الرَّدِّ.

فتصدَّى العلماءُ لرجْم كلِّ فكر دخيل، وإرسال شُهُب الحقِّ على أهل التَّحريف والتَّبديل، لا يُفزعهم أمرُ الباطل ولا كثرةُ أهله ووسائله، بل يدكُّون حصونَه ويدحضون شُبهاته، ولا يقومون عنه إلاَّ مزهوقًا مغلوبًا من غير تلكُّؤ ولا هوادَة، ولا بحث عن أنصاف الحلول بدعوى الوسطيَّة والسَّماحة؛ فالحقُّ أَرفَع من أن يُساوَى بالباطل أو أن يُناصفَه.

وانظُر لَمَّا سيطَرت الطُّرق الصُّوفيَّة على قُطرنا أيَّامَ الاستعمار رفَع العلاَّمةُ الإبراهيمي شعارَ: «لا صوفيَّة في الإسلام»، ولَمَّا اجتاح العالمَ العربيَّ موجةُ القَوميَّة والاشتراكيَّة، كتب الإمامُ ابنُ باز كتابَه «نقد القوميَّة العربيَّة في ضوء الإسلام والواقع»، وصنَّف العلامة ابن عثيمين رسالته «أربعون دليلا في إبطال الاشتراكيَّة»، خلافًا لمَن لم يكن يملكُ نفَسَ العُلماء، ولا سائرًا على سَنَنهم، فراحَ يبحثُ عن القواسم المشتَركة بين الإسلام وبين هذه المذاهب الفاسدة، وكتب بعضُهم «اشتراكيةَ عُمر بن الخطاب»، وآخر «اشتراكيَّة الإسلام» ونحوهما؛ ومثله مَن راح يلفِّقُ بينَ مذهبَيْ الشِّيعة والسُّنَّة ويدعو إلى فكرة التَّقريب بينهما، وأشنع منه من تبنَّى فكرة التَّقريب بينَ الأديان؛ فهذا كلُّه مناقضٌ لصَنيع العُلماء الَّذين ردُّوا بالكلمات الصَّريحة، والقواعد الصَّحيحة؛ ولولاهُم ـ كما قال ابنُ القيِّم ـ: «لطُمسَت معالمُ الدِّين بتَلبيس المضلِّين، ولكنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أقامَهُم حرَّاسًا وحفَظةً لدينِه، ورجومًا لأعدائه وأعداءِ رسُله، فهَذَا وجهُ تشبيههم بالنُّجوم».

محتويات

العدد السابع والأربعون ـ السنة التاسعة:
رمضان ـ شوال 1436 / جويلية ـ أوت 2015

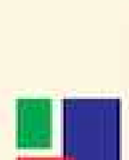




آ العامية أم الفصحى؟



4



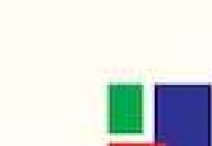
البركة مع أكابركم



25



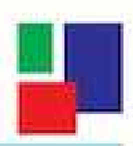
غلاف العدد السابق











قواعد النشر في المجلة

- أن تكون الموضوعات مطابقة لخطة المجلة، وموافقة لمنهجها.
- أن يكون المقال متسمًا بالأصالة والاعتدال.
- أن يحرَّر المقال بأسلوب يحقق الغرض، ولغة بعيدة عن التكلف والتعقيد.
- الدقة في التوثيق والتخريج مع الاختصار.
- أن تكون الكتابة على الكمبيوتر، أو بخطٍّ واضح مقروء؛ وعلى وجه واحد من الورقة.
- ألا يزيد المقال على خمس صفحات.
- أن يذكر صاحب المقال اسمه الكامل وعنوانه ورقم هاتفه، ودرجته العلمية إن وجدت.
- المقالات أو البحوث التي لا تنشر لا تردُّ لأصحابها.

المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير:

دار الفضيلة للنشر والتوزيع

التعاونية العقارية (الإصلاحات) ـ قطعة (44)

عين النعجة ـ الجزائر

الفاكس: 38 56 57 (023)

البريد الإلكتروني:

darelfadhila@hotmail.com

سعر النسخة: (200 دج)

الاشتراك السنوي للأفراد: (1200 دج)

الاشتراك السنوي للمؤسسات: (1500 دج)



الطليعة

العاميّة أم الفصحى؟!

التحرير

إنَّ موضوع الدَّعوة إلى إحلال العامِّيَّة محلَّ العربيَّة الفصحى في الأطوار الأولى من مراحل التعليم الابتدائي، قد أثار حفيظةَ كلِّ صاحب نخوةٍ يعتزُّ بدينه ولغته، فجُرِّدت الأقلام في الصُّحف، والألسُن عبر القنوات والإذاعات، وتداعى الجميع إلى إبطال هذا الاقتراح الَّذي لا يستحقُّ غير الاطِّراح، فهو مشروع تغريبيٌّ استعمَاري لا يخدُم سوى أعداء أمَّتنا؛ يسعى لوأدِ أحدِ ثوابتِ الأمَّة ومقوِّماتِ شخصيَّتها، ولن يجنيَ أبناؤنا منه غيرَ الجهلِ والبُعدِ عن الهويَّة والدِّين، فبالتَّالي هي دعوةٌ آثمةٌ أفَّاكةٌ ترمي إلى تمييع لسانِ الأمَّة ومسخه ليُقفل عليها فهمُ كتاب ربِّها وسنَّة نبيِّها ﷺ، وأيُّ خيرٍ يُرجى بعد ذلك إذا حيلَ بين النَّاس وبينَ دينهم، وأيُّ عزٍّ يُؤمل لقوم إذا ذلَّت لغتُهم.

إنَّ علماء الأمَّة الجزائريَّة الأبرار على رأسهم الشَّيخان ابنُ باديس والإبراهيمي ـ رحمهما الله ـ لَمَّا أدركوا أنَّ من أكبر أهداف فرنسا المستَعمِرة محاولةَ مسخ اللِّسانِ العَربي في هذا البلد واستبداله باللِّسان الفرنسي، رفعوا شعارَهم الصَّارخ المدوِّي في وجه فرنسا، راسمين به طريقَ الخلاصِ منها: «الإسلَامُ دينُنَا، والعَرَبيَّةُ لُغَتُنَا، والجزَائرُ وَطَنُنَا».

ولم يُثنِهم عن نشر التَّعليم العربي تضييقُ المستَعمر ومحاربتُه، ولا الجهل الذي كان ضاربًا بأطنابه في ربوع هذا الوطن وعقول أبنائه، قال الإبراهيمي في كلمة صريحة: «وليَقَع الاستعمارُ أو ليَطِرْ! فإنَّنا نتَعلَّمُ لغتَنا وديننَا، ولو في سَمِّ الخياطِ، أو على مثلِ حدِّ الصِّراط»[1] فبمثل هذه العزيمة الَّتي لا تفلُّ، بارك الله في جهودهم وظهرت آثارُ تعليمهم، فتفتَّقت القرائح على أجمل القصائد، وصدَحَت البلابل بأعذب الكلام، وحوفظ على اللُّغة العربيَّة في هذا البلد، قال ابن باديس في خطبة مشهورة يوم أن رأى بعضَ نتائج تلك الجهود المبرورة من سنة (1356هـ/1937م): «حُوربَت فيكُم العُروبةُ حتَّى ظُنَّ أن قَد ماتَ منكُم عِرقُها، ومُسِخ فيكُم نطقُها، فجئتُم بعد قَرنٍ تصدَحُ بلابلُكم بأشعَارها، فتُثير الشُّعورَ والمشَاعر، وتهدر خطباؤُكم بشقَاشقها فتَدُكُّ الحصونَ والمعاقلَ، ويهزُّ كتَّابُكم أقلامَها فتُصيب الكُلَى والمفَاصل»[2]؛ إلاَّ أنَّ أذناب المستَعمر وبقاياه من المستَلبين والتَّغريبيِّين يسوؤهم أن يروا هذه اللُّغَة باقيةً عزيزةً في وطنها، مستقيمةً بها ألسنةُ أبنائها؛ فيحُولون في كلِّ مرَّة دون التَّعريب، ويقفون حجرَ عثرة في وجهه، ويتصايحون عند كلِّ انتصار للعربيَّة، ويعملون على الظُّهور بمظهر التَّعالي على المعرَّبين، وما دعوتهم هذه لإحلال العاميَّة محلَّ الفصحى إلا واحدة من معاركهم التي يخوضونها في سبيل غرضٍ خسيس وهدف شنيع، وهو إضعاف اللُّغة العربيَّة ليسهُل عليهم بعد ذلك الإجهاز عليها وإقصاؤها.

ألا فليعلم هؤلاء أنَّ هذه الأمَّة لا يصلح لها أن تغيِّر لسانَها؛ لأنَّه قبيحٌ بأمَّة أكرمَها الله بأجمل لغة وأكمل دين وأشرف كتاب نزل بأحرُف هذه اللُّغة أن تتركَ لسانَها وتهملَه، «فينبغي أن نفهَمَ نحنُ ويفهمَ أبناؤُنا أنَّ اللُّغَة العَربيَّةَ هي رأسُ المالِ الَّذي

(1) «آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي» (3/ 227)
(2) «آثار ابن باديس» (3/ 555)

تجبُ المحافظةُ عليه، وأنَّ اللُّغات الأجنبيَّةَ هي ربحٌ فَلا تُعطَى منَ العناية، ولا منَ الوقت إلَّا ما لا يُزاحمُ لغتَنَا الأصيلةَ، ولا يبتليها بالضَّعف، ولا يمسُّ قُدسيَّتَها عندَنا»[3]، وقال الشيخ ابن باديس: «وإذا كنَّا نصرفُ أكثَر جُهدِنا للتَّعليم العَربي فذَلكَ؛ لأنَّ العربيَّةَ هي لُغَة الدِّين الَّذي هُو أساسُ حياتنا ومنبَعُ سعادَتنا»[4].

ومن زعم أنَّه يستعصي على التِّلميذ والطَّالب فهمُ العربيَّة الفُصحى، ويحسُن بنا أن نُبقيه على لغته العاميَّة الَّتي ألفَها في بيتِ والدَيْه؛ فندعوه إلى أن يتأمَّل في تجربة عالم نحرير محنَّك في طُرق التَّربية وأساليب التَّعليم وهو الشَّيخ البَشير الإبراهيمي يرويها بنفسه فيقول: «ولقَد بدأتُ دروسي ومحاضَراتي في تلمسان بالعربيَّة الفُصحَى، وأخَذْتُ نفسي بذلكَ أخذًا أصلُ فيه إلى درجَة الإغراب أحيانًا، وكان لي من وراء ذلكَ الالتزام غرَضَان:

أحدُهُما: إقامةُ الدَّليل للمُتعَلِّمين باللُّغات الأجنبيَّة على أنَّ الفُصحَى لا تعيَا بحَمْل المَعاني مهمَا تنوَّعَت وعَلَت، وأنَّها تَبُذُّ[5] اللُّغات في ميْدَان التَّعبير عن الحقَائق والخيالاتِ والخواطِر والتَّصوُّرات، وقَد بلغتُ من هذَا الغَرَض ما أُريد.

والغَرضُ الثَّاني: أن أُحْدثَ في نفُوس العامَّة المحبِّين للعلم والدِّين أسَفًا يقضُّ مضاجعَهُم، فيَدْعُهُم إلى تدارُك ما فاتَهُم منهَا في أبنائهم.

وكنتُ أرى من عامَّة السَّامعين حُسنَ إصغاء يُنبئُ باهتمام عميق، فأتأوَّلُه على أنَّه تأثُّرٌ بالآيات والأحاديث الَّتي يكثُر تَردَادُها في الدَّرس مُنزَّلَةً على ما سيقَت لهُ. والتَّأثُّر بكلام الله وكَلام رسوله طبيعيٌّ في المسلم،. وكَم كنتُ أخشَى أن يَنْفَضُّوا من حولي يومًا لعَدَم فهْم ما يسمَعُون لولا أنَّني آوي إلى ركنٍ شديدٍ من كلام الله ورسولِه.

وما زلنَا على هذَا حتَّى فعَلَ المرانُ فعْلَه، وأصبَحُوا يفهَمُون ويذُوقُون ويخرُجُون وهُم يتدَارَسُون.

وقَد رجعتُ إلى العاميَّة في بعض الدُّروس فاستَهجنُوها ونبَتْ عنها أذواقُهم، وإنِّي لا أدري لمَاذَا لا نعجَب للعامِّي يتعلَّمُ الفرنسيَّةَ بالسَّماع، ونَعْجَبُ. بل لا نكادُ نصَدِّقُ. له أن يتعَلَّم العربيَّةَ بالسَّماع، مع أنَّ العربيَّةَ أقربُ إلى عاميَّته وفطرته وروحه.

وبلغَني عن حاضِري محاضَرات الأخ العُقبي في هذا النَّادي ما هُو من هذَا القَبيل، ولقَد سمعتُ بأُذُني من واحد منهم في طريقي إلى (الحرَّاش)، وقَد وقفَ بنا القطار في بعض مواقفه، فسمعْنَا رجُلًا يسأَلُ سؤالًا غير مشروع، فقال له صاحبُنا بالعاميَّة: «ما تقْرَاش سُورة الأنعام!؟»؛ اقرَأ قولَه تعالى: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا﴾ [الأنعام: 14] الآية، وتلاها بلَهْجَة صحيحَة ثمَّ تبيَّن لي من حديثي معَه أنَّه عاميٌّ وأنَّه واع لما يسمَع متَأثِّرٌ به».

ثمَّ قال: «إنَّ مَجلى العبرَة في هذا الحديث أنَّ جمعيَّةَ العُلماء إن استطاعت أن تكوِّنَ جمهُورًا علميًّا يفهَمُ العربيَّةَ الفُصحى بالسَّماع كما يفهَمُ الفرنسيَّة بالسَّماع، فقَد استطاعت أن تأتي بأعجوبة الدَّهر، وأن تفتَح للعلم طريقًا غيرَ طريق الكتَابة، وأن تُعيدَ للعَربيَّة مُعجزَتَها الأُولى وهي تَفتُّق الأُمِّيَّة عن الحكمَة في العَرب»[6].

وإذا كان هذا في زمن الاستعمار يوم أن أُحيط بالأمَّة من كلِّ جانب لتَترك لغتَها العربيَّة الفُصحى؛ فكيف اليوم وقد أنعمَ الله علينا بالتَّخلُّص من هذا العدوِّ الخارجي؛ وأتيحَ للنَّاس من الوسائل والمناهج الشَّيء الوفير الَّذي لم يكن يومئذ، ما يسمحُ لنا بالوصول إلى أهدافنا في تعميم اللُّغة العربية الفُصحى على الألسنة والأقلام، وتيسير تعلُّمها في كلِّ مرحلة وفي كلِّ مكان؛ فعيبٌ كبيرٌ إذًا أن يكون في أبناء هذه الأمَّة ـ الَّتي بذلت الغالي والنَّفيس لاسترجاع حقِّها المسلوب ـ مَن يروِّجُ لمثل هذه الدَّعوة السَّافلة القَبيحة، العارية من الحجَّة والبُرهان، البعيدَة عن العلم والبَيان، وإنَّها تُصيب الأمَّة في مقتل؛ وإنَّ المُصرَّ على مثل هذه الدعوات المسيئة حقُّه أن يصنَّف في قائمة «خطر على الأمَّة» ويلزم أخذ الحذَر والحيطة من مكائدهم؛ فهم يتربصون بهذه اللغة ويتحينون الفرص للانقضاض عليها، وعزاؤنا في المضطَهدين للُغة الضَّاد والمناوئينَ لها أن نقول لهم ما قاله الشَّيخ ابن باديس لأعدائها في زمانه: «أمَّا الَّذين يُحاربونَ العَربيَّةَ؛ فهُم يُفرِّقُون ويُشوِّشُون فسَيَنْدَمُون، وتنتَشر العَربيَّةُ بقوَّة الحقِّ والفطرة وهُم كارهُون»[7]، كما أنَّه حريٌّ بنا أن نتمثَّل وصيَّته رحمه الله التي أوصى بها تلامذته وأوصانا بها معهم وأن نغرسها في نفوس ناشئتنا وأبنائنا، وهي قوله: «أطلب منكم شيئًا واحدًا وهو أن تموتوا على الإسلام والقرآن، ولغة الإسلام والقرآن»[8].

والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

---

(3) «آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي» (5/ 265)

(4) «آثار ابن باديس» (3/ 257)

(5) العَرَبُ تَقُولُ: «بَذَّ فُلَانٌ فُلَانًا يَبُذُّه بَذًّا» إذا ما علاهُ وفاقَهُ في حُسْنٍ أو عمَلٍ كائنًا ما كانَ. [«لسان العرب» (3 /477)].

(6) «آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي» (1/ 149 ـ 150).

(7) «آثار ابن باديس» (3/ 257)

(8) «آثار ابن باديس» (2/ 144)

تَعْظِيمُ القُرآن

أ.د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر
المدرس بالمسجد النبوي- المدينة النبوية

لقد أنزل الله كتابه المبين على عباده هـدى ورحمـة، وضيـاء ونـورًا، وبشرى وذكرى للذَّاكريـن، وجعله مباركًا وهدى للعالمين، وجعل فيه شفـاء من الأسقام، وجعلـه يهـدي للَّتي هـي أقـوم، وصرَّف فيـه من الآيات والوعيـد لعلَّهم يتَّقُون أو يُحدث لهم ذكرًا.

قـال الله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: 92]، وقـال تعـالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [سورة الأنعام]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الأعراف]، وقـال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة النحل]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة ص]، وقـال تعـالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [سورة الإسراء]، وقـال تعـالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الإسراء]، وقـال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة ق].

فالواجـبُ علينـا أن نعظِّـم هـذا الكتـاب، وأن نعـرفَ له مكانتـه وقدرَه، وأن تُعمر قلوبُنا بتعظيمه، وهذه وقفةٌ في بيان بعض الجوانب العظيمة في تعظيم القرآن:

إنَّ مـن تعظيم القُـرآن: أن نستَشعر عظمـةَ مَـن تكلَّم به جـلَّ في عُـلاه، وأنَّ هـذا القُرآن هو كلام ربِّ العالمين وخالق الخَلْـق أجمعين، قـال الله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [سورة السجدة]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [سورة الشعراء]، والآيـات في هـذا المعنـى كثيرة، فيجبُ علينـا أن نستَشعر هـذه العَظمـة للقُـرآن الكَريم بعَظمـة وجلال وكمال مَن أنزله جلَّ في عُلاه.

وإنَّ من التَّعظيـم للقرآن: أن نعتَقد أنَّه أعظـم الكَلام وأفضَلـه وأجلُّه على الإطـلاق، لا كانَ ولا يكـون في الـكَلام مثلـه ولا قريبًـا منه، والفَـرق بينَ كلام الله وكلام خلقـه كالفَـرق بينَـه وبـيَن خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى]، وكذلكَ ليسَ كمثل كلامه كلام، قال أبو عبد الرَّحمن السُّلَمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَضْلُ القُـرْآنِ عَلَى سَائِرِ الكَلامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ».

وإنَّ مـن تعظيـم القـرآن: أن نعمُـر قلوبَنـا بمَحَبَّـة القُرآن؛ فـإنَّ محبَّته من محبَّـة مَـن تكلَّم به جلَّ شأنُـه، قال عبد الله بـن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَـنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَـمَ أَنَّـهُ يُحِـبُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَعْرِضْ نَفْسَهُ عَلَى القُرْآنِ، فَإِنْ أَحَبَّ القُرْآنَ فَهُوَ يُحِبُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّمَـا القُرْآنُ كَلامُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ»[1].

وإنَّ مـن التَّعظيم للقـرآن: أن نعتَقد كمـالَ القُـرآن، وأنَّه لا نقص فيه بوجه منَ الوجـوه، وأنَّه سالمٌ مـنَ الاضطراب أو التَّعارض أو التَّناقض، قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

(1) «أمالي ابن سمعون» (171)

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ﴾ [البقرة: 2]، وقال ﷻ: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة النساء]، وقال سبحانه: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة فصلت].

وإنَّ مـن التَّعظيم للقُـرآن: أن نتلقاه كلَّه بالقَبول، وأن لا يُردَّ شيءٌ مِنَ القرآن، فإنَّ مَـن ردَّ شيئًا منَ القُـرآن فإنَّما يُردُّ علـى مَن تكلَّم به جـلَّ في عُلاه، قال عبدُ الله بـن مسعُود رضي الله عنه: «القُـرْآنُ كَلامُ اللهِ ﷻ، فَمَـنْ رَدَّ مِنْـهُ شَيْئًـا فَإِنَّما يَرُدُّ عَلَى اللهِ ﷻ».

وإنَّ مـنَ التَّعظيم للقـرآن: أن يُحذَر أشـدَّ الحَذر مـنَ الاستهـزاء بشيءٍ من آياتـه أو الانتقاص لشيءٍ من مضامينه؛ فإنَّ هذا كفرٌ بالله جلَّ في عُلاه، قال اللهُ ﷻ: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [سورة التوبة].

وإنَّ مـن التَّعظيم للقُـرآن: أن نعتقد شمولَـه ووفـاءه بجميـع المطالـب، وأنَّه اشتمَل على بيان كلِّ ما يحتاج إليه العباد من مصالحهـم الدِّينيَّة والأُخرويَّة، قال الله تعـالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل: 89]، فهـو كتـابٌ قد استَوفى جميـعَ حاجات العباد ومطالبهـم، ففيه أكمَـل العقائد وأعظم الآداب وأكمـل العبـادات، وقَـد استَوفى جميعَ الحاجات والمطالب.

وإنَّ من التَّعظيم للقرآن: أن ننتَصر للقرآن، وأن نكونَ أنصارًا للقُرآن، ذابِّين عنـه مُدافعين عن حمـاه، كلٌّ بحسب ما آتاه اللهُ ﷻ من قُدرةٍ وبيان.

وإنَّ مـنَ التَّعظيم للقُـرآن: أن نحذر أشـدَّ الحَذر من هجر القُـرآن، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الفرقان]، وقَد بـيَّن العلماءُ أنَّ هجر القُـرآن يكونُ بهجـر التِّـلاوة، ويكـونُ بهجـر التَّدبُّـر والتَّأمُّل، ويكونُ بهجر العَمل، فإنَّ القُرآن إنَّما أُنزل ليُعمل به.

وإنَّ مِن التَّعظيم للقُرآن: أن نجاهد أنفسَنـا علـى تـلاوةِ هـذا الكتـاب حقَّ التِّـلاوة، قـال اللهُ ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [البقرة: 121]، ومعنى ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ كما بـيَّن العلماء: بالجمع بـين القراءة، وحُسن الفَهم للمعـاني، والعَمل بدلالات القُرآن وهداياته العَظيمة.

ومـن التَّعظيـم للقُـرآن: الرِّضـى بحكمِـه والخضـوع لمـا جـاء بـه وعدم معارضتـه بـكلام البَشـر لا في قليل ولا كثير، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة الأحزاب].

ومـن التَّعظيـم للقـرآن: أن يقصد تاليـه وحافظُه بذلك وجـهَ اللهِ لا الرِّياء والسُّمعَـة والشُّهرة، فـإنَّ أوَّل مَن تسعَّر بهـم النَّـار يوم القيامة رجـل قَرأ القُرآن «ليُقَـالَ هُـو قَـارِئٌ»، ولا يتـأكَّل به كمَن يقـرأ القُرآن في الطُّرقـات وفي الأسواق لأجل ذلكَ فلا يُصغـي إليه أحدٌ ويبتَذل القـرآن، ففـي التِّرمـذي (2917) عـن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَلْيَسْأَلِ اللهَ بِـه، فَإِنَّـهُ سَيَجِـيءُ أَقْـوَامٌ يَقْرَءُونَ القُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ».

ومن التعظيم للقـرآن: أن لا يُعَرَّضَ لعـدوٍّ يمتهنُـه أو زنديق ينـال منه، ففي «صحيح مسلم» (1869) عن رسُول الله ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ يَنْهَـى أَنْ يُسَافَرَ بِالقُرْآنِ إِلى أَرْضِ العَدُوِّ مَخَافَةَ أَنْ يَنَالَهُ العَدُوُّ».

وإنَّ من التَّعظيم للقُرآن: أن لا يقرَأه المرءُ وهـو جُنُب[2]، وأن لا يمسَّ القُرآن إلاَّ طاهـر، لعموم قـول الله تعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [سورة الواقعة]، ولقـول النَّبـيِّ ﷺ في كتابـه لعَمْرو ابن حَزم: «لا يَمَسَّ القُرْآنَ إلاَّ طَاهِرٌ».

وإنَّ مـنَ التَّعظيـم للقُـرآن: أن لا يعرَّض القـرآنُ لشـيءٍ مـنَ الامتهان؛ فلا تُمـدُّ الأرجُـل إليـه، ولا يُتَّـكأُ عليه، ولا يُتوسَّـد، ولا يُلقـى في الأرض ويُطرح ونحـو ذلـك، فإنَّ مـنَ التَّعظيـم للقُرآن أن يتجنَّبَ المرءُ ذلـك كلَّه وأن يحذَر من ذلكَ أشدَّ الحذَر.

وإنَّ منَ التَّعظيم للقرآن: أن يحرصَ تاليـه على نقاء فمه وطهارتـه وهُو يقرأ كلامَ الله، روى ابـنُ ماجـة (291) عن علـيٍّ رضي الله عنه قـال: «إِنَّ أَفْوَاهَكُـمْ طُرُقٌ لِلقُرْآنِ؛ فَطَيِّبُوهَا بِالسِّوَاك»[3].

أسـألُ اللهَ العظيـمَ ربَّ العَرشِ العَظيم بأسمائه الحُسنى وصفاته العليا أن يمـنَّ علينَا أجمعـين بتَعظيم القُرآن، وأن يجعلَنـا من أهل القُـرآن الَّذين هُم أهله وخاصَّته.

---

(2) «ضعيف الجامع الصغير» (1401).





«المحدَّثون»

روايـةً ودرايـةً

د. رضا بوشامة

أستاذ بكلية العلوم الإسلامية ـ الجزائر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ».



هذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم ـ كما سيأتي ـ وهو من الأحاديث الَّتي انتقدها عليهما الإمام الدَّارقطني في كتابه «التَّتبُّع» (ص165 ـ 168)، فقال رحمه الله: «وأخرج البخاري عن يحيى ابن قزعة وعن الأويسي، عن إبراهيم ابن سعد، عن أبيه، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «كَانَ فِي الأُمَمِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ» قال البخاري: وزاد زكريَّا عن سعد، عن أبي هريرة: «مِن غَيرِ أَن يَكُونُوا أَنبِيَاءَ»؛ وتابعهما سليمان الهاشمي وأبو مروان العثماني.

وخالفهم ابنُ وهب، فرواه عن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن أبي سلمة، عن عائشة رضي الله عنها.

وأخرج مسلم حديث ابنِ وهب هذا دون غيره عن إبراهيم.

ورواه ابنُ الهاد ويعقوب وسعد ابنا إبراهيم وأبو صالح كاتبُ اللَّيث وغيرُهم، عن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن أبي سلمة قال: بلغني أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال زكريَّا: عن سعد، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة علَّقه البُخاري.

وقال محمَّد بن عجلان: عن سَعد، عن أبي سَلمة، عن عائشة، أخرجه مسلم».

■ تفصيل الكلام على الحديث من ناحية الإسناد:

الحديث ورد من ثلاثة طُرُق، عن أبي هريرة، وعائشة، وأبي سلَمة مرسلاً.

❶ طريق أبي هريرة رضي الله عنه:

يرويه عنه أبو سلمة بن عبد الرَّحمن، وعن أبي سَلمة ثلاثةُ رواة: سعد بن إبراهيم الزُّهري، وزكريا ابن أبي زائدة، ومحمَّد بن عمرو ابن علقمة.

طريق سعد بن إبراهيم الزهري:

يرويه عنه ابنه إبراهيم بن سعد:

1. أخرجه البخاري في «صحيحه» (3689) من طريق يحيى بن قزعة.
2. وأخرجه أيضًا البخاري (3469) عن عبد العزيز الأويسي.

وتابعهما:

3. سليمان بن داود الهاشمي، عند النَّسائي في «الكبرى» (8066).
4. وأبو داود الطَّيالسي في «مسنده» (2469)، ومن طريقه أبو عوانة في «المُستَخرَج» (10571)، وأبو نعيم في «معرفة الصَّحابة» (1/50)، واللاَّلَكائي في «كرامات الأولياء» (ص93).
5. فزارة بن عمر، عند أحمد في «المسند» (8468).
6. يونس بن محمد عند أبي عوانة في «المستخرج» (10571)، ومحمَّد ابن

عبد الواحد في «مجلس رؤية الله تبارك وتعالى» (ص244).

7. يَسَرة بن صفوان، عند أبي عوانة في «المستخرج» (10572).

8. يعقوب بن حُميد، عند ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (ص583).

9. أبو مروان محمَّد بن عثمان عند القطيعي في «زياداته على فضائل الصَّحابة لأحمد» (361/1)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (94/44).

10. أبو مصعب الزُّهري، عند العقيلي في «الضُّعفاء» (339/2).

11. إبراهيم بن حمزة الزُّبَيري، عند البغوي في «شرح السُّنَّة» (3766).

12. الحسين بن سيار الحرَّاني، عند ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (94/44).

13. إبراهيم بن الحسن القرشي، عند ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (94/44).

14. عبد الله بنُ وهب. من رواية ابن أخيه أحمد ابن عبد الله بن وهب. عند الطَّحاوي في «شرح المشكل» (1650).

وخالف ابنَ أخي ابن وهب، أحمدُ ابن عمرو بن السَّرح، فرواه، عن ابن وهب المصري، عن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن أبي سلمة، عن عائشة، أخرجه مسلم عنه، وسيأتي ذكره في طرق عائشة.

والصَّواب عن ابن وهب ما رواه أحمد بن عمرو ابن السَّرح، خلافًا لما رواه عنه ابن أخيه، وابن أخي ابن وهب مُختَلَفٌ فيه، وأنكرَت عليه أحاديثُ رواها عن عمِّه عبد الله بن وهب، وصحَّ رجوعُه عنها.

انظر: «تهذيب الكمال» (387/1)، «تهذيب التَّهذيب» (47/1).

وقال ابنُ عبد البرِّ في حديث خالف فيه ابنُ أخي ابن وهب الرُّواة عن عمِّه: «وابن أخي ابن وهب عندهم ليس بالقويِّ قد تكلَّموا فيه، ولم يَروه حجَّةً فيما انفرد به»، انظر: «الإنصاف» (ص203 - 204).

فعلى هذا؛ فالثَّابت عن ابن وهب روايةُ أحمد بن عمرو كما في «صحيح مسلم»، وبالتَّالي فابنُ وهب خالف ثلاثةَ عشر راويًا عن إبراهيم بن سعد، وابن وهب ثقةٌ حافظٌ، ثمَّ إنَّه لم ينفرد بالرِّواية عن إبراهيم بن سعد، بل تابعه عليها ابنُ الهاد كما سيأتي ذكرُه في الطُّرق عن عائشة.

طريق زكريَّا بن أبي زائدة:

اختُلِفَ عليه كما قال الدَّارقطني.

فرواه داود بن عبد الحميد، ومحمَّد ابن إبراهيم بن رجاء، عن زكريَّا بن أبي زائدة، عن سعد، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

ذكر ذلك الدَّارقطني في «العلل» (313/9).

قلتُ: ورواية داود بن عبد الحميد (ووقع في «تغليق التَّعليق»: عبد المجيد) وصلها ابنُ حجر في «التَّغليق» (64/4) من طريق الإسماعيلي.

ثمَّ قال الدَّارقطني: «وخالفهما إسحاق الأزرق، فرواه عن زكريَّا، عن سعد، عن أبي سلمة مرسلاً».

قلتُ: ذكر ابنُ حجر في «التَّغليق» أنَّ أبا نُعَيم استخرجه من طريق إسحاق الأزرق، عن زكريَّا، عن سعد، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة موصولاً.

فالَّذي يظهر أنَّ الصَّوابَ في رواية زكريَّا الوصل، والله أعلم.

طريق محمَّد بن عمرو:

رواه مؤمَّل بن إسماعيل، عن يحيى القطَّان، عن محمَّد بنِ عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

ذكره الدَّارقطني وقال: «فوَهِمَ عليه في إسناده وهمًا قبيحًا، وإنَّما رواه يحيى، عن ابن عجلان، عن سعد، عن أبي سلمة، عن عائشة رضي الله عنها»، «العلل» (315/9).

قلتُ: وهذه الطَّريق أخرجها الإمام أحمد (24285)، والفسوي في «المعرفة» (457/1) عن يحيى، عن ابن عجلان به.

فمن هذا كلِّه يظهرُ أنَّ الصَّوابَ في حديث أبي هريرة رواية إبراهيم ابن سعد، عن أبيه.

ورواية زكريَّا بن أبي زائدة، كلاهما عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

وخالفهما في الرِّواية عن أبي سلمة جمعٌ من الرُّواة، فرَوَوه عنه، عن عائشة لا عن أبي هريرة.

❷ طريق عائشة رضي الله عنها:

رُوِيَ من عدَّة طُرُق عن سعد ابن إبراهيم، عن أبي سلمة، عنها.

1. محمَّد بن عجلان، عند مسلم في «صحيحه» (2398)، وغيره.

2. إبراهيم بن سعد. من رواية:

أ. عبد الله بن وهب. عند مسلم أيضًا.

ب. ابن الهاد، عند الطَّحاوي في «شرح المُشكِل» (1652)، والحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص220) من طريق شُعَيب بنِ اللَّيث، عن اللَّيث، عن ابن الهاد به.

إلاَّ أنَّ الدَّارقطني ذكر أنَّ ابنَ الهاد يرويه عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي سلمة مُرسَلاً.

لكنَّ الإسنادَ إلى ابنِ الهاد ـ للوجه الموصول ـ ثابت إليه بالإسناد الصَّحيح.

3 ـ عبد الله بن سالم، عن الزُّبيدي، عن سعد، ذكره الحافظ في «النُّكت الظِّراف» (349/12).

4 ـ عبد الله بن زياد بن سمعان، عند العقيلي في «الضُّعفاء» (339/2) موقوفًا على عائشة، لكنَّ ابنَ سمعان متروكُ الحديث، ثمَّ خالف الرُّواةَ فوقَفَه ولم يَرفعه، لذا قال العُقَيلي بعد إخراجه من طريق أبي هريرة: «وهذا أولى».

فالَّذي يظهر أنَّ الحديثَ كان عند أبي سلمة على الوجهَين، عن أبي هريرة، وعن عائشة، فحدَّث به سعدًا على ذلك، ثمَّ إنَّ سعدًا حدَّث به على الوجهَين، وسمعه منه ابنه على الوجهَين أيضًا.

3 **أمَّا طريق الإرسال:**

ذكر الدَّارقطني أنَّ جماعةً رَوَوه عن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن أبي سلمة مرسلاً؛ منهم: ابن الهاد ويعقوب وسعد أبناء إبراهيم وأبو صالح كاتب اللَّيث وغيرهم.

ولم أقف من الرِّوايات الَّتي ذكرها الدَّارقطني إلاَّ على رواية يعقوب، أخرجها أحمد في «المسند» (8469)، ثمَّ إنَّ روايةَ ابن الهاد جاءت موصولةً كما تقدَّم.

والرَّاجح: الوصل على الإرسال لتتابع خمسةَ عشر راويًا على روايته عن إبراهيم موصولاً، منهم أربعةَ عشر جعلوه من مسند أبي هريرة، وراويان من مسند عائشة، والوجهان الأخيران صحيحان.

■ **فقه الحديث وفوائده:**

ـ محدَّثون: المُحدَّث بفتح الدَّال وتشديدها، كمحمَّد.

واختُلف في تفسيره ومعناه:

ـ أنَّهُمُ المُلهَمُون، ورد عن عبد الله ابن وهب كما في رواية مسلم (2398).

والمُلهَم هُوَ الَّذي يُلقَى في نفسه الشَّيءُ فيُخبر به حَدسًا وفراسةً، وَهُوَ نَوعٌ يَختَصُّ به اللهُ عَجَلَّ مَن يَشَاءُ من عبَاده الَّذينَ اصطَفَى؛ كأنَّهم حُدِّثوا بشَيءٍ فَقَالُوهُ.

وقيل: تكلِّمهم المَلائكَة، لقوله في طريق زكريَّا بن أبي زائدة عند البخاري (3689): «يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبيَاءَ».

ونقل القاضي عن البُخَاري في تَفسير مُحدَّثين أي: يجري على ألسنتهم الصَّوَابُ.

وَقيل: هيَ الإصَابَةُ من غير نُبوَّة.

وقَالَ ابن قُتَيبَة: «يصيبون إذا ظنُّوا وحدسوا يُقَال فيه مُحدَّث، أي كَأنَّهُ لإصابته كَأنَّهُ حُدِّث بذلك»[1].

قال الباجي المالكي: «يُريدُ ﷺ ـ والله أعلم ـ مَن يُلقَى في رُوعه الشَّيءُ وَيُلهَمُ إلَيه حَتَّى كَأنَّهُ يُخبَرُ به فَلاَ يُخطئُ ظَنُّهُ»[2].

ويؤيِّده ما جاء عن النَّبيِّ ﷺ من وجوه أنَّه قال: «إنَّ اللهَ جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وقَلبِه»[3].

❑❑❑

وقولُه ﷺ: **«وَإنْ يَكُ فِي أُمَّتي»**

قال ابنُ حجر: «قيلَ لَم يُورِدْ هَذَا القَولَ مَوردَ التَّرديد؛ فَإنَّ أُمَّتَهُ أَفضَلُ الأُمَم، وإذَا ثَبَتَ أَنَّ ذَلكَ وُجدَ في غَيرهم فَإمكَانُ وُجُوده فيهم أَولى، وإنَّمَا أَورَدَهُ مَوردَ التَّأكيد كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ: إن يَكُن لي صَديقٌ فَإنَّهُ فُلان، يُريدُ اختصَاصَهُ بكَمَال الصَّدَاقَة لا نَفيَ الأَصدقَاء...

وقيلَ الحكمَةُ فيه: أَنَّ وُجُودَهُم في بَني إسرَائيلَ كَانَ قد تَحَقَّقَ وُقُوعُهُ، وسَبَبُ ذَلكَ احتيَاجُهُم حَيثُ لا يَكُونُ حينَئذ فيهم نَبيٌّ، وَاحتَمَلَ عندَهُ ﷺ أَن لاَ تَحتَاجَ هَذه الأُمَّةُ إلى ذَلكَ لاستغنَائهَا بالقُرآن عَن حُدُوث نَبيٍّ، وقد وَقَعَ الأَمرُ كَذَلكَ حَتَّى إنَّ المُحَدَّثَ منهُم إذَا تَحَقَّقَ وُجُودُهُ لا يَحكُمُ بمَا وَقَعَ لَهُ بَل لابدَّ لَهُ من عَرضه عَلَى القُرآن، فَإن وَافَقَهُ أَو وَافَقَ السُّنَّةَ عَمل به وَإلاَّ تَرَكَهُ، وهَذَا وَإن جَازَ أَن يَقَعَ لَكنَّهُ نَادرٌ ممَّن يَكُونُ أَمرُهُ منهُم مَبنيًّا عَلَى اتِّبَاع الكتَاب والسُّنَّة، وتَمَحَّضَت الحكمَةُ في وُجُودهم وَكَثرَتهم بَعدَ العَصر الأَوَّل في زيَادَة شَرَف هَذه الأُمَّة بوُجُود أَمثَالهم فيه.

وَقَد تَكُونُ الحكمَةُ في تَكثيرهم مُضَاهَاةَ بَني إسرَائيلَ في كَثرَة الأَنبيَاء فيهم، فَلَمَّا فَاتَ هَذه الأُمَّةَ كَثرَةُ الأَنبيَاء فيهَا لكَون نَبيِّهَا خَاتَمَ الأَنبيَاء عُوِّضُوا بكَثرَة المُلهَمينَ»[4].

❑ **والسَّبَبُ في تَخصيص عُمَرَ بالذِّكر** لكَثرَة مَا وَقَعَ لَهُ في زَمَن النَّبيِّ ﷺ منَ المُوَافَقَات الَّتي نَزَلَ القُرآنُ مُطَابقًا لَهَا وَوَقَعَ لَهُ بَعدَ النَّبيِّ ﷺ عدَّةُ إصَابَات، وكلُّ هذا يدلُّ على مَنقَبة عظيمة لعمر بن الخطَّاب رضي الله عنه والكرامات الَّتي خصَّه الله تعالى بها، فسدَّده وألهمَه وأبعد عنه الشَّيطان كما ورد في «الصَّحيحَين» من حديث سعد

(1) انظر: «مشارق الأنوار» (183/1)، «النِّهاية في غريب الحديث» (350/1)، «تاج العروس» (210/5 ـ حدث).
(2) «المُنتقَى» (421/4).
(3) أخرجه التِّرمذي (3682)، وأحمد في «المسند» (5145)، وفي «فضائل الصَّحابة» (250/1)، وابن سعد في «الطَّبقات» (255/2)، والفسوي في «المعرفة والتَّاريخ» (467/1) وغيرهم من طرق عن نافع عن ابن عمر به، وقال التِّرمذي: «حسن غريب»، وفي «التُّحفة» (94/6): «حسنٌ صحيحٌ غريبٌ».
والحديث صحيحٌ بمجموع طُرقه.

(4) «فتح الباري» (387/8 ـ 388).

ابن أبـي وقَّاص ﵁: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إيهًا يَا ابنَ الخَطَّاب، وَالَّذي نَفسي بيَده مَا لَقيَكَ الشَّـيطَانُ سَالكًا فَجًّا قَطُّ، إلاَّ سَلَكَ فَجًّا غيرَ فَجِّكَ»(5).

وكان عمر ﵁ يعرف من نفسه أنَّ اللهَ يُوفِّقُه ويُلهِمُه للحقِّ والصَّواب، فقد قال بعد أن ذكر بعضَ الموافقات له: «... وَقلَّما تَكلَّمتُ - وأَحمَدُ الله - بكَلام، إلاَّ رَجَوتُ أن يَكُونَ اللهُ يُصَدِّقُ قَولِيَ الَّذي أَقُولُ»(6).

□□□

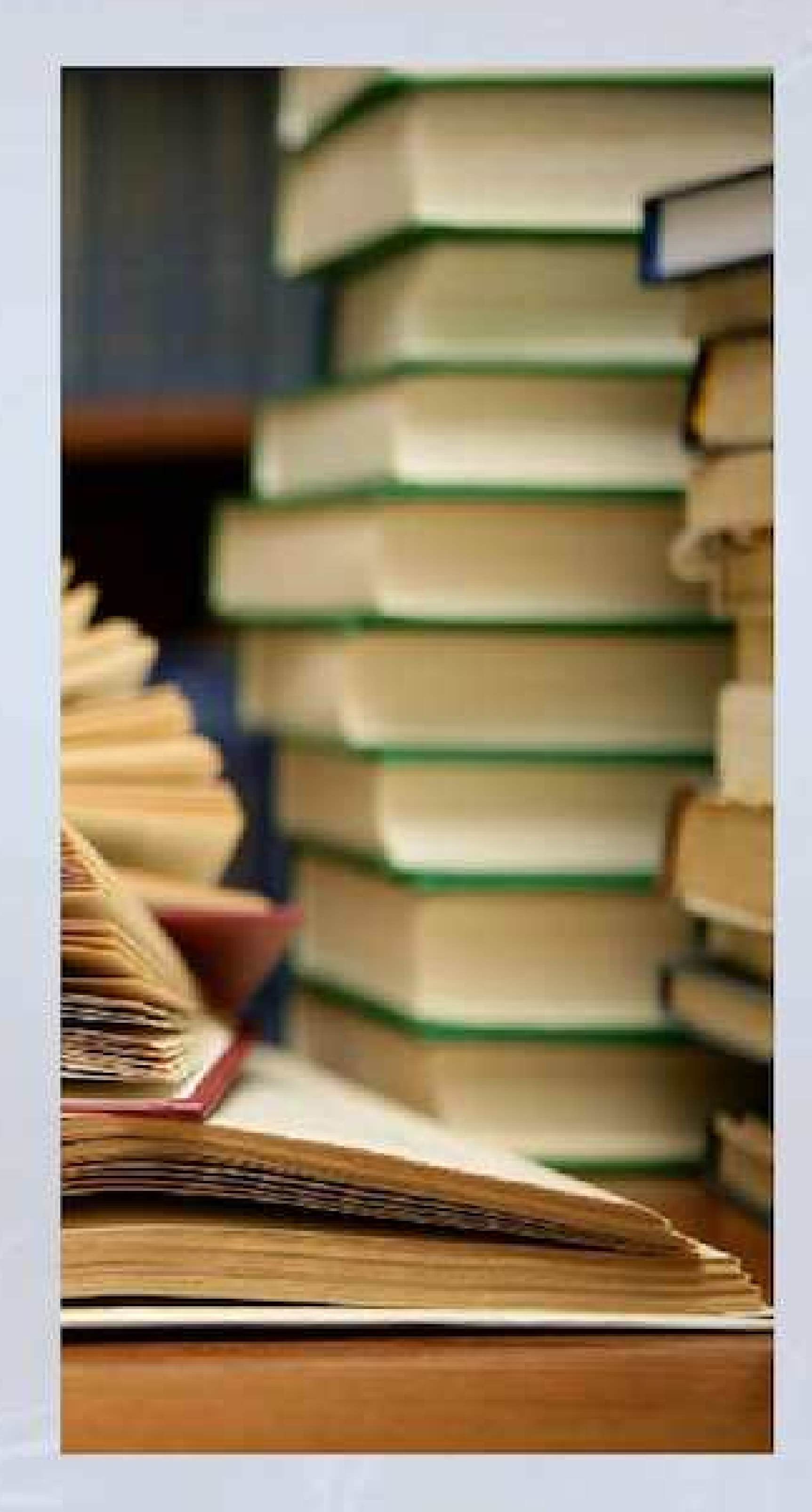
وقد ورد في كُتُبِ السُّنَّة موافقاتٌ كثيرةٌ لعمر، منها ما ثبت عنه في «الصَّحيحَيْن» وغيرهما، ومنها ما ورد بسند فيه ضعف:

□ **الموافقة الأولى:** إشارته للنَّبيِّ ﷺ بأن يتَّخذ مقامَ إبراهيم مصلًّى.

□ **والثَّانية:** إشارته بأن يأمر أزواجَه بالحجاب.

□ **والثَّالثة:** قولُه لنساء النَّبيِّ ﷺ: «إنْ طلَّقَكنَّ سَيبَدِّلُه اللهُ أزواجًا خيرًا منكُنَّ».

وهذه الثَّلاث مجموعةٌ فيما رواه البخاري (402) عَن أَنَس بن مَالك، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّاب ﵁: «وَافَقتُ رَبِّي في ثَلاث: فَقُلتُ يَا رَسُولَ الله، لَو اتَّخذنَا من مَقَام إبرَاهيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125] وَآيَةُ الحجَاب، قُلتُ: يَا رَسُولَ الله، لَو أَمَرتَ نسَاءَكَ أن يَحتَجبنَ؛ فَإنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ وَالفَاجرُ، فَنَزَلَت آيَةُ الحجَاب(7)، وَاجتَمَعَ نسَاءُ



النَّبيِّ ﷺ في الغَيرَة عَلَيه، فَقُلتُ لَهُنَّ: «عَسَى رَبُّهُ إن طَلَّقَكُنَّ أن يُبَدِّلَهُ أزوَاجًا خَيرًا منكُنَّ»، فَنَزَلَت هَذه الآيَةُ»(8).

□ **الموافقة الرَّابعة:** وقوفُه مع النَّبيِّ ﷺ لمَّا شقَّ عليه الأمرُ من نسائه واجتمعن عليه في الغَيْرَة.

روى مسلم في خبر تطليق النَّبيِّ ﷺ لنسائه دخول عمر بن الخطَّاب عليه فقال: «فَقُلتُ: يَا رَسُولَ الله، مَا يَشُقُّ عَلَيكَ من شَأن النِّسَاء؟ فَإن كُنتَ طَلَّقتَهُنَّ، فَإنَّ اللهَ مَعَكَ، وَمَلائكَتَهُ، وَجبريلَ، وَميكَائيلَ، وَأَنَا، وَأَبُو بَكر، وَالمُؤمنُونَ مَعَكَ، وَقَلَّمَا تَكَلَّمتُ - وَأَحمَدُ اللهَ - بكَلام، إلاَّ رَجَوتُ أن يَكُونَ اللهُ يُصَدِّقُ قَولِي الَّذي أَقُولُ، وَنَزَلَت هَذه الآيَةُ آيَةُ التَّخيير: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: 5]، ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة التحريم]»(9).

فالآية الأولى نزلت موافقةً لعمر في وعظه لأمَّهات المؤمنين، والآية الثَّانية نزلت موافقةً في وقوفه مع النَّبيِّ ﷺ ونُصرَته له خاصَّةً في أمر ابنته حفصة، ولمَّا استأذن في الدُّخول عليه قال: فَنَادَيتُ: يَا رَبَاحُ، استَأذن لي عندَكَ عَلى رَسُول الله ﷺ، فَنَظَرَ رَبَاحٌ إلى الغُرفَة، ثُمَّ نَظَرَ إليَّ، فَلَم يَقُل شَيئًا، ثُمَّ قُلتُ: يَا رَبَاحُ، استَأذن لي عندَكَ عَلَى رَسُول الله ﷺ، فَنَظَرَ رَبَاحٌ إلى الغُرفَة، ثُمَّ نَظَرَ إليَّ، فَلَم يَقُل شَيئًا، ثُمَّ رَفَعتُ صَوتي، فَقُلتُ: يَا رَبَاحُ، استَأذن لي عندَكَ عَلَى رَسُول الله ﷺ، فَإنِّي أَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ظَنَّ أَنِّي جئتُ من أَجل حَفصَةَ، وَالله، لَئن أَمَرَني رَسُولُ الله ﷺ بضَرب عُنُقهَا، لأَضربَنَّ عُنُقَهَا، وَرَفَعتُ صَوتي، فَأَومَأَ إليَّ أَن ارقَه...» الحديث.

□ **الموافقة الخامسة:** في معاتبة الله تعالى للنَّبيِّ ﷺ لمَّا أخذ برأي الصِّدِّيق في أخذ الفداء من أُسارى بدر ولم يَأخذ برأي عمر في قتلهم.

روى مسلم في «صحيحه» (2399) عن ابن عُمَرَ، قالَ: قالَ عُمَرُ: «وَافَقتُ رَبِّي في ثَلاث، في مَقَام إبرَاهيمَ، وَفي الحجَاب، وَفي أُسَارَى بَدر».

وجاء تفصيلُ ذلك عند مسلم (1763) في وقعة بدر من حديث عبد الله ابن عبَّاس أنَّه قال: «فَلَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَى، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأبي بكر وَعُمَرَ: «مَا تَرَونَ في هَؤُلاء الأُسَارَى؟» فقال أبو بكر:

---

(5) البخاري (3683)، مسلم (2396)، واللَّفظ للبخاري.

(6) مسلم (1479).

(7) وهي قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ = وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾.

(8) وهي قوله سبحانه: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾.

(9) مسلم (1479).

يَا نَبِيَّ اللهِ، هُم بَنُو العَمِّ وَالعَشِيرَة، أَرَى أَن تَأْخُذَ منهُم فِديَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الكُفَّار، فَعَسَى اللهُ أَن يَهدِيَهُم للإسلام، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا تَرَى يَا ابنَ الخَطَّابِ؟» قُلتُ: لا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَن تُمَكِّنَّا فَنَضرِبَ أَعنَاقَهُم، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِن عَقِيلٍ فَيَضرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِن فُلانٍ نَسِيبًا لعُمَرَ، فَأَضرِبَ عُنُقَهُ؛ فَإِنَّ هَؤُلاءِ أَئِمَّةُ الكُفرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكرٍ، وَلَم يَهوَ مَا قُلتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ جِئتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكرٍ قَاعِدَينِ يَبكِيَانِ، قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخبِرنِي مِن أَيِّ شَيءٍ تَبكِي أَنتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِن وَجَدتُ بُكَاءً بَكَيتُ، وَإِن لَم أَجِد بُكَاءً تَبَاكَيتُ لِبُكَائِكُمَا، فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَبكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصحَابُكَ مِن أَخذِهِمِ الفِدَاءَ، لَقَد عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُم أَدنَى مِن هَذِهِ الشَّجَرَةِ - شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ من نَبِيِّ اللهِ ﷺ -» وَأَنزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأنفال: 67]...»[10].

□ **الموافقة السَّادسة:** إشارتُه على النَّبيِّ ﷺ بعدم الصَّلاة على عبد الله ابن أُبيِّ بن سلول رأس المنافقين.

روى البخاري عَن ابنِ عَبَّاس، عَن عُمَرَ بن الخَطَّاب رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: «لَمَّا مَاتَ عَبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلُولَ، دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيهِ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَثَبتُ إِلَيهِ، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتُصَلِّي عَلَى ابنِ أُبَيٍّ، وَقَد قَالَ يَومَ كَذَا: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: أُعَدِّدُ عَلَيهِ قَولَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وقال: «أَخِّر عَنِّي يَا عُمَرُ» فَلَمَّا أَكثَرتُ عَلَيهِ قَالَ: «إِنِّي خُيِّرتُ فَاختَرتُ، لَو أَعلَمُ أَنِّي إِن زِدتُ عَلَى السَّبعِينَ يُغفَر لَهُ لَزِدتُ عَلَيهَا» قَالَ: فَصَلَّى عَلَيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ انصَرَفَ، فَلَم يَمكُث إِلَّا يَسِيرًا، حَتَّى نَزَلَتِ الآيَتَانِ مِن بَرَاءَةَ: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨٤ ﴾ [سورة التوبة] قال: فَعَجِبتُ بَعدُ مِن جُرأَتِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمُ»[11].

وعن عبد الله، قال: «لَمَّا تُوُفِّيَ عَبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ، جَاءَ ابنُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعطِنِي قَمِيصَكَ أُكَفِّنهُ فِيهِ وَصَلِّ عَلَيهِ، وَاستَغفِر لَهُ، فَأَعطَاهُ قَمِيصَهُ، وَقَالَ: «إِذَا فَرَغتَ مِنهُ فَآذِنَّا» فَلَمَّا فَرَغَ آذَنَهُ بِهِ، فَجَاءَ لِيُصَلِّيَ عَلَيهِ، فَجَذَبَهُ عُمَرُ فَقَالَ: أَلَيسَ قَد نَهَاكَ اللهُ أَن تُصَلِّيَ عَلَى المُنَافِقِينَ، فَقَالَ: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [التوبة: 80] فَنَزَلَت: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓ ﴾ [التوبة: 84] فَتَرَكَ الصَّلاةَ عَلَيهِم»[12].

□ **الموافقة السَّابعة:** ما أخرجه أبو داود الطَّيالسي في «المسند» (41) عن حمَّاد بن سلمة عن علي بن زيد، عن أنس قال: قال عمر رضي الله عنه: «وافَقتُ ربِّي في أربع... ونزلت هذه الآية: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ﴾، فلمَّا نزلت قلت أنا: تبارك اللهُ أحسنُ الخالقين، فنزلت: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ﴾ [سورة المؤمنون]».

وفي سنده عليُّ بنُ زيد بنِ جُدعَان وهو ضعيفٌ.

وأصلُ الحديث في «صحيح البخاري» كما تقدَّم (402، 4483، 4790) من حديث حُمَيد الطَّويل عن أنس، وفي كلِّها الموافقة بالثَّلاثة الأُوَل فقط وليس فيها هذه الموافقة الَّتي ذكرها ابنُ جدعان.

وقد وردت هذه الموافقة من حديث ابنِ عبَّاس عند الطَّبراني في «الكبير» (12244)، و«الأوسط» (5662)، وقال الطَّبراني: لَم يَروِ هَذَا الحَدِيثَ عَن سَالِم بن عَجلانَ الأَفطَس، إِلاَّ رَبَاحُ ابنُ أَبِي مَعرُوف، تَفَرَّدَ بِهِ بِشرُ بنُ السَّرِيِّ».

وفي إسناده رباح بن أبي معروف، وثَّقه بعضُهم وضعَّفَه آخرون، وقال ابنُ حجر: «صدوق له أوهام».

□ **الموافقة الثَّامنة:** موافقته في تحريم الخمر.

أخرج أبو داود في «سننه» (3670)، والتِّرمذي في «جامعه» (5042) وغيرهما من طريق أَبِي مَيسَرَة، عَن عُمَرَ بن الخَطَّاب رضي الله عنه قال: «لَمَّا نَزَلَ تحريمُ الخمر، قال: اللَّهمَّ بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلَت هذه الآيةُ الَّتي في سورة البقرة: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾، قال: فدُعيَ عمر رضي الله عنه، فقُرِئَت عليه، فقال: اللَّهمَّ بَيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت الآيةُ الَّتي في سورة النِّساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾، فكان منادي رَسُولِ اللهِ ﷺ إذا أقام الصَّلاةَ نادى: أن لا يَقرَبنَّ الصَّلاةَ سَكرَان، فدُعيَ عمر رضي الله عنه، فقُرِئَت عليه، فقال: اللَّهمَّ بيِّن

---

(10) وهي قوله سبحانه: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨ ﴾ [سورة الأنفال].

(11) البخاري (1366، 4671).

(12) البخاري (5967)، مسلم (2400).

لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزَلت الآيةُ الَّتي في المائدة، فدُعيَ عمر رضي الله عنه، فقُرئَت عليه، فلمَّا بلغ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾، قال عمر رضي الله عنه: انتهينا، انتهينا».

قال الحافظ ابنُ كثير في «تفسيره» (92/2): «صحَّح هذا الحديثَ علي ابنُ المديني».

□ **الموافقة التَّاسعة:** في قوله لليهود: «مَنْ كَانَ عدوًّا لجبريل».

قال ابنُ رجب: «وأمَّا موافقتُه في قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾، فرواه: أبو جعفر الرَّازي، عن حُصَيْن ابن عبد الرَّحمان، عن ابن أبي ليلى، عن عمر ورواه: داود، عن الشَّعبي، عن عمر، وهما منقطعان»[13].

فهذه بعضُ الموافقات لعمر رضي الله عنه، وقال ابنُ العربي المالكي: «وقد بيَّنَّا أنَّه وافق ربَّه تلاوةً ومعنى في نحو أَحَدَ عشرَ مَوضعًا، فلتُنظَرْ في الكتاب الكبير»، قال ابنُ المُلقِّن: «وهذا من النَّفائس»[14].

ويؤيِّدُ كثرةَ مُوافقاته ما روى التِّرمذي في «جامعه» (2682)، وأحمد في «المُسنَد» (5697) وغيرهما عن ابن عمر قال: «مَا نَزَلَ بالنَّاس أمرٌ قطُّ فَقَالُوا فيه وَقَالَ فيه عُمَرُ إلاَّ نَزَلَ فيه القُرآنُ عَلَى نَحو مَا قَالَ عُمَرُ».

لكن الَّذي يُشكِل من هذا ما ذكره هو عن نفسه أنَّه وافق ربَّه في ثلاث كما تقدَّم في الموافقة الأولى.

وطريق الجمع بين هذا وذاك أن يُقال:

أوَّلاً: اختلفَت الرِّواياتُ في تحديد هذه الثَّلاث، ففي رواية البخاري (402) ذكر فيها اتِّخاذَ مقام إبراهيم مُصلًّى، والحجاب، ووعظ نساء النَّبيِّ ﷺ، وفي رواية مسلم (2399) ذكر رأيَه في أسارى بدر بدل وعظ النِّساء.

قال ابنُ حجر: «لَيسَ في تخصيصه العَدَدَ بالثَّلاث مَا يَنفي الزِّيَادَةَ عَلَيهَا؛ لأَنَّهُ حَصَلَت لَهُ المُوَافَقَةُ في أَشيَاءَ غَير هَذه، من مَشهُورهَا قصَّةُ أَسَارَى بَدر وَقصَّةُ الصَّلاة عَلَى المُنَافقينَ، وَهُمَا في «الصَّحيح»، وَصَحَّحَ التِّرمذي من حَديث ابن عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا نَزَلَ بالنَّاس أَمرٌ قَطُّ فَقَالُوا فيه، وَقَالَ فيه عُمَرُ إلاَّ نَزَلَ القُرآنُ فيه عَلَى نَحو مَا قَالَ عُمَر»، وَهَذَا دَالٌّ عَلَى كَثرَة مُوَافَقَته، وَأَكثَرُ مَا وَقَفنَا منهَا بالتَّعيين عَلَى خَمسَةَ عَشَرَ، لَكن ذَلكَ بحَسَب المَنقُول»[15].

وقال النَّووي بعد أن ذكر لفظةَ الثَّلاث: «وَلَيسَ في لَفظه مَا يَنفي زيَادَةَ المُوَافَقَة»[16].

ثانيًا: قال ابنُ رجب: «وقول عمر: «وافقتُ ربِّي في ثلاث»، ليس بصيغة حصر، فقد وافق في أكثر من هذه الخصال الثَّلاث والأربع»[17].

قال ابنُ كثير في «تفسيره» (416/1): «وَلا تَعَارُضَ بَينَ هَذَا وَلا هَذَا، بَل الكُلُّ صَحيحٌ، وَمَفهُومُ العَدَد إذَا عَارَضَهُ مَنطُوقٌ قُدم عَلَيه، وَاللهُ أَعلَمُ».

ثالثًا: قال ابنُ المُلقِّن «أنَّه لا تنافي بينها؛ إذ يجوز أن يكون أخبر بذلك قبل وقوع غيرها، وإن كان يجوز أن يكون قالها بعد موته أو أنَّ الرَّاوي روى ثلاثةً دون باقيها، وليس ذكر العدد من لفظ عمر، فلمَّا روى ثلاثةً خاصَّةً زاد تلك اللَّفظة على المعنى، أي: أنَّه له حديث في ذلك فأنزل القرآن بموافقته، أو أنَّ الرَّاوي اقتصر على الثَّلاث دون الباقي لغرض له، فمعنى الموافقة أنَّه وقع له حديثٌ في ذلك الأمر فنزل القرآن على نحو ما وقع أو وافق كلَّه»[18].

وهذه الموافقات ممَّا كان رآها عمرُ رضي الله عنه برأيه واستحسنها بدايةً بحسن نَظره، ووافق ذلك من وحي الله فيها بعدُ تدلُّ دلالةً واضحةً على إكرام الله تعالى لعمر وهي أرفع قدرًا ممَّا يقع لبعض الأولياء من الكرامات وخوارق العادات، لما فيها من المعاني الجليلة والأحكام النَّبيلة الَّتي بقي أثرُها وتشريعُها إلى قيام السَّاعة، والله أعلم.

(13) «فتح الباري» (98/3).
(14) انظر: «عارضة الأحوذي» (142/13. 143)، «التَّوضيح شرح الجامع الصَّحيح» (121/4).
(15) «فتح الباري» (126/2).
(16) «شرح مسلم» (167/15).
(17) «فتح الباري» (97/3).
(18) «التَّوضيح» (411/5).







التَّعرُّف على اللّه من خلال كتابه

(البسملة أنموذجًا)

عبد الصمد سليمان

مغنية . تلمسان

إنَّ معرفة الله تعالى تكون بمعرفة اسمه الَّذي يختصُّ به، ومعرفة أوصافه الَّتي تُميِّزه عن غيره، ومعرفة أفعاله الَّتي تدلُّ عليه، ومعرفة مَحابِّه ومَساخطه، ومعرفة حقوقه الَّتي يجب أن تُؤدَّى إليه، ومعرفة كيفيَّة معاملته، وما هي الأشياء الَّتي تُغضِبُه، وما هي الأشياء الَّتي تُرضِيه، وماذا يترتَّبُ على غضبه، وماذا يترتَّبُ على رضاه، وما هي الأشياء الَّتي تَدخُل تحت مُلكه وسلطانه، ويشملها تدبيرُه وتَصرُّفه، وهي كلُّها وغيرها مبثوثةٌ في القرآن الكريم؛ ومن ذلك ما جاء في البسملة:

قال الله تعالى:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

□ قوله تعالى: ﴿بِسْمِ﴾.

□ **أوَّلاً:** قال العلاَّمةُ السَّعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلامِ المنَّان» (ص25): «﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أي: أبتَدئُ بكلِّ اسمٍ لله تعالى؛ لأنَّ لفظَ «اسم» مُفرَدٌ مُضافٌ، فيعُمُّ جميعَ الأسماء الحسنى».

فأوَّلُ أمرٍ يُؤخَذُ من كلمة «بسم»، والَّذي نتعرَّفُ على ربِّنا به ومن خلاله ـ أنَّ لله أسماءً سمَّى نفسَه سبحانه بها، وهي كثيرةٌ ينبغي لمن أراد أن يَعرِفَ ربَّه على الوجه الأكمل أن يُحصيَ عددَها ويعرفَ معانيها ويفقَهَ مدلولاتِها.

■ **تنبيه:** كلمة «بسم» فيها إثباتُ الأسماء لله سبحانه على وجه الإجمال كمثل قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (180)﴾ [سورة الأعراف]، أمَّا تفصيلُ هذه الأسماء فهو مبثوثٌ في كتابِ الله وفي سنَّةِ رسولِ الله ﷺ.

ومن عجيب ما تضمَّنَته البَسمَلَةُ أنَّ فيها إثباتَ الأسماء لله مُجملَةً في قوله «بسم»، ثمَّ جاء تفصيلُ هذا الإجمالِ فيما بعدُ بذِكرِ بعض هذه الأسماء الحسنى في قوله: ﴿اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

□ **ثانيًا:** بعد أن عَرفْنا أنَّ لله أسماءً سمَّى بها نفسَه عرَفْنا أنَّه سبحانه يُحبُّ ويرضى أن نُقدِّمَ ذِكرَها بين يَدَيْ حوائجنا وشُؤوننا، ولولا أنَّه سبحانه يحبُّ ذلك ويرضاه من عباده لما أدَّبَ نبيَّه وأتباعَه من بعده به؛ قال الإمام أبو جعفر الطَّبري رَحِمَهُ اللَّهُ في «جامع البيان عن تأويل القرآن» (114/1): «إنَّ الله تعالى ذكرُه وتقدَّست أسماؤُه أدَّبَ نبيَّه مُحمَّدًا ﷺ بتعليمه تقديمَ ذكرِ أسمائه الحسنى أمامَ جميع

أفعاله، وتقدَّم[1] إليه في وَصفه بها قَبْلَ جميع مُهمَّاته، وجعل ما أدَّبه به من ذلك وعلَّمه إيَّاه منه لجميع خلقه سُنَّةً يستنُّون بها، وسبيلاً يتَّبعونه عليها، فبه افتتاح أوائل مَنطقِهم، وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم».

فممَّا عرفناه من خلال البسملة الَّتي شرعها الله لعباده ليُقدِّموها بين يَدَيْ حوائجهم أنَّ الله يُحبُّ ويرضى ويشرع ما يشاء ويحكم ما يريد.

☐ **ثالثًا:** وممَّا قرَّره العلماء[2] أنَّ تقديمَ العبد ذكرَ أسماء الله سبحانه بين يدي حاجاته ومُهمَّات أمورِه وشؤونه هو من باب الاستعانة بالله على تَحقيقِها وإتمامها؛ فإنَّ العبدَ ضعيفٌ لا يقوى على تحصيل مصالحه وتحقيق ما يَعمدُ إليه من شؤونه وأمورِه إلاَّ بإعانة ربِّه وخالقه، ولا شكَّ أنَّ من طُرُقِ الاستعانة بالله وطلبِ العون منه سبحانه تقديمَ ذكر اسم من أسمائه بين يَدَيْ ما يعزم عليه من الأقوال والأعمال.

فعرَفْنا من خلال هذه الكلمة أيضًا أنَّ الله قَويٌّ وقادرٌ وأنَّه لا يُعجِزُه شَيءٌ في الأرض ولا في السَّماء وأنَّه يُعِينُ بقُدرَته من يشاء من عبادِه، ولأجل هذا صحَّ الاستعانةُ به.

☐ **رابعًا:** وممَّا قرَّره العلماءُ[3] أنَّ تقديمَ العبد ذكرَ أسماء الله سبحانه بين يدي حاجاته ومُهمَّات أمورِه وشؤونه هو من باب التَّبرُّك بالبدءِ بها والتَّيمُّن بذكرها؛ لأنَّها مُبارَكةٌ في نفسها.

ويدُلُّ على أنَّ أسماءَ الله مباركةٌ قولُ الله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨﴾ [سورة الرحمن]، وقولُ النَّبيِّ ﷺ: «سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ» رواه مسلم وغيره.

قال الإمامُ ابنُ القيِّم رحمه الله في كتابه «جلاء الأفهام في فضل الصَّلاة على مُحمَّد خير الأنام» (ص352): «وقال ابنُ قُتَيْبَة: «"تَبَارَكَ اسْمُكَ" تفاعُلٌ من البركة، كما يقال: تعالى اسْمُكَ، من العُلوِّ، يُرادُ به أنَّ البركةَ في اسمِكَ وفيما سُمِّيَ عليه» إلى أن قال: «يُرادُ به أنَّ البرَكَةَ في اسمِكَ وفيما سُمِّيَ عليه يَدُلُّ على أنَّ ذلك صفةٌ لمن تبارك؛ فإنَّ برَكَةَ الاسمِ تابعةٌ لبركةِ المُسمَّى» انتهى كلامه.

قلتُ: يستفاد من كلام ابنِ القيِّم رحمه الله هذا ما يلي:

الفائدة الأولى: أنَّ أسماءَ الله مباركةٌ، قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (6/ 193): «ومعلومٌ أنَّ نفسَ أسمائه مُبارَكَةٌ، وبركَتُها من جهةِ دَلالَتِها على المُسَمَّى».

الفائدة الثَّانية: أنَّ البركةَ تَحُلُّ في كلِّ ما ذُكرَت عليه أسماءُ الله سبحانه، قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (6/ 193): «"تَبَارَكَ" تفاعَلَ من البركَة، والمعنى أنَّ البركةَ تُكتَسَبُ وتُنالُ بذكرِ اسمِه».

ويجمعهما قولُ شيخِ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (16/ 322): «فإنَّ اسمَ الله مُبَارَكٌ تُنالُ معه البركَةُ».

فممَّا تعرَّفْنَا به على ربِّنا من خلال هذه الكلمة أنَّ أسماءَ الله مُبارَكةٌ، وبركَةُ أسماءِ الله من بركةِ المُسمَّى وهو الله سبحانه، وأنَّ كلَّ ما ذُكِرَ عليه اسمٌ من أسماء الله حلَّت فيه البركةُ والخير.

☐ **خامسًا:** نلاحظ أنَّ كلمةَ «بسم» تُعرِّفُنا من وجوه مُتعدِّدة أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ يُوحَّدُ بنوعَيْن من التَّوحيد: توحيد المعرفة والإثبات وتوحيد القصد والطَّلب:

الوجه الأوَّل: دلَّتْ كلمةُ «بسم» على توحيد المعرفة والإثبات؛ حيث أفادت أنَّ لله أسماءً تَسمَّى بها، كما دلَّت على توحيد القصد والطَّلب حيثُ تضمَّنَتْ حثَّ العبدِ على بدْءِ أمورِه وشؤونه كلِّها بتقديم ذكرِ أسماءِ اللهِ عند الهمِّ بها.

الوجه الثَّاني: دَلَّتْ كلمةُ «بسم» على توحيد المعرفة والإثبات؛ حيث أفادت أنَّ الله عز وجل يُستَعَانُ به بذكر أسمائه؛ وما كان ليُستَعَانَ به لولا قوَّتُه وقَهرُه وكمالُ سلطانه ومُلكه وغيرُ ذلك من صفاته اللاَّئقة به، وهذا كلُّه داخلٌ في معرفة الله سبحانه، كما دلَّت على توحيد القصد والطَّلب؛ حيث تضمَّنَتْ حثَّ العبد على الاستعانة بالله وحده سبحانه بتقديم ذكر أسمائه.

الوجه الثَّالث: دلَّت كلمة «بسم» على توحيد المعرفة والإثبات حيث أفادت أنَّ أسماءَ الله عز وجل مُباركَةٌ، فعُلِمَ أنَّ لله أسماءً تَسمَّى بها وأنَّها مُبارَكةٌ، وعُلِم أنَّ برَكَةَ الاسمِ من بركة المُسمَّى الَّذي هو الله سبحانه، كما دلَّتْ على توحيد القَصْدِ والطَّلب؛ حيث تضمَّنَتْ حثَّ العبدِ على التَّبرُّك بذكر أسمائه، وهذه من العبادات الَّتي تَدخُلُ في توحيد القصد والطَّلب.

---

(1) قلتُ: أي أمرُه بفعله وإتيانه.
(2) انظر على سبيل المثال «تفسير ابن كثير» (191/1).
(3) «تفسير ابن كثير» (191/1).

□ قوله: ﴿اللَّهِ﴾.

خلاصة ما يتعرَّفُ به العبدُ القارئُ من خلال لفظ الجلالة «الله» الآتي:

أوَّلًا: أنَّ لفظَ الجلالة «الله» هو اسمٌ من أسمائه سبحانه، وهو أوَّلُ اسم بدأ يتعرَّفُ الله سبحانه به إلينا في كتابه.

ثانيًا: أنَّه المعبودُ بحقٍّ، الّذي لا يَستحِقُّ العبادةَ سواه سبحانه؛ «وأمَّا معنى هذا الاسم فأصله «الإله»، وهو بمعنى المعبود»[4].

ثالثًا: أنَّه الموصوفُ بوصف الألوهيَّة الَّذي استحقَّ أن يكون به إلهًا؛ «والألوهيَّة الَّتي هي وصفه هي الوصفُ العظيمُ الَّذي استحقَّ أن يكونَ به إلهًا، بل استحقَّ أن لا يُشارِكَه في هذا الوصف العظيم مشارِكٌ بوجه من الوجوه، وأوصافُ الألوهيَّة هي جميعُ أوصاف الكمال وأوصاف الجلال والعظمة والجمال، وأوصاف الرَّحمة والبرِّ والكرم والامتنان؛ فإنَّ هذه الصِّفات هي الَّتي يَستَحِقُّ أن يُؤَلَّهَ ويُعْبَدَ لأجلها»[5].

رابعًا: أنَّه سبحانه له جميعُ صفات الكمال ونعوت الجلال؛ قال الإمامُ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ في «بدائع الفوائد» (2/ 782): «وأمَّا الإلهُ فهو الجامعُ لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فيَدخُل

(4) انظر «فقه الأسماء الحسنى» (ص92).
(5) المصدر السابق.

في هذا الاسم جميعُ الأسماء الحسنى؛ ولهذا كان القولُ الصَّحيح أنَّ الله أصلُه الإلهُ كما هو قولُ سيبويه وجمهور أصحابه إلاَّ مَنْ شذَّ منهم وأنَّ اسمَ الله تعالى هو الجامعُ لجميع معاني الأسماء الحسنى والصِّفات العُلَى».

خامسًا: أنَّ جميعَ الخلق الصَّالحين منهم والطَّالحين يعبدونه ويَألَهُونَه إمَّا طوعًا أو كرهًا؛ فـ«الوصف المُتعلِّقُ بالعبد من هذا الاسم، وهو العبوديَّة، فالعباد يعبدونه ويَألَهُونَه، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: 84]، أي: يَألَهُه أهلُ السَّماء وأهلُ الأرض طوعًا وكرهًا، الكلُّ خاضعون لعظمَته، مُنقَادون لإرادَته ومشيئَته، عانون لعزَّته وقيُّوميَّته، وعبادُ الرَّحمن يألَهُونَه ويَعبُدُونَه، ويَبذُلُون له مَقدُورَهم من التَّألُّه القَلبيِّ والرُّوحي والقولي والفعلي، بحسب مقاماتهم ومراتبهم»[6].

سادسًا: أنَّ لفظَ الجلالة «الله» من أسماء الله المباركة، بل بركته الَّتي تَرتَبِطُ به لا يُمكنُ أن يَحصُرَها حاصرٌ ولا أن يُحيطَ بها مُستَبصرٌ مُتبحِّرٌ؛ «وذكر ابنُ القيِّم لهذا الاسم الشَّريف عشرَ خصائصَ لفظيَّة» ثمَّ قال: «وأمَّا خصائصُه المعنويَّةُ فقد قال فيها أعلَمُ الخلق به ﷺ: «لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[7]، وكيف تُحصَى خصائصُ اسم مُسمَّاه كلُّ كمال على الإطلاق، وكلُّ مدحٍ وكلُّ حمدٍ وكلُّ ثناء وكلُّ مجدٍ وكلُّ جلالٍ وكلُّ إكرامٍ وكلُّ عزٍّ وكلُّ جمالٍ وكلُّ خيرٍ وإحسانٍ وجودٍ وبرٍّ وفضلٍ فله ومنه...»[8]

(6) انظر «فقه الأسماء الحسنى» (ص92).
(7) رواه مسلم. (486).
(8) انظر فتح المجيد (ص12).

سابعًا: أنَّ لله اسمًا هو أعظمُ من سائر أسمائه الأخرى سبحانه قد يكون هو لفظ الجلالة «الله»، وهذا الَّذي رجَّحه جمعٌ من أهل العلم؛ قال الشَّيخُ عبدُ الرَّزَّاق البدر - حفظه الله - في «فقه الأسماء الحسنى» (ص86): «إنَّ من أشهَر الأقوال في تعيين الاسم الأعظم وأَوْلاها بالصَّواب وأقرَبها للأدلَّة هو أنَّ الاسمَ الأعظمَ هو «الله»، وإلى هذا ذهب جمعٌ من أهل العلم».

ثامنًا: أنَّ أسماءَ الله الحُسنَى وصفاته العليا تتفاضَلُ فيما بينها، فبعضُها أفضَلُ من بعضها؛ قال الشَّيخ عبدُ الرَّزَّاق البدر - حفظه الله - في «فقه الأسماء الحسنى» (ص84): «والدَّلائل على ثبوت التَّفاضل في أسماء الله - جلَّ وعلا - كثيرةٌ، ومن هذه الدَّلائل ما ثبت عن النَّبيِّ ﷺ في الأخبار الصَّحيحة أنَّ لله اسمًا أعظَم إذا سُئِلَ به أعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب».

تاسعًا: نلاحظ من خلال لفظ الجلالة «الله» ومن وَجْهَيْن اثْنَيْن أنَّ الله - سبحانه وتعالى - يُوحَّدُ بنوعَيْن من التَّوحيد: توحيد المعرفة والإثبات وتوحيد القصد والطَّلب.

الوجه الأوَّل: دلَّنا لفظ الجلالة «الله» على توحيد المعرفة والإثبات حيث أفادَنَا معرفةَ اسم من أسماء الله وأنَّه سبحانه مُتَّصفٌ بصفات الجلال والجمال وغيرها، كما دلَّنا على توحيد القصد والطَّلب حيثُ أفادَنا أنَّه المعبودُ بحقٍّ وأنَّ العبادَ كلَّهم يعبدونه ويألهونه إمَّا طوعًا أو كرهًا.

الوجه الثَّاني: دلَّنا لفظُ الجلالة «الله» على توحيد المعرفة والإثبات حيث أفادنا أنَّ من أسماء الله لفظَ الجلالة

«اللَّه»، وأنَّ له اسمًا أَعْظَمَ سبحانه قد يكون هو «اللَّه»، وعلى توحيد القصد والطَّلب حيث رَغَّبنَا بدعائه باسمه الأعظم؛ لأنَّه سبحانه إذا سُئِلَ به أَعْطَى، وإذا دُعِي به أَجاب.

□ قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

خلاصةُ ما يَتعرَّفُ به العبدُ القارئُ لكلام العلماء على ربِّه من خلال قوله سبحانه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الآتي:

الأوَّل: أنَّ من أسماء اللَّه تعالى «الرَّحْمَن الرَّحيم» وهما ثاني وثالث الأسماء الحسنى الَّتي تعرَّفَ اللَّه بها إلينا مُفصَّلةً في كتابه بعد أن جاءت الإشارةُ إليها مُجملَةً في قوله سبحانه: ﴿بِسۡمِ﴾.

الثَّاني: ممَّا تعرَّفَ اللَّهُ به إلينا من خلال هذَيْن الاسمَيْن أنَّه مُتَّصفٌ سبحانه بصفة عظيمة وهي صفةُ الرَّحمة، ورَحمنٌ في إثباتها والدِّلالة عليها أشَدُّ مبالغةً من رَحيم[9].

الثَّالث: أنَّ أسماءَ اللَّه أعلامٌ وأوصافٌ؛ أعلامٌ باعتبار دلالتها على الذَّات، وأوصافٌ باعتبار ما دلَّت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأوَّل مترادفةٌ وبالاعتبار الثَّاني مُتباينَةٌ[10].

الرَّابع: أنَّ اسمَ الرَّحمن خاصٌّ به سبحانه لا يُسمَّى به غيرُه، بينما الرَّحيم يجوز أن يُسمَّى به غيرُه، وهذه قاعدةٌ عامَّةٌ في أسماء اللَّه؛ منها ما يُسمَّى به اللَّه وحدَه ومنها ما يجوزُ إطلاقُه على غيره سبحانه؛ قال الإمام الطَّبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (1/133): «وكانَ للَّه ـ جلَّ ذكرُه ـ أسماءٌ قد حرَّم على خلقه أن يتسمَّوْا بها، خَصَّ بها نفسَه دُونَهم، وذلك مثل

(9) انظر «تفسير ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ» (1/196).
(10) انظر «القواعد المثلى» للعلاَّمة مُحمَّد بن صالح العثيمين (ص11).

«اللَّه» و«الرَّحمن» و«الخالق»؛ وأسماءٌ أباحَ لهم أن يُسمِّيَ بعضُهم بعضًا بها، وذلك؛ كالرَّحيم والسَّميع والبصير والكريم...».

الخامس: أنَّ اسْمَي «الرَّحمن الرَّحيم» من الأسماء المُتعدِّية؛ قال العلاَّمةُ مُحمَّد بنُ صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسير جزء عمَّ» (ص6): «و﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: اسمان من أسماء اللَّه يَدُلاَّن على الذَّات، وعلى صفة الرَّحمة، وعلى الأثر: أي الحُكم الَّذي تَقتضِيه هذه الصِّفةُ».

السَّادس: أنَّ الرَّحمةَ الَّتي يُوصَفُ بها اللَّهُ سبحانه ليس كالرَّحمة الَّتي يُوصَفُ بها خلقُه، فرحمةُ اللَّه تَليقُ بعظمته، وجلاله، وسلطانه؛ ولا تقتضي نقصًا بوجه من الوجوه، ورحمةُ المخلوق تليق بعَجزِه وضعفه ونقصه وهي مقتضية لذلك منه.

السَّابع: أنَّ اللَّهَ ـ جلَّ وعلا ـ جمع بين هذَيْن الاسمَيْن لحكَم بالغة ذَكرَها العلماءُ ـ رحمهم اللَّه ـ في مُصنَّفاتهم نتعرَّفُ على ربِّنا أكثَر من خلال معرفتها والاطِّلاع عليها وهي:

ـ قرَّر بعضُ العلماء ممَّن يرى أنَّ هذَيْن الاسمَيْن بمعنى واحد، وأنَّ معناهما ذو الرَّحمة، أنَّ الحكمةَ من ذكر أحدهما بعد الآخر تطميع قلوب الرَّاغبين[11].

ـ وذكر آخرون ممَّن يَرَوْن أنَّ لكلِّ اسم معناه الَّذي يَخصُّه وينفَردُ به عن مُقارِنه حكمًا مختلفةً مبناها على الفارق بين الاسمَيْن:

فمنهم من قرَّر أنَّ الفارقَ بينهما: أنَّ الرَّحمن بجميع الخلق والرَّحيم

(11) انظر «تفسير البغوي» (1/51).

بالمؤمنين، فالأوَّل عامٌّ والثَّاني خاصٌّ[12]، كما أنَّ منهم من قيَّد الرَّحمةَ بجميع الخلق بالدُّنيا والرَّحمة بالمؤمنين في الآخرة، وخلص الإمام الطَّبري في هذه المسألة إلى أنَّ اللَّه ـ جلَّ ثناؤه ـ رحمنُ جميع خلقه في الدُّنيا بنِعَمِه الَّتي لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، وفي الآخرة بتسويته بين جميعهم ـ جلَّ ذكرُه ـ في عَدله وقضائه، ورحيمُ المؤمنين خاصَّةً في الدُّنيا بما خصَّهم به من اللُّطف لهم في دينهم دونَ مَنْ خَذَله من أهل الكُفر به، وفي الآخرة بما أعدَّ لهم دون غيرهم من النَّعيم، والكرامة الَّتي تقصرُ عنها الأماني[13].

ـ ومنهم مَنْ قرَّر أنَّ الفارقَ بينهما: أنَّهما اسمان رَقيقَان أحدُهما أَرقُّ من الآخر، أي أكثَر رحمةً[14].

ـ ومنهم مَنْ قرَّر أنَّ الفارقَ بينهما: أنَّ الرَّحمنَ إذا سُئِلَ أعطى، والرَّحيم إذا لم يُسأَلْ يَغْضَبُ[15].

ـ ومنهم مَنْ قرَّر أنَّ الفارقَ بينهما: أنَّ اسمَ الرَّحمن خاصٌّ به لم يُسمَّ به

(12) انظر على سبيل المثال «تفسير الإمام ابن كثير» (1/197)، و«تفسير البغوي» (1/51).
(13) انظر «تفسير الإمام الطَّبري» (1/127).
(14) انظر «تفسير الإمام ابن كثير» (1/197).
(15) انظر «تفسير ابن كثير» (1/197ـ198).

غيرُه وأمَّـا الرَّحيم فعـامٌّ يُمكِنُ إطلاقُه على غـيره[16]، قال الإمـام البغوي رحمه الله (51/1): «ولذلك يُدْعَى غيرُ الله رحيمًا ولا يُدعَـى غـيرُ الله رَحْمَـن؛ فالرَّحمن عامُّ المعنى خاصُّ اللَّفظ، والرَّحيمُ عامُّ اللَّفـظِ خاصُّ المعنى»، وهـذا الفارق قد تقدَّم الإشارةُ إليه.

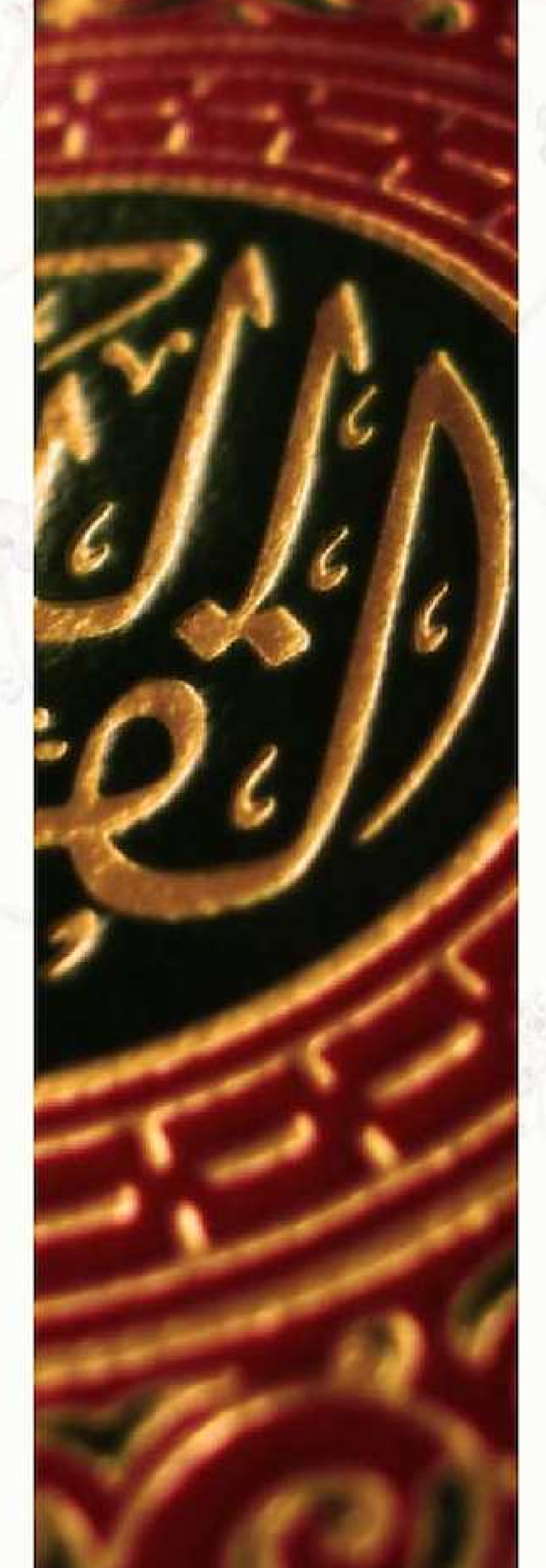
.ومنهم مَنْ قرَّر أنَّ الفارقَ بينهما: أنَّ صفةَ الرَّحمة الدَّالَّ عليها اسمُه الرَّحمن هي صـفةٌ ذاتيَّةٌ، وصـفةَ الرَّحمـةِ الدَّالَّ عليها اسمُه الرَّحيم صفةٌ فعليَّةٌ[17].

ومنهم منْ قـرَّر أنَّ الفـارقَ بينهما: أنَّ الرَّحمـنَ بمعنـى الرَّقيـق والرَّحيـم بمعنى الرَّفيق؛ قال الإمامُ الطَّبري رحمه الله (129/1): «لأنَّـه جَعَلَ معنى «الرَّحمن» بمعنـى الرَّقيق على مَنْ رقَّ عليه، ومعنى «الرَّحيم» بمعنى الرَّفيق بمن رَفَقَ به».

.ومـن الحِكَـمِ الَّتـي ذكَرَهـا بعضُ العلمـاءِ في الجمعِ بين هذَيْن الاسـمَيْن سـواءٌ اختلف معناهمـا أو اتَّفق أنَّ اللهَ سـبحانه فصَلَ بذلك بين اسـمِه واسمِ غيرِه مـن خَلقِه؛ قـال الإمـام الطَّبري رحمه الله في «تفسـيره» (130/1): «فـكأنَّ معنـى قـولِ عطـاء هـذا[18]: أنَّ اللهَ ـ جلَّ ثنـاؤه ـ إنَّما فَصَل بتكرير الرَّحيم علـى الرَّحمن، بين اسـمِه واسـمِ غيرِه مـن خلقِه، اختلف معناهمـا أو اتَّفقا، والَّـذي قال عطاءٌ من ذلك غيرُ فاسـد المعنـى، بـل جائزٌ أن يكون. جـلَّ ثناؤه ـ خصَّ نفسَـه بالتَّسميَةِ بهمـا معًـا مُجتَمِعَـيْن، إبانةً لها مـن خلقِه، ليعرِفَ عبادُه بذكرهما مَجموعَيْن أنَّه المقصود بذكرهما دون مَنْ سواه من خلقه».

الثَّامـن: أنَّ هذَيْـن الاسـمَيْن ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ من أسـماء الله المُبارَكَـة الَّتي لا يُمكِـنُ حصـرُ بركَتِهـا والخـيرِ المُرتَبِطِ بهـا؛ قـال الشَّـيخُ عطيَّةُ سـالم رحمه الله في شـرحه على «بلوغ المرام»: «وأيُّ اسمٍ من أسـماء الله فهو مُبـارَكٌ، كـ: «الرَّحمن»، وبركات الرَّحمن لا يُحصيه إلاَّ الله، «إنَّ للهِ مِئَةَ رَحْمَةٍ، أَنْـزَلَ وَاحِدَةً إِلَى الأَرْضِ فَبِهَا تَتَرَاحَمُـونَ، ويَتَرَاحَمُ أَهْلُ الأَرْضِ، حَتَّى إِنَّ الدَّابَّةَ لَتَضَعُ حَافِرَهَا عَلَى وَلَدِهَا فَتَرْفَعُهُ رَحْمَةً بِهِ»، وقوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة]، داخلٌ تحت رَحمةٍ واحدة من المائة، عَطفُ الأمِّ على ولدِها، عطفُ الكبيرِ على الصَّغير، شَفقَةُ الصَّـغير على العجوز الكبير، كلُّ مَا رَأيتَ وما سـمعتَ من معاني ومظاهر الرَّحمـة فهـي جـزءٌ من مئة مـن رحمة الرَّحمـن، أيُّ بركةٍ مُمكِنٍ أن يُحصِـيَها الإنسانُ في هذا؟!».

❑❑❑



(16) انظر «تفسير ابن كثير» (198/1 ـ 199).
(17) انظـر «تفسـير جزء عـمَّ» للعلاَّمـة محمَّد ابن صالح العثيمين رحمه الله (ص7).
(18) وهـو قوله: «كان الرحمن، فلما اختزل الرحمن من اسمه كان الرحمن الرحيم».



بحوث ودراسات

القُرعة في الكتاب والسنة

صالح الكشبور
مرحلة الدكتوراه. جامعة الجزائر

تعريف القرعة

القُرعَةُ على وزن الظُّلمَة: هي السُّهمَة، والمُقارَعة المساهمة، وقد اقترع القومُ وتقارَعوا وقارَع بينهم وأقرعتُ بين الشُّركاء في شيء يقتسمونه، ويقال كانت له القُرْعةُ إذا قرع أصحابه وقارَعه فقرَعَه يَقْرَعُه أي أصابته القُرْعةُ دونه[1].

وقيل للاقتراع: الاستهام؛ لأنَّهم كانوا يكتبون أسماءهم على سهام إذا اختلفوا في الشَّيء، فمن خرج سهمه غلب[2].

والمراد هنا: صفة معروفة تستعمل عند إرادة اختيار شيء دون قصد التَّعيين المُسْبَق[3].

(1) «لسان العرب» (ص3596)، «تاج العروس» (535/21).
(2) قاله الخطَّابي، انظر «فتح الباري» (127/2).
(3) «مجموعة الفوائد البهيَّة على منظومة القواعد البهيَّة» لصالح الأسمري (ص116).

صوَرُ القُرعَة

اعلم أنَّ القرعة قد تستعمل في أربعة أبواب:

الباب الأوَّل: أن يُقصَد بها إبطالُ حقِّ صاحبِ الحقِّ وجعلُه لمن لا يحقُّ له، كأن يقول الرَّجلُ لصاحبه: أَلْقِ خاتَمَكَ وأُلقِي خاتمي ونقترع عليهما، فأيُّنا خرج سهمُه استحقَّ الخاتمَيْن، أو يقول أحدهما: أقارعك على خاتمي هذا، فإن خرج سهمُك أخذتَه أنت، أو يتداعيا دارًا في يدهما فيقال: أقرعوا بينهما فإن خرج سهمُ المُدَّعِي أخذ الدَّار.

الباب الثَّاني: أن يتنازعا حقًّا أن يكون لهما معًا، ولا دليل يرجح جانب أحدهما، كأن يتنازعا دارًا بيدهما معًا، ولا دليل لأحدهما، وحلف كلٌّ منهما أنها جميعها له ليس لصاحبه منها شيء.

الباب الثَّالث: أن يختصَّ الحقُّ بأحدهما بعينه ويتعذَّر تعيينُه، كمن طلَّقَ بائنًا إحدى امرأتَيْه وتعذَّر تعيينُها.

الباب الرَّابع: أن يكون الحقُّ في الأصل ثابتًا لكلٍّ منهما لكن اقتضى الدَّليل أن يُخصَّ به أحدهما لا بعينه.

فأمَّا الباب الأول: فلا نزاع أنَّ القرعةَ إذا استعملت فيه فهي قمار، وكذلك الباب الثَّاني.

وأمَّا الباب الثَّالث: ففيه نظرٌ، وقد قال بعضُ الأئمَّة بصحَّة القرعة فيه.

وأما الباب الرَّابع فهو مَوردُ القُرعة.

مشروعيَّةُ القُرعَة

القرعة طريق من طُرُق الأحكام، بل هي من جملة البيِّنات الَّتي تَثبُتُ بها الحقوقُ، فكما تُقطَعُ الخصومةُ والنِّزاعُ بالبيِّنَة كذلك تُقطَع بالقُرعة، ولذا أدخلها البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الشَّهادات من «صحيحه»[4]، وهي مشروعة بالكتاب والسُّنَّة:

أمَّا في القرآن فقد وردت في موضِعَيْن:

1. قال الله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ

(4) أفاده ابنُ حجر في «فتح الباري» (361/5).

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة آل عمران].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «اقترعوا فجَرَت الأقلامُ مع الجِرْية، وعال قلم زكرياءَ الجرية فكفَّلها زكريَّاء»[5].

قال ابنُ حجر: «والمعنى أنَّهم اقترعوا على كفالة مريم أيُّهم يكفلها، فأخرج كلُّ واحد منهم قلمًا وألقوها كلَّها في الماء فجرت أقلام الجميع مع الجرية إلى أسفل وارتفع قلم زكرياء فأخذها»[6].

قال القرطبي: «استدلَّ بعضُ علمائنا بهذه الآية على إثبات القرعة، وهي أصلٌ في شرعنا لكلِّ من أراد العدلَ في القسمة، وهي سنَّةٌ عند جمهور الفقهاء في المُستويَيْن في الحجَّة ليعدلَ بينهم وتطمئنَّ قلوبُهم وترتفعَ الظِّنَّةُ عمَّنْ يتولَّى قسمتَهم، ولا يُفضَّلُ أحدٌ منهم على صاحبه إذا كان المقسوم من جنس واحد اتِّباعًا للكتاب والسُّنَّة»[7].

2. قال الله عز وجل: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [سورة الصافات].

والمقصود أنَّه عليه السلام لمَّا ذهب مُغاضبًا بسبب قومه ركب سفينةً في البحر فلجَّتْ بهم واضطربت وماجت بهم وثقُلت بما فيها وكادوا يَغرَقُون، فاشْتَوَرُوا فيما بينهم على أن يَقترِعُوا، فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السَّفينة ليتحفَّظوا منه، فلمَّا اقترعوا وقعت القرعةُ على نبيِّ الله يُونُسَ فلم يَسمَحُوا به، فأعادوها ثانيةً فوقعت عليه أيضًا، فشمَّرَ ليَخلَعَ ثيابَه ويُلقِيَ بنَفسِه فأَبَوْا عليه ذلك، ثمَّ أعادوا القُرعَة ثالثةً فوقعَتْ عليه أيضًا؛ لما يريدُه الله به من الأمر العظيم[8].

وقد احتجَّ البخاري رحمه الله بالقصَّتيْن على صحَّة الحكم بالقرعة، وذلك بناءً على أنَّ شرعَ مَنْ قَبلَنَا شرعٌ لنا إذا لم يَرِدْ في شرعنا ما يخالفه، فكيف إذا ورد في شرعنا تقريرُه، ولذا ساقه البخاري مساقَ الاستحسان والاستدلال[9].

وأمَّا من السُّنَّة:

فقد وردت القرعة في أحاديث:

الحديث الأوَّل: عن أمِّ سَلَمَة قالت: جاء رجلان يختصمان إلى رسولِ الله ﷺ في مواريث بينهما قد دَرَسَت ليس بينهما بيِّنةٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، ولَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِه مِنْ بَعْضٍ، وإِنَّمَا أَقْضِي بَيْنَكُمْ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ؛ فإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ يَأْتِي بِهَا أَسْطَامًا فِي عُنُقِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» فبكى الرَّجلان وقال كلُّ واحد منهما: حقِّي لأخي، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَمَّا إِذَا قُلْتُمَا، فَاذْهَبَا فَاقْتَسِمَا ثُمَّ تَوَخَّيَا الحَقَّ، ثُمَّ اسْتَهِمَا، ثُمَ لِيَحْلِلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ»[10].

قال علي القاري: «أي اقترِعَا لتَعيين الحصَّتَيْن إن وقع التَّنازُعُ بينكما؛ ليظهَرَ أيُّ القِسْمَيْن وَقَعَ في نصيب كلٍّ منهما، ولْيَأْخُذْ كلُّ واحد منكما ما تُخرِجُه القُرعَةُ من القسمة».

وقال السُّيوطي: «توَخَّيَا الحقَّ: أي اقْصِدَا الحقَّ فيما تصْنَعانه من القسمة».

وقوله: «ثُمَّ اسْتَهِمَا»، قال الخطَّابي: «معناه اقْتَرِعَا، زاد في النِّهاية يعني ليظهر سهمُ كلٍّ واحد منكما»، وقال الخطابي: «ثمَّ لم يَقْنَعْ عليه السلام بالتَّوخِّي حتَّى ضمَّ إليه القرعة، وذلك أنَّ التَّوخِّي إنَّما هو أكثرُ الرَّأي وغالبُ الظَّنِّ، والقرعة نوع من البيِّنَة فهي أقوى من التَّوخي»[11].

الحديث الثَّاني: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا خرج أقرع بين نسائه»[12].

وفيه أنَّ من أراد سفرًا ببعض نسائه أقْرَعَ بَيْنَهُنَّ كذلك، وهذا الإقراع واجبٌ في حقِّ غير النَّبيِّ ﷺ، وأمَّا النَّبيُّ ﷺ ففي وجوب القسم في حقِّه خلافٌ، فمن قال بوجوب القسم يجعل إقراعه واجبًا، ومن لم يُوجِبْه يقول: إقراعُه ﷺ من حسن عِشرَته ومكارم أخلاقه[13].

الحديث الثَّالث: وعن عمران ابن حصين رضي الله عنهما: «أنَّ رجلًا أعتَقَ ستَّةَ مملوكين له عند موته لم يكُنْ له مالٌ غيرَهم، فدعا بهم رسولُ الله ﷺ، فجزَّأهم أثلاثًا ثمَّ أَقْرَعَ بينهم، فأعتَقَ اثْنَيْنِ وأرَقَّ أربعةً، وقال له قولًا شديدًا»[14].

قال الشَّوكاني رحمه الله: «فهذه القرعة فعلها رسولُ الله ﷺ في ستَّة أَعبُد قد وقع عتقُ المالك على كلٍّ واحد منهم، ثمَّ لمَّا لم يَنفُذْ إلَّا الثُّلثُ كان كلُّ واحد منهم قد عُتِقَ ثُلثُه بيقين، ثمَّ حكم الصَّادقُ المصدوقُ بالقُرعَة فأرَقَّ من أرَقَّ وأعتق من أعتق على حسب ما اقتضاه الإقراع بينهم، وهذا شرعٌ واضحٌ جاء به الَّذي

(5) ذكره البخاري تعليقًا في باب: القرعة في المشكلات (110/2).

(6) «فتح الباري» (361/5)، «البداية والنِّهاية» (500/1).

(7) «تفسير القرطبي» (57/2).

(8) «البداية والنِّهاية» (305/1).

(9) «فتح الباري» (361/5).

(10) رواه أحمد في «مسنده» (26717)، وأبو داود في «سننه» (3584).

(11) انظر هذه الأقوال في «عون المعبود» (502/9).

(12) رواه البخاري (4141)، ومسلم (2445).

(13) «شرح النَّووي». بتصرُّف يسير. (181/16).

(14) مسلم (1668).

جاءنا بما شرعه الله لنا»[15].

وفي هذا الحديث دلالةٌ لمذهب مالك والشَّافعي وأحمد وإسحاق وداود وابن جرير والجمهور في إثبات القرعة في العتق ونحوه، وأنَّه إذا أعتق عَبيدًا في مرض موته أو أوصى بعتقهم ولا يخرجون من الثلث أُقرِعَ بينهم فيعتق ثلثهم بالقرعة[16]، وقال أبو العبَّاس القرطبي: «هذا نصٌّ في صحَّة اعتبار القرعة شرعًا، وهو حجَّة للجمهور»[17].

الحديث الرَّابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ والصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا»[18].

وقال النَّووي رحمه الله: «ومعناه أنهم لو علموا فضيلةَ الأذان وقدرها وعظيم جزائه ثمَّ لم يجدوا طريقًا يُحصِّلُونَه به لضيق الوقت عن أذان بعد أذان أو لكونه لا يؤذن للمسجد إلاَّ واحد لاقترعوا في تحصيله، ولو يعلمون ما في الصَّفِّ الأوَّلِ من الفضيلة نحو ما سبق وجاءوا إليه دفعة واحدة وضاق عنهم ثمَّ لم يسمح بعضهم لبعض به لاقترعوا عليه، وفيه إثبات القرعة في الحقوق الَّتي يزدحم عليها ويتنازع فيها»[19].

الحديث الخامس: عن الزُّبَيْر ابن العَوَّام رضي الله عنه قال: لَمَّا كان يومُ أُحُدٍ أَقبَلَتِ امرأةٌ تسعى حتَّى إذا كادت أن تشرف على القتلى قال: فكَرِهَ النَّبيُّ ﷺ أن تراهم فقال: «المَرْأَةَ المَرْأَةَ» قال الزُّبَيْر رضي الله عنه: فتوسَّمْتُ أنَّها أُمِّي صَفيَّةُ، قال: فخرَجْتُ أسعى إليها فأَدْرَكْتُها قبل أن تُنهي إلى القتلى قال: فلَومَتْ في صدري وكانت امرأةً جَلْدَةً قالت: إِلَيْكَ لاَ أَرْضَ لك، قال: فقلتُ: إنَّ رسولَ اللَّه ﷺ عزم عليك، قال: فوَقَفَتْ وأَخْرَجَت ثَوْبَيْنِ معها، فقالت: هذان ثوبان جئتُ بهما لأخي حمزة، فقد بلغني مَقتَلُه فكَفِّنُوه فيهما، قال: فجئْنا بالثَّوْبَيْنِ لنُكَفِّنَ فيهما حمزةَ فإذا إلى جنبه رجلٌ من الأنصار قتيلٌ قد فُعِلَ به كما فُعِلَ بحمزة قال: فوجدنا غضاضةً وحياءً أن نُكفِّنَ حمزةَ في ثوبَيْن والأنصاري لا كَفَنَ له، فقلنا لحمزةَ ثوبٌ وللأنصاري ثوبٌ فقدَّرْنَاهُمَا فكان أحدُهما أَكْبَرَ من الآخر، فأقرعنا بينهما، فكَفَّنَّا كلَّ واحدٍ منهما في الثَّوب الَّذي صار له[20].

قال ابنُ رجب: «ومنها: إذا اجتمع مَيِّتان فبذل لهما كفنان وكان أحد الكفنَيْن أَجْوَدَ من الآخر ولم يُعيِّن الباذلُ ما لكل واحد منهما فإنَّه يُقرَعُ بينهما؛ لما ورد في السُّنَّة بذلك»[21].

وممَّا يتعلَّق بالدَّفن فيما قد تستوي صفات الموتى ما ذكره رحمه الله في شرحه للبخاري: «إنَّه لو قدم بميِّتَيْن إلى مكان مُسبَّلٍ من مقبرة مُسبَّلة في آن واحد، فإن كان لأحدهما هناك ميزةٌ من أهلٍ مدفونين عنده أو نحو ذلك قُدِّمَ، وإن استويا أقرع بينهما، ولو دفن اثنان في قبر واستويا في الصِّفات أقرع بينهما، فقدم إلى القبلة من خرجت له القرعة، وفعله معاذ بن جبل رضي الله عنه بامرأتَيْن له دفنهما في قبر»[22].

الحديث السَّادس: عن النُّعمان بن بشير رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَثَلُ المُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللهِ والوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً، فصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا وصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلاَهَا، فكَانَ الَّذي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بالمَاءِ على الَّذينَ في أعلاها، فتَأَذَّوْا به، فأَخَذَ فَأْسًا فجَعَلَ يَنقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَأَتَوْهُ فقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِي ولا بُدَّ لي منَ المَاءِ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ ونَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ»[23].

قال ابنُ حجر: «أي اقترعوها فأخذ كلُّ واحد منهم سهمًا أي نصيبًا من السَّفينة بالقرعة بأن تكون مُشتَرَكةً بينهم؛ إمَّا بالإجارة وإمَّا بالملك، وإنَّما تقع القرعة بعد التَّعديل ثم يقع التَّشاحُّ في الأنصبة فتقع القرعة لفصل النِّزاع كما تقدَّم، قال ابنُ التِّين: وإنَّما يقع ذلك في السَّفينة ونحوها فيما إذا نزلوها معًا، أمَّا لو سبق بعضُهم بعضًا فالسَّابقُ أحقُّ بموضعه، قلتُ: وهذا فيما إذا كانت مُسبَّلَةً مثلاً، أمَّا لو كانت مملوكةً لهم مثلاً فالقرعة مشروعةٌ إذا تنازعوا والله أعلم»[24].

الحديث السَّابع: عن أمِّ العلاء رضي الله عنها أنَّ عثمان بن مظعون طار لهم سهمُه في السُّكنَى حين أَقْرَعت الأنصار سكنى المهاجرين، قالت أمُّ العلاء: فسكَنَ عندنا عثمانُ بنُ مظعون، فاشتكى، فمرَّضْنَاه حتَّى إذا تُوفِّيَ، وجعلناه في ثيابه، دخل علينا رسولُ الله ﷺ فقلتُ: رحمةُ الله عليك أبا السَّائب، فشهادتي عليك، لقد أكرَمَكَ اللهُ، فقال لي النَّبيُّ ﷺ: «ومَا يُدْرِيكِ

(15) «السَّيل الجرَّار» (3/376).
(16) «شرح النَّووي» (11/119)، وانظر «فتح الباري» لابن رجب (5/286) ولابن حجر (2/127).
(17) «المفهم» (4/357).
(18) رواه البخاري (615)، ومسلم (437).
(19) «شرح مسلم» للنَّووي (1/139).
(20) رواه أحمد في «مسنده» (1418) وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (3/165).
(21) «قواعد ابن رجب» (3/200).
(22) «فتح الباري» لابن رجب (5/288).
(23) البخاري (2686).
(24) «فتح الباري» (5/363).

أَنَّ اللهَ أَكْرَمَهُ؟!»، فقلتُ: لا أدري، بأبي أنتَ وأمِّي يا رسول الله، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَمَّا عُثْمَانُ فَقَدْ جَاءَهُ واللهِ الْيَقِينُ، وإنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، واللهِ مَا أَدْرِي وأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِهِ»، قالت: فو الله، لا أزكِّي أحدًا بعده أبدًا، وأحزنني ذلك، قالت: فنِمْتُ، فأُرِيتُ لعثمان عينًا تجري، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «ذَاكَ عَمَلُهُ»[25].

والشَّاهد من هذا الحديث قولُها فيه: «أَنَّ عثمان بنَ مظعون طار لَهُمْ سَهْمُهُ في السُّكْنَى»، قال ابن حجر: «ومعنى ذلك أنَّ المهاجرين لما دَخلُوا المدينةَ لم يكن لهم مساكن، فاقترع الأنصارُ في إنزالهم، فصار عثمان ابنُ مظعون لآل أمِّ العلاء فنزل فيهم»[26].

الحديث الثَّامن: عن أبي هريرة رضي الله عنه «أَنَّ النَّبيَّ ﷺ عرض على قوم اليمينَ فأسرعوا، فأَمَرَ أن يُسهَمَ بينهم في اليمين أيُّهم يَحلِف»[27].

قال ابنُ حجر: «صورة الاشتراك في اليمين أن يتنازع اثنان عينًا ليست في يد واحد منهما ولا بيِّنَةَ لواحد منهما فيقرع بينهما فمن خرجت له القرعة حلف واستحقَّها»[28].

اختلاف العلماء في القرعة

بهذه النُّصوص الَّتي مضت احتجَّ جماهيرُ علماء الأمَّة على مشروعيَّتها - على خلاف بينهم في بعض الفروع -. وخالف في ذلك بعض الأحناف، لكونها عندهم قمارًا ومخالفةً للقياس، فقالوا: رأينا القرعة قمارًا ومَيسرًا وقد حرَّمه الله في سورة المائدة وهي من آخر القرآن نزولاً وإنَّما كانت مشروعةً قبل ذلك![29].

وقال الجمهورُ: قد شرع اللهُ ورسولُه القرعة، وأخبر بها عن أنبيائه ورسله مُقرِّرًا لحُكمها، غير ذامٍّ لها، وفعلها رسولُ الله ﷺ وأصحابُه من بعده، وقد صانهم الله سبحانه عن القمار بكلِّ طريق، فلم يَشرَعْ لعباده القمارَ قطُّ، ولا جاء به نبيٌّ أصلاً، فالقرعةُ شَرعُه ودينُه وسنَّةُ أنبيائه ورُسُله، ثمَّ القرعة لتمييز نصيب موجود، فهي أمارةٌ على إثبات حكم قطعًا للخصومة، أو لإزالة الإبهام[30].

وقال أبو الحارث كتبتُ إلى أبي عبد الله - أي أحمد بن حنبل - أسأله فقلت: إن بعضَ النَّاس يُنكِرُ القرعةَ ويقول هي قمار اليوم، ويقول هي منسوخة! فقال أبو عبد الله: «من ادَّعى أنَّها منسوخةٌ فقد كذب وقال الزُّور، القُرعَةُ سنَّةُ رسول الله ﷺ، أقرع في ثلاثة مواضع، أقرع بين الأَعبُدِ السِّتَّةِ، وأقرع بين نسائه لمَّا أراد السَّفر، وأقرع بين رجلين تدارءا في دابَّة، وهي في القرآن في موضعين»[31].

وقال الإمامُ أحمد رحمه الله: «القُرعَةُ حكمُ رسولِ الله ﷺ وقضاؤه، فمن ردَّ القرعة فقد ردَّ على رسول الله ﷺ قضاءَه وفعلَه»، ثمَّ قال: «سبحان الله! لمن قد علم بقضاء النَّبيِّ ﷺ ويفتي بخلافه، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ وقال: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾».

وقال عبدُ الله الحُمَيْدي: «من قال بغير القرعة فقد خالف رسولَ الله ﷺ في سُنَّته الَّتي قضى بها وقضى بها أصحابُه بعده».

وقال أبو عُبَيْد القاسم بنُ سلاَّم في شأن القرعة: «أرى أنَّها من أمر النُّبوَّة».

وقال ابنُ المُنذر: «واستعمال القرعة كالإجماع من أهل العلم فيما يقسم بين الشُّركاء، فلا معنى لقول من ردَّها»[32].

وقال الشَّوكاني رحمه الله - في سياق الكلام على حديث عمران السَّابق في عتق الأعبد -: «وليس بيد من أنكر العمل بالقرعة إلاَّ التَّشبُّث بالهباء وتأثير آراء الرِّجال على الشَّريعة الواضحة الَّتي ليلها كنهارها، وكيف لا يثبت مثلُ هذا الحكم فيمن هو دون هؤلاء السِّتَّة الأعبُد في استحقاق العتق، وهو من كان واحدًا من جماعة وقع عليه العتق ثمَّ التبس بهم فلم يعرف من هو الذي وقع عليه العتق؟ فإنَّ كلَّ واحد منهم ليس له إلاَّ مجرد احتمال أن يكون العتق واقعا عليه، فإن الرجوع إلى القرعة في مثل هذا ثابت بالفحوى، ومن ترك العمل بمثل هذه السُّنَّة الواضحة زاعمًا بأنها مخالفة للأصول فليس لهذه الأصول وجود، وليست إلاَّ مُجرَّد قواعد لم تدلَّ عليها رواية، ولا شهدت لها دراية، على أنَّ الرُّجوعَ إلى القرعة والعمل بها، قد وقع من الشَّارع في مواضع أخرى، فعرفت بهذا أنَّ القرعة شرعٌ ثابت واضحٌ تنقطع به الشُّبَه، وتثبت به الحقوق»[33].

(25) البخاري (2687).
(26) «فتح الباري» (5/362).
(27) البخاري (2674).
(28) «فتح الباري» (5/352).
(29) انظر: «الطُّرق الحكميَّة» (ص440)، «فتح الباري» (5/361)، «الفروق» للقرافي (4/215).
(30) «الطُّرق الحكميَّة» (ص441)، «الموسوعة الفقهيَّة الكويتيَّة» (4/81).
(31) قال ابنُ القيِّم في «الطُّرق الحكميَّة» (ص420): «يُريدُ أنَّه أقرع بنفسه ثلاثةَ مواضع، وإلاَّ فأحاديث القرعة أكثر».
(32) «تفسير القرطبي» (3/57).
(33) «السَّيل الجرَّار» (3/376).

في كيفيَّةِ القرعة

ذكـر العلمـاء والأئمـة بعضَ طرق القرعة، من ذلك:

ما جاء عن سـعيد بنِ المُسـيِّب رحمه الله أنْ يأخذ خواتيمهم فيضعها في كمِّه فمن خرج أوَّلًا فهو القارع.

وقـال أبو داود: قلتُ لأبي عبد الله: في القرعة يكتبون رقاعًا؟ قال: إن شاؤوا رقاعًا وإن شاؤوا خواتيمَهم.

وقال ابنُ منصور: قلتُ لأحمد: كيف يُقرَع؟ قال: بالخاتم وبالشَّيءِ.

وسـئل الإمـامُ أحمـد: كيـف تكـون القرعـة؟ قـال: يُلقِي خاتَمًـا، يُروَى عن سـعيد بن جُبَيْر: وإن جعل شيئًا في طين، أو يكون علامة قدر ما يعرف صاحبه إذا كان له فهو جائز.

وقـال الأثـرم: قلـتُ لأبي عبـد الله: كيـف القرعـة؟ فقال: سـعيد بـن جبير يقـول: بالخواتيم، أقرع بين اثنين في ثوب فأخرج خـاتم هذا وخاتم هـذا، قال: ثمَّ يخرجـون الخواتيـم ثـم تدفـع إلى رجل فيخرج منها واحـدًا، قلت لأبي عبد الله: فـإنَّ مالكًا يقـول: تكتب رقـاع وتجعل في طين، قال: وهذا أيضًا[34].

فالظَّاهـر من هـذه الآثـار أنَّ الأمرَ واسع، وليس المقصود تعيين كيفيَّة مُعيَّنة وإنَّما على شـاكلة ما ذكـره الأئمَّةُ أو ما يشبهه، والله أعلم.

مواضع القرعة

قال القـرافي رحمه الله: «الفرق الأربعون والمائتان: بـين قاعدة ما يصـحُّ الإقراعُ فيه وبين قاعدة ما لا يصِحُّ الإقراعُ فيه:

اعلـم أنَّـه متـى تعيَّنت المصـلحةُ أو الحقُّ في جهـة لا يجوز الإقراعُ بينه وبين غـيره؛ لأنَّ في القرعة ضـياعَ ذلك الحقِّ المُتعيِّن أو المصلحة المُتعيِّنَة، ومتى تساوت الحقـوقُ أو المصـالح فهـذا هو موضـع القرعـة عنـد التَّنـازع؛ دفعًا للضَّـغائن والأحقاد والرِّضـا بما جـرت به الأقدار وقضى به الملِكُ الجبَّار، فهي مشروعة:

بين الخلفاء إذا استوت فيهم الأهليَّةُ للولايـة، والأئمَّـة والمُؤذِّنين إذا اسـتَوَوْا، والتَّقـدُّم للصَّـفِّ الأوَّل عنـد الازدحام، وتغسـيل الأمـوات عند تزاحـم الأولياء وتساويهم في الطِّبقات، وبين الحاضنات والزَّوجـات في السَّـفر والقِسـمَة، والخصوم عند الحُكَّام، وفي عتق العبيد إذا أوصـى بعتقهـم أو بثلثهم في المرض ثمَّ مات»[35].

وتفصيـل مـا ذكره القـرافي رحمه الله أنَّ مواضـعَ استعمال القرعـة أربعةُ أقسام هي:

الأوَّل: في تمييـز المُسـتَحَقِّ إذا ثَبـتَ الاسـتحقاق ابتداءً لمُبهَم غيرِ مُعيَّن عند تسـاوي المُسـتحِقِّين: كعَقد الخلافة إذا اسـتووا في الإمامة، واجتماع الأولياء في النِّكاح، والورثة في اسـتيفاء القِصاص، وغسـل الميِّـت والصَّـلاة عليـه، وفي الحاضـنات إذا كنَّ في درجـة، وكذا في ابتداء القَسْـم بين الزَّوجات في الأصـحِّ لاستوائهنَّ في الحقِّ، والتَّزاحم على أخذ اللَّقيـط، ...ونحوهـا، فوجبـت القرعة لأنَّها مُرجِّحةٌ.

الثَّاني: في تمييز المُسـتَحَقِّ المُعيَّن في نفـس الأمر عنـد اشـتباهه والعجز عن الاطِّلاع عليه:

كمن طلَّق إحدى زوجاتِه وقد عيَّنها، ثمَّ بعد ذلك نَسِيَ المُعيَّنَة، فحينئذ إحدى الزَّوجـات طالـقٌ، فيُعـيِّن تلـك الزَّوجةَ المُطلَّقةَ بواسطة القرعة.

الثَّالث: في تمييز الأملاك؛ كالإقراع بـين الشُّـركاء عند تعديل السِّـهام في القسمة.

الرَّابـع: في حقـوق الاختصاصـات: كالتَّزاحم على الصَّـفِّ الأوَّل، وفي إحياء الموات، ونيـل المعدن، ومقاعد الأسـواق الَّتي يباع فيهـا، أو دعاه اثنان إلى وليمة واستويا في الصِّفات المُرجِّحة من تقديم الأسـبق أو الأقرب رحمًا أو الأقرب دارًا كلُّ ذلك قد استويا فيه[36].

ولكن ينبغي التَّنبيه على أنَّه لا مَدخَل للقرعة في العبادات المحضـة كالصَّـلاة؛ كمن ترك صلاةً لكن لا يدري أهي الظُّهرُ أم العصـر؟ أو شـكَّ في رمـي الجمرات مثلاً هل رمى سـتًّا أو سـبعًا؟ أو شـكَّ في عـدد الطَّواف والسَّـعي؛ فإنَّـه لا يقرع في ذلـك وإنَّمـا عليـه أن يجتهد؛ فـإن غلب على ظنِّه شيءٌ عمل به على الرَّاجح، وإن لم يغلـب على ظنِّه شـيءٌ فإنَّـه يَبني على اليقين وهو الأقلُّ دائمًا، والله تعالى أعلى وأعلم[37].

نماذج من استعمال السَّلف للقرعة

كان السَّـلف ـ رحمهم الله ـ يعتمدون القرعـةَ في كثير من الأمـور ويُحكِّمُونَها في عديـد من القضـايا، وأجتَـزِئُ بذكر

---

(34) انظر هـذه الآثـار في «الطُّـرق الحكميَّـة» (ص423).

(35) «الفروق» (415/4).

(36) انظـر هـذه الأقسـام: «قواعـد ابـن رجب» (195/3)، «المنثور في القواعد» للزَّركشي (62/3)، «فتح الباري» (361/5)، وقد بسط فـروعَ هذا الأصـل الحافظ ابنُ رجب في كتابه «القواعد» بشـكل مُوسَّع في أبواب الفقه، فليُرجَعْ إليه.

(37) انظـر: «قواعد ابن رجب» (195/3)، «المنثور في القواعد» للزَّركشي (64/3).

حادثَتَيْن في ذلك:

الأولى: قال شقيقُ بن عبد الله: افتتحنا القادسيَّةَ صدر النَّهار فتراجعنا وقد أصيب المُؤذِّن، فتشاحَّ النَّاسُ في الأذان بالقادسيَّة، فاختصموا إلى سعدِ ابنِ أبي وقَّاص، فأقرَعَ بينهم فخرجت القرعةُ لرجل منهم فأذَّن[38].

الثَّانية: قد اجتمع بالدِّيار المصريَّة محمَّد بنُ نَصر، ومحمَّد بنُ جرير الطَّبري، ومحمَّد بنُ المُنذِر، فجلسوا في بيت يكتبون الحديثَ ولم يكن عندهم في ذلك اليوم شيءٌ يقتَاتُونَه، فاقترعوا فيما بينهم أيُّهم يَخرُجُ يسعى لهم في شيءٍ يأكلونَه، فوقعت القرعةُ على مُحمَّدِ ابنِ نصر، فقام إلى الصَّلاة فجعل يُصلِّي ويدعو الله عز وجل، وذلك وقتُ القائلة، فرأى نائبُ مصر: وهو طولون ـ وقيل: أحمد بن طولون ـ في منامه في ذلك الوقت رسولَ الله ﷺ وهو يقول له: أدرِك المُحدِّثين فإنَّهم ليس عندهم ما يقتاتونه، فانتبه من ساعته فسأل: من ها هنا من المُحدِّثين؟ فذُكِرَ له هؤلاء الثَّلاثة، فأرسل إليهم في السَّاعة الرَّاهنة بألف دينار، فدخل الرَّسولُ بها عليهم وأزال الله ضررَهم ويَسَّرَ أمرَهم.

واشترى طولون تلك الدَّار وبناها مسجدًا وجعلها على أهلِ الحديث وأَوْقَفَ عليها أوقافًا جزيلةً[39].

فوائد القرعة

1 ـ اتِّباعُ السُّنَّة النَّبويَّة وموافقةُ الهدي النَّبوي، واجتنابُ معارضةِ النَّبيِّ ﷺ فيما قضى به.

(38) ذكره البخاري تعليقًا في باب: الاستهام في الأذان (115/1).

(39) انظر «البداية والنِّهاية» (454/4).

2 ـ أنَّ التَّعيينَ بها في الحقوق المتساوية أَوْلَى من التَّعيين بالاعتراض والتَّشهِّي، أو الميل والحيف.

3 ـ أنَّ القُرعةَ مُزيلةٌ للتُّهمَة ومُبعِدَةٌ عن التَّشكيك وما يفضي إلى الخصومة والمشاجرة، ورافعةٌ للظِّنَّة عمَّن يتولَّى القسمةَ من القاضي ومَنْ في حُكمه[40]، فمثلاً إذا عيَّن القاضي برأيه أحدَ النِّصفَيْن لزيد، وكان بكرٌ يريده، ظنَّ بكرٌ أنَّ القاضي إنَّما مال مع هواه، فينشأ بذلك سوء ظنِّ النَّاس بالقاضي، وما يجرُّ ذلك من مفاسد، ولذا فإباحة القسمة للقاضي فتحٌ لباب الهوى ومنافٍ للحكمة[41].

4 ـ تعتَبَرُ أصلاً في تعيين المستحَقِّ إذا أشكل، قال ابنُ العربي: «والحقُّ عندي أن تَجريَ في كلِّ مُشكِلٍ، فذلك بيِّن لها، وأقوى لفصل الحكم فيها، وأجلى لرفع الإشكال عنها»[42].

5 ـ وأيضًا فإنَّها تفويضٌ إلى الله ليُعيِّن بقضائه وقدره ما ليس لنا سبيلٌ إلى تعيينه والله أعلم[43].

والله نسأل أن يوفِّقنَا للاقتداء بنبيِّنا ﷺ فيما جلَّ من سنَّته وما دقَّ، وأن يهدينا إلى صراطه المستقيم، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

■■■

(40) كالزَّوج في استصحاب إحدى نسائه للسَّفر.

(41) «التَّنكيل» (941/2).

(42) «أحكام القرآن» لأبي بكر ابن العربي (38/4).

(43) «الطُّرق الحكميَّة» (ص442).

لطيفة:

نقل الخطيبُ البغدادي عن أبي عثمان البرذعي، قال: «قلتُ لأبي زرعة عبيدِ الله بنِ عبد الكريم: بِشرُ بنُ يحيى ابن حسَّان؟ قال: خراساني من أصحاب الرَّأي، وكان أعلى أصحاب الرَّأي بخراسان، فقَدِمَ علينا وكتبنا عنه، وكان يناظر، واحتجُّوا عليه بطاوس، فقال بالفارسيَّة: يحتجُّون علينا بالطُّيور، قال أبو زرعة: كان جاهلاً، بلغني أنَّه ناظَرَ إسحاقَ بنَ رَاهَوَيْه في القُرعَة، واحتَجَّ عليه إسحاقُ بتلك الأخبار الصِّحاح فأَفْحَمَه، فانصرفَ ففتَّشَ كُتُبَه، فوجدَ في كتُبِه حديثَ النَّبيِّ ﷺ أنَّه نهى عن القَزَع فقال: لأصحابه قد أصبتُ حديثًا أكسِرُ به ظَهرَه، فأتى إسحاقَ فأخبره، فقال له إسحاق: إنَّما هذا القزَعُ أن يُحلَقَ رأسُ الصَّبيِّ ويُترَكَ بعضٌ»[44].

(44) «الكفاية» للخطيب البغدادي (184/1).







البركة مع أكابركم



عبد الغني عوسات

إنَّ الحرص على تحصيل الخير وتثبيته من خير الموارد، والسعي في سبيل إدامته وتنميته من أفضل المعاقد، والعزم على توفير مجاله وتكثير خصاله من أخلص المقاصد، تلك هي خصائص البركة ومقوماتها . وماهيتها وكنهها . وكذلك سمات أهلها في استحضارها واستصحابها واستشعارها . إيقاعا وموافقةً .، فالبركة من المطالب الجليلة التي يرجوها العبد في حياته في عموم أحواله، بل في كل شؤونه، وهي كذلك من المكاسب الجميلة التي يفرح بها ويسعد طالبها وصاحبها، وهي منة وهبة من الله تعالى على من يشاء من عباده والتي تنال بطاعته . في أمره ومراده . قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكل شيء لا يكون لله فبركته منزوعة؛ فإن الله تعالى هو الذي تبارك وحده، والبركة كلها منه، وكل ما نسب إليه مبارك»[1].

وإن المبارك من الناس أينما كان هو الذي ينتفع به حيث حل أو ارتحل، ويستفاد منه إذا قال شيئا أو عمل، فهذا الصنف من الناس هم الأكابر من ذوي العلم والفضل، وهم الذين تنفع العبد مجالستهم، وتفيده مساءلتهم، وتهديه متابعتهم، وتحميه مسايرتهم، ويسعد ولا يشقى من اقتدى بهم، وهم الذين جاءت الإشادة والتنويه بفضائلهم وخصائصهم، وثبتت الإشارة والتوجيه بلزوم غرزهم . بالرجوع إليهم والصدور عنهم وعدم العدول بهم إلى غيرهم . فقد جاء بذلك التوجيه النَّبويُّ كما في رواية ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «البركة مع أكابركم»[2]، هم الأكابر حسًّا ومعنى، قدرًا وأثرًا.

«فالبركة مع أكابركم المجربين للأمور، والمحافظين على تكثير الأجور فجالسوهم لتقتدوا برأيهم وتهتدوا بهديهم، أو المراد من له منصب العلم وإن صغر سنه، فيجب إجلالهم حفظا لحرمة ما منحهم الحق سبحانه وتعالى، وقال شارح «الشهاب»: هذا حث على طلب البركة في الأمور والتبجح في الحاجات بمراجعة الأكابر لما خصوا به من سبق الوجود وتجربة الأمور وسالف عبادة المعبود، قال تعالى: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ [يُوسُف : 80] وكان في يد المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواك فأراد أن يعطيه بعض من حضر، فقال له جبريل: كبر كبر، فأعطاه الأكبر[3]، وقد يكون الكبير في العلم أو الدين فيقدم على من هو أسن»[4].

وقال الكلاباذي: «الكبراء، أي: ذوو الأسنان والشيوخ الذين لهم تجارب، وقد كملت عقولهم، وسكنت حدَّتُهم، وكملت آدابهم، وزالت عنهم خفَّة الصِّبى، وحدَّة الشَّباب، وأحكموا التجارب، فمن جالسهم تأدب بآدابهم وانتفع بتجاربهم، فكان سكونهم ووقارهم حاجزا لمن جالسهم وزاجرا لهم عما يتولد من طباعهم»[5].

---

(1) «الداء والدواء» (ص202).

(2) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (559)، والحاكم في «المستدرك» (62/1)، وقال الحاكم: «صحيح على شرط البخاري»، ووافقه الذهبي، وقال الألباني: «وهو كما قالا»، [«الصحيحة» (1778)].

(3) انظر «صحيح البخاري» (246) بمعناه.

(4) قاله المناوي في «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (325/4).

(5) «بحر الفوائد» (129/1).



وإن الناس لن يزالوا بخير وصلاح وأجر وفلاح ما داموا مرتبطين بأكابرهم - ذوي العلم والفضل - ومنضبطين بتعاليمهم، وكانوا آخذين عنهم علومهم؛ فإنهم إن حرموا ذلك أو تركوه كذلك هلكوا بذلك، ويؤيد هذا ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لن يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أكابرهم، وذوي أسلافهم، فإذا أتاهم من قبل أصاغرهم هلكوا»[6]، ففي هذا الحديث تحذير ونكير عن الإقبال على الأصاغر مع وجود الأكابر؛ لأن ذلك مظنة الهلكة، ومن مساوئ ذلك ما حذر منه ابن مسعود في قوله: «إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في ذوي أسنانكم، فإذا كان العلم في الشباب أنف ذو السن أن يتعلم من الشباب»[7]، قال ابن قتيبة: «يريد: لا يزال الناس بخير ما كان علماؤهم المشايخ، ولم يكن علماؤهم الأحداث؛ لأن الشيخ قد زالت عنه متعة الشباب وحدته وعجلته وسفهه، واستصحب التجربة والخبرة، فلا يدخل عليه في علمه الشبهة، ولا يغلب عليه الهوى، ولا يميل به الطمع، ولا يستزله الشيطان استزلال الحدث، ومع السن والوقار والجلالة والهيبة، والحدث قد تدخل عليه هذه الأمور التي أمنت على الشيخ فإذا دخلت عليه وأفتى هلك وأهلك»[8].

(6) رواه الطبراني في المعجم الكبير (114/9)، ورواه ابن المبارك في الزهد (815) بلفظ: «لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أصحاب محمد ﷺ وأكابرهم».

(7) رواه أبو خيثمة في العلم (155).

(8) «الفقيه والمتفقه» (379/2).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «قد علمت متى صلاح الناس ومتى فسادهم؛ إذا جاء الفقه من قبل الصغير استعصى عليه الكبير، وإذا جاء الفقه من قبل الكبير تابعه عليه الصغير فاهتديا»[9]، فإن التماس الناس العلم من علمائهم الراسخين وأئمتهم المحققين دليل على سلوكهم سبيل الطلاب الصادقين واتباع طريق المهتدين، وذلك باغتنامهم للمجالس - مجالستهم ومشافهتهم - واعتمادهم المسالك - بالرحلة إليهم والرجوع إليهم - قال سلمان رضي الله عنه: «لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم الآخر، فإذا هلك الأول قبل أن يتعلم الآخر هلك الناس»[10].

ولذلك كان حرص السلف الصالح شديدا وسديدا على طلبه من أهله وعلى وجهه ووفق أدبه وحقه وحده، فكانوا يجالسون أهله ويخاللون حملته ويخالطون طلبته، قال أبو الدرداء: «من فقه الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه مع أهل العلم»[11]، وقال أبو جحيفة رضي الله عنه: «جالس الكبراء وخالل العلماء وخالط الحكماء»[12]، فكان ذلك سبب الثناء وسلم السناء لطلبهم العلم عن

(9) وفي رواية: «ألا وإن الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم ولم يقم الصغير على الكبير، فإذا قام الصغير على الكبير فقد»، أي: فقد هلكوا، رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (158/1)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (84/1).

(10) رواه الدارمي (278/1).

(11) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (127/1).

(12) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (126/1).

أهله العلماء الأمناء الكبراء الفضلاء، فقد استهل الإمام البخاري كتاب العلم - الذي جعل أبوابه كثيرة وفوائده غزيرة حيث صيرها وجعلها ثلاثة وخمسين بابا ببابٍ ترجمه وصدره بقوله: باب فضل العلم وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [سُورَةُ المُجَادَلَةِ]، وقوله ﷻ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [سُورَةُ طه].

فالأكابر هم الذين يرجع إليهم عند وقوع النوازل والمستجدات وحلول العوارض والمعضلات وحصول الفتن والمدلهمات، وذلك لأن نظراتهم ثاقبة بعيدة، وآراءهم صائبة رشيدة، وأحكامهم جامعة سديدة، وآثارهم مانعة حميدة، فكما أن صلاح العالَم بفتيا العالِم، فكذلك صلاح الأصاغر وفلاحهم في اتباع الأكابر وملازمتهم، فلا يفتئتون عليهم ولا يتقدمون بين أيديهم ولا يسبقونهم بالقول - في المسائل فضلا عن المشاكل -، وإنما يُرجعون القول إليهم ويُصدِرون بالقول عنهم، فهم الذين جعل الله سبحانه وتعالى عماد الناس عليهم في العلم والعمل وفي أمور الدين والدنيا، قال الآجري رحمه الله: «فما ظنُّكم - رحمكم الله - بطريق فيه آفات كثيرة، ويحتاج الناس إلى سلوكه في ليلة ظلماء، فإن لم يكن فيه ضياء وإلا تحيَّروا، فقيَّض الله لهم فيه مصابيح تضيء لهم، فسلكوه على السلامة والعافية، ثم جاءت طبقات من الناس لا بد لهم من السلوك فيه فسلكوا، فبينما هم كذلك إذ طفئت المصابيح فبقوا في الظلمة، فما ظنكم بهم؟ هكذا العلماء فيه الناس لا يعلم كثير من الناس كيف أداء الفرائض ولا كيف اجتناب المحارم، ولا كيف يُعبَد الله في جميع ما يعبده به خلقُه إلا ببقاء العلماء، فإذا مات العلماء تحير الناس ودرس العلم بموتهم وظهر الجهل، فإنا لله وإنا إليه راجعون، مصيبة ما أعظمها على المسلمين»[13]، وفي هذا جاء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ].

قال عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة، عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها، فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك، وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته لم يذيعوه، ولهذا قال: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ أي يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة، وفي هذا دليل لقاعدة أدبيَّة وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من

(13) «أخلاق العلماء»، (ص30).



الأمـور ينبغـي أن يولَّى إلى مـن هو أهل لذلـك، ويجعل إلى أهلـه، ولا يتقدم بين أيديهم فإنه أقرب إلى الصـواب وأحرى للسـلامة من الخطـأ، وفيـه النهي عن العجلة والتسـرع لنشـر الأمـور من حين سـماعها، والأمـر بالتأمل قبـل الكلام، والنظر فيه هل هو مصـلحة فيقدم عليه الإنسان أم لا فيحجم عنه»[14].

فالعلمـاء الأكابـر نفعهـم للعامـة ظاهـر، فأقدامهـم في العلـم راسـخة وعقولهـم للحكمة جامعـة، وتوجيهاتهم للأمـة نافعـة، وكلماتهـم لسـامعيها ومبلِّغيهـا ماتعـة، وتحذيراتهم للعاملين بها من الشـر مانعة، كيف لا وهم الذين لو وردت عليهم الشبه بعدد أمواج البحر أو نجوم السـماء مـا أذهبت ثباتهم، ولا أزالـت يقينهـم، ولا ألقـت في نفوسـهم شـكا، بله فلا تسـتفزهم الشـبهات ولا تسـتهويهم الشـهوات، وليـس ذلـك إلا للعلمـاء الذين هـم أمنة للأمـة جمعاء في كل الأرجاء، أولئك هم ورثة الأنبياء، فهم حملة الخيـر - العلم النافع - الأمناء والأدلاء على الهدى الحكماء، والقائمون علـى تعليمـه الناس وتعميمـه بينهـم، المخلصون النزهاء، والذابون عن رياضه وحياضـه في وجـه المتعالمـين الدخـلاء، والمبطلـين والجهـلاء، وفي الحديـث: «يحمـل هذا العلم مـن كل خلف عدوله، ينفـون عنـه تحريـف الغالـين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»[15]، فإنهم هم الذين يسوسون العباد والبلاد والممالك، فـإذا ذهب العلماء أو قـام مقامهم غير العلمـاء مـن المتعالمـين والدخـلاء حلت بالأمة بل العالم المصائب النكراء وفشت بها الوقائع الشنعاء.

وفي هـذا السـياق جـاء قولـه ﷺ: «حتـى إذا لم يبـق عـالم اتخـذ النـاس رؤوسـا جهالا فسـئلوا فأفتـوا بغير علم فضلـوا وأضـلوا»[16]، وقـال الحسـن: كانـوا يقولـون: «مـوت العـالم ثلمـة في الإسـلام لا يسدُّها شيء ما اختلف الليل والنهـار»[17]، كثيرا ما حـذَّر العلماء من هذا الداء الخطير وأنذر الحكماء خطره المسـتطير، فالتنبه له أمر لازم وجدير، فكانوا يذكرون أسبابه ودواعيه وينكرون - كذلـك - وسـائله وذرائعه، ومن ذلك ما أشـار إليـه الحافظ ابن رجـب الحنبلي قائـلا: «وقد ابتلينـا بجهلة مـن الناس يعتقـدون في بعض من توسـع في القول مـن المتأخريـن أنـه أعلم ممـن تقدم، فمنهم مـن يظن في شـخص أنـه أعلم مـن كل مـن تقدم مـن الصـحابة فمن بعدهـم لكـثرة بيانـه ومقالـه، وقد فتن كثير مـن المتأخرين بهـذا فظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصـامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك، وهذا جهل محض، وانظر إلى أكابر الصحابة وعلمائهـم كأبي بكر وعمـر وعلي ومعاذ وابن مسـعود وزيـد بن ثابـت كيف كان كلامهـم أقل من كلام ابـن عباس وهم أعلم منه»[18].

فليـس للأصـاغر منازعـة الأكابر، وليـس للطـلاب مجادلة العلمـاء، وإنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم والصـبر بالتصـبر، فمسـايرتهم بجميل السيرة والأدب بريد وسـبيل حسـن التحصـيل والطلـب، ومـن منـع الأصول حـرم الوصول، ومن استعجل الشيء قبل أوانه جوزي بحرمانه.

قال إسـماعيل بن أبي خالد: «مشى أبـو سـلمة بن عبـد الرحمن يومـا بيني وبين الشعبي، فقال له الشعبي: من أعلم أهـل المدينة؟ قال: رجل يمشـي بينكما، قال الشـعبي: فسـألته عن أربع مسـائل فأخطـأ فيهـن كلهـن، وكان أبـو سـلمة ينـازع ابن عبـاس في مسـائل ويماريه، فبلـغ ذلك عائشـة رضي الله عنها فقالـت: إنما مثلـك يا أبا سـلمة مثـل الفَرُّوج، سـمع الديكة تصـيح فصـاح معها! يعني: أنك لم تبلغ مبلغ ابن عباس وأنت تماريه»[19]، وقال الشـعبي: كان أبو سلمة يماري ابن عباس فحرم بذلك علما كثيرا[20]، وقال سـفيان الثوري رحمه الله: «إذا رأيت الشـاب يتكلم عنـد المشـايخ وإن كان قد بلغ من العلم مبلغـا، فآيس من خيره، فإنه قليل الحياء»[21].

والحمد لله ربِّ العالمين.

■■■

(14) «تيسير الكريم الرحمن» (ص190).
(15) «مشكاة المصابيح» تحقيق الألباني (23/1).

(16) طـرف مـن حديـث عبـد الله بـن عمـرو ابن العاص رضي الله عنه رواه البخاري (100)، ومسـلم (2673).
(17) رواه الدارمي (333).
(18) «فضل علم السلف على علم الخلف» (ص48).

(19) «تاريخ دمشق» (305/29).
(20) «جامـع بيـان العلـم وفضلـه» لابـن عبـد البر (254/1).
(21) «المدخل» للبيهقي (ص388).

مقاتل أهل السنة بأيدي الرافضة



حمزة بوروبة
مرحلة الدكتوراه علوم الحديث جامعة باتنة

إنَّـه من الفتن الكُبرى الَّتي استطار شـرُّها، واحتدم خطرُهـا علـى البلاد الإسـلاميَّة مَشـرقًا ومغربًـا هـو المـدُّ الرَّافضي الشِّـيعي من أبناء القرامطَة، وما يحملهُ من العقائد الباطلة، ومظاهر الوثنيَّـة، ومشـابهة الجاهليَّـة، والدِّيـن المُحـرَّف، والأعمـال الشَّـنيعة الَّتـي لا يقرُّها شـرعٌ، ولا يقبلُها عقلٌ، فصـارت قلوبُهـم بتتابع هـذه الضَّـلالات وركوب المُنكـرَات أشـدَّ سـوادًا مـن عمائمهـم السَّـوداء على رؤوسـهم الخاويـة المليئة بالمؤامَـرات والمكائـد ضـدَّ كلِّ مـا هـو إسـلامي سُـنِّي، وممَّا زاد في لهيب هذه الفتنـة وأشـعَل الفتيـلَ في زنادهـا هـو تمكُّنهم من بعض ظاهر الحياة الدُّنيا، والحضـارة المَدنية الزَّائفـة الزَّائغة، في مقابَلة الضَّعف والهوان الَّذي أصابَ أهل السُّنَّة دينًا ودنيا، ممَّا أزاغَ قلوبَ ضعاف العُقول والدِّين.

ووالله إنَّ هـذا لهـو الخطـرُ الدَّاهم علـى البلاد الإسـلاميَّة السُّـنِّيَّة في هذا الوقـتِ، كيـف لا وقـد قَويَـتْ شـوكتُهم وزاد شـرُّهم بما جُبِلـوا عليه من الكذب والـزُّور والخيانـة والحقـد الدَّفين على أهل السُّـنَّة، وانظروا إليهم لمَّا اسـتولَوا على بعض البلاد الإسلاميَّة ماذا حصلَ فيها من الفتن الَّتي جعلت الدِّيار بلاقع، وسـيلان دماء الأبرياء من أهل السُّـنَّة، ومـا حالُ أرض العـراق عنَّا ببعيد، فلقد سـقوها سُـمًّا زُعافًـا أبانـوا فيهـا عـن دسيسـتهم الخبيثـة، وأظهـروا المذهبَ الرَّافضـي الشِّـيعي السَّـبئي التَّكفيري، بشـكلٍ لا يلتبس على أحد، فنصبـوا فيه مذابح لأهل السُّـنَّة وحالُهـم فيها يقطِّع القلوبَ ويفطِّر الأكبادَ، والله المستعان.

ولقـد اعتبر عَلَـمُ الأعـلام والمحقِّق الهُمام شـيخ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ فتنةَ الرَّوافض أعظمُ من فتنة الخوارج فقـال: «وَمَذْهَـبُ الرَّافِضَـةِ شَـرٌّ مِـنْ مَذْهَبِ الخَوَارِجِ المَارِقِـينَ؛ فَإِنَّ الخَوَارِجَ غَايَتُهُـمْ تَكْفِيرُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَشِـيعَتِهِمَا، وَالرَّافِضَـةُ تَكْفِيرُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَجُمْهُورِ السَّـابِقِينَ الأَوَّلِـينَ، وَتَجْحَدُ مِنْ سُـنَّةِ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ أَعْظَمَ مِمَّا جَحَدَ بِهِ الخَوَارِجُ، وَفِيهِمْ مِنَ الكَذِبِ وَالافْتِرَاءِ وَالغُلُـوِّ وَالإِلْحَـادِ مَـا لَيْسَ فِي الخَـوَارِجِ،

وَفِيهِمْ مِنْ مُعَاوَنَةِ الكُفَّارِ عَلَى المُسْلِمِينَ مَا لَيْسَ فِي الخَوَارِجِ»[1].

وتتجلَّى مظاهرُ الحقد على أهل السُّنَّة فما يلي:

1. تكفيرُهم لأهل السُّنَّة، واعتقادُ ردَّتهم عندهم، ولقد نصَّت كتبُ الشِّيعة ومراجعُهم على أنَّ الإمامةَ أصلٌ من أصول الدِّين، وأنَّ مَن أنكرَها، أو أنكرَ أحدَ الأئمَّة فهو كافرٌ، وقد نقلَ صاحبُ كتاب «حقيقة الشِّيعة»[2] طرفًا من أقوال أئمَّة الشِّيعة في تقرير هذا الاعتقاد، أسوقُ لكَ بعضَه:

يقول رئيس محدِّثيهم محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القُمِّي المُلقَّب عندهم بالصَّدوق: «واعتقادنا فيمن جحد إمامةَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمَّة من بعده عليهم السلام أنَّه كمن جحد نبوَّةَ جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقرَّ بأمير المؤمنين وأنكر واحدًا ممَّن بعده من الأئمَّة أنَّه بمنزلة من أقرَّ بجميع الأنبياء وأنكر نبوَّةَ نبيِّنا مُحمَّد صلى الله عليه وآله»، وينقل حديثًا منسوبًا إلى الإمام الصَّادق أنَّه قال: «المنكر لآخرنا كالمنكر لأوَّلنا»[3].

ويقول شيخُهم ومُحدِّثُهم يوسف البحراني في «موسوعته» المعتمدة عند الشِّيعة: «وليت شعري أيُّ فرق بين من كفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله، وبين من كفر بالأئمَّة عليهم السلام مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدِّين»[4].

ومن هذه الأقوال السَّابقة ترى أنَّ اعتقادَ الشِّيعة بكفر أهل السُّنَّة هو الَّذي يُبرِّرُ لهم عداءَهم وخياناتِهم لهم، واستباحةِ دمائهم وأموالهم على مرِّ الأيَّام والعصور.

2. تفضيلُهم اليهودَ والنَّصارى على أهل السُّنَّة، ومن ثمَّ مُظاهَرةُ الكفَّار في حربهم على أهل السُّنَّة، وكانوا لهم نِعْمَ المُعين والنَّصير، ولهذا قالَ ابن تيمية: «إِنَّ أَصلَ كُلِّ فِتْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ هُم الشِّيْعَةُ، وَمَن انْضَوَى إِلَيْهِمْ، وَكَثِيرٌ مِنَ السُّيُوفِ الَّتِي فِي الإِسْلَامِ، إِنَّمَا كَانَ مِن جِهَتِهِم، وَبِهِم تَستَّرت الزَّنَادِقَةُ»[5] اهـ.

وقال أيضا: «فَهُم يُوالُونَ أَعْدَاءَ الدِّين الَّذِين يَعْرِفُ كُلُّ أَحَدٍ مُعادَاتهم مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالمُشْرِكِينَ، وَيُعَادُونَ أَوْلِيَاءَ اللهِ الَّذِين هُم خِيَارُ أَهْلِ الدِّين، وَسَادَاتُ المُتَّقِينَ... وكذلك كَانُوا مِن أَعْظَم الأَسبَابِ فِي اسْتِيلَاءِ النَّصَارَى قَدِيمًا على بَيْتِ المَقدِسِ حَتَّى اسْتَنْقَذَهُ المُسْلِمُونَ مِنْهُم»[6] اهـ.

وقال شَيخُ الإِسْلَامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ: «وَقَدْ رَآهُم والمُسْلِمُونَ بِسَوَاحِلِ الشَّام وَغَيْرِهَا إِذَا اقْتَتَلَ المُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى هَوَاهُم مَعَ النَّصَارَى يَنْصُرُونَهُم بِحَسَبِ الإِمْكَانِ، وَيكرَهُونَ فَتحَ مدائنهم كَمَا كَرِهُوا فَتْحَ عكَّا وَغَيْرِهَا، وَيَختَارُونَ إِدَالَتَهُم عَلَى المُسْلِمِينَ حَتَّى إِنَّهُم لَمَّا انْكَسَرَ المُسْلِمُونَ سَنَةَ غَازَان سَنَةَ تِسْعٍ وَتسعين وَخَمْسِمائَة، وَخَلَتِ الشَّامُ مِن جَيْشِ المُسلمينَ عَاثُوا فِي البِلادِ، وَسَعَوْا فِي أَنْوَاعٍ مِنَ الفَسَادِ مِنَ القَتْلِ وَأَخْذِ الأَمْوَالِ، وَحَمْلِ رَايَةِ الصَّلِيبِ، وَتَفْضِيلِ النَّصَارَى عَلَى المُسلِمينَ، وَحَمَلِ السَّبْيِ وَالأَمْوَالِ وَالسِّلَاحِ مِنَ المُسلمين إِلى النَّصَارَى بِقُبْرُص وَغَيْرِهَا، فَهَذَا وَأَمثَالُهُ قَدْ عَايَنَهُ النَّاسُ، وَتَوَاتَر عِنْدَ مَنْ لَم يُعايِنْه»[7] اهـ.

ومن شنائع الرَّافضة الَّتي بقيت عليهم عارًا في شامة التَّاريخ هو قتلُهم الذَّريع لعلماء السُّنَّة لمَّا تمكَّنوا من إقامَة دولتهم أيامَ بني عُبَيْد الفاطميِّينَ زعموا، وإلاَّ فإنَّ أصلَهم من اليهود، أَوْ إلى يهودي يرجعُ إلى مجوسي كما ذكره ابنُ تيمية حيث قال: «ويجعلونَ أئمَّةَ الباطنيَّة ـ كبني عُبَيد ابن مَيْمُونَ القدَّاح الَّذينَ ادَّعَوْا أنَّهم من وَلَدِ مُحَمَّد ابن إسماعيل بن جَعْفَر؛ وَلَمْ يَكُونُوا مِنْ أَولَادِه؛ بَل كَانَ جَدُّهم يهوديًّا ربيبًا لمجوسي وأظهروا التَّشيُّعَ، ولم يكونوا في الحقيقة على دين وَاحد من الشِّيعَة لا الإماميَّةُ ولا الزَّيْدِيَّةُ؛ بَل ولا الغاليةُ الَّذينَ يعتقدون إلهيَّةَ عليٍّ أو نُبُوَّتَه؛ بَلْ كَانُوا شَرًّا مِنْ هؤلاءِ كُلِّهِم»[8] اهـ.

وقد كان للملوك العُبَيْديِّين تاريخٌ حافلٌ بالجرائم البشعَة الشَّنيعة، خلالَ تعقُّبهم لعلماء أهل السُّنَّة، والسَّعي قدرَ المستطاع إلى تصفيتهم وقتلهم بأبشع الطُّرق الَّتي تدلُّ على وحشيَّة وهمَجيَّة القوم، وسأذكرُ أنموذجًا ممَّا حفظهُ لنا التَّاريخُ في هذا المقام، ليُعلمَ أنَّ السُّلالةَ من هؤلاء الباطنيَّة وغيرهم من اليهود والنَّصارى والرَّافضة من أعداء الملَّة إذا تمكَّنوا من رقاب أهل السُّنَّة، فلاَ يَرْقُبُونَ فيهم إلاًّ وَلاَ ذمَّةً، وخاصَّةً علماءَ الأمَّة، ومن تلكَ الصَّفحات السَّوداء الَّتي أعملَوا فيها القتلَ في أئمَّة السُّنَّة ما ذكره ووصفهُ لنا العلاَّمة الذَّهبي حيثُ قالَ: «قَالَ أَبُو الحَسَنِ القَابِسي، صَاحِبُ «المُلخَّص»: إِنَّ الَّذِينَ قَتَلَهُم عُبَيْدُ اللهِ، وَبنوهُ أَرْبَعَةُ آلَافٍ فِي دَارِ النَّحْرِ فِي

(1) «مَجْمُوعُ الفَتَاوَى» (28/527ـ528).
(2) وهو عبد الله الموصلي.
(3) «رسالة الاعتقادات» (ص103).
(4) والَّتي تُسمَّى بـ: «الحدائق النَّاضرة في أحكام العِزَّة الطَّاهرة» (18/153).
(5) «مِنْهَاجِ السُّنَّة» (3/243).
(6) «مِنْهَاجِ السُّنَّة» (4/110).
(7) «مِنْهَاجِ السُّنَّة» (3/244).
(8) «مجموع الفتاوى» (4/162).

العَـذَاب مِـنْ عَـالم وَعَابـد ليرُدَّهُمْ عَنِ التَّرَضِّي عَنِ الصَّحَابَة، فَاخْتَارُوا المَوْتَ، فَقَالَ سهل الشَّاعر:

وَأَحَـلَّ دَارَ النَّحْـرِ فِي أَغْلالـه
مَنْ كَانَ ذَا تَقْوَى وَذَا صلوَاتِ

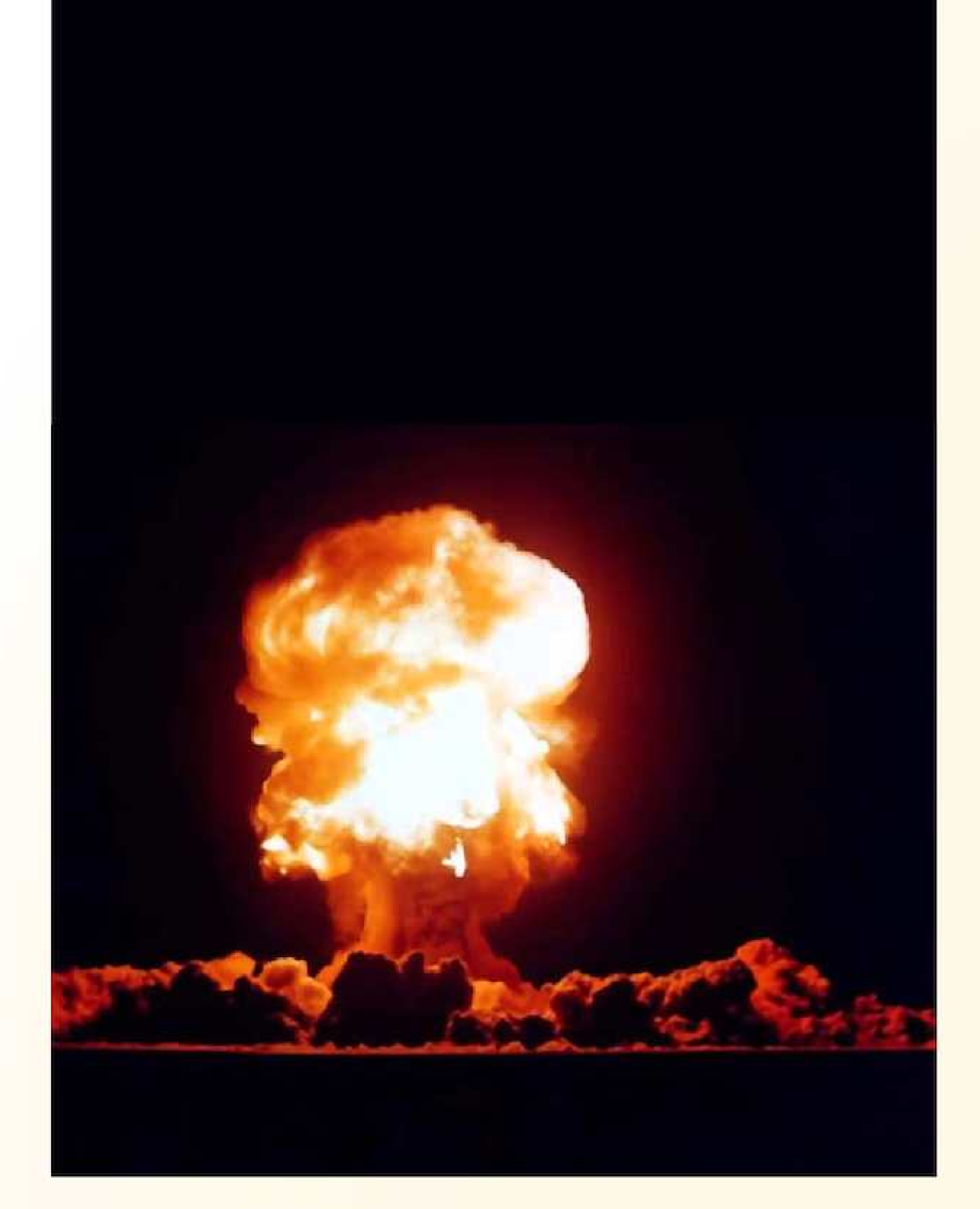
وَدُفِـنَ سَـائرُهُم فِي المُنَسْـتير، وهو بلسَان الفرَنْج: المَعْبَدُ الكَبِيْرُ»[9] اهـ.

ولقد حكم العلماءُ بكفر تلك الدَّولة، قـال الذَّهبي: «وَقَدْ أجمـع عُلَمَاء المَغْرب عَلَـى محَاربَـة آل عُبَيْـد لمَا شَـهَّروهُ مِنَ الكُفْـر الصُّـرَاح الَّذي لاَ حيلَـة فيه»[10]، وقال أيضًـا: «نَقَـلَ القَاضـي عيَاض فِي تَرْجَمَة أَبي مُحَمَّد الكسـتَرَاتي، أَنَّهُ سُئِلَ عَمَّـنْ أَكْرَهَهُ بنو عُبَيْد عَلَـى الدُّخول فِي دَعْوَتهـم أَوْ يُقْتَـل؟ فَقَالَ : يختَـارُ القَتْلَ وَلاَ يُعـذَر، وَيَجـبُ الفـرَار؛ لأَنَّ المُقَامَ فِي مَوْضـع يُطلَب مِنْ أَهله تعطيلُ الشَّرَائع، لاَ يَجُـوْزُ. قَـالَ القَاضـي عيَاض: أَجمع العُلَمَـاءُ بالقَـيْرَوَان، أَنَّ حَـالَ بَنِي عُبَيْد حَالُ المرتَدِّينَ وَالزَّنَادقَة، وَقيلَ: إِنَّ عُبَيْدَ الله تملَّكَ المَغْرب، فَلَمْ يَكُنْ يُفْصحُ بِهَذَا المَذْهـب إلاَّ للخوَاصِّ، فَلَمَّا تَمَكَّـنَ أَكْثَرَ القَتْـلَ جدًّا، وَسـبَى الحـريمَ، وَطَمِعَ فِي أَخذ مصْرَ»[11] اهـ.

وقـال القاضـي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «قال أبـو يوسـف الرُّعينـي: «أجمـع العلمـاء بالقـيروان أنَّ حـالَ بنـي عُبَيْـد حـالُ المُرتدِّين والزَّنادقة»[12].

ومـنَ مقَاتلِ أهـل السُّـنَّة على أيدي الرَّوافض: حسَّـانُ السُّـنَّة العلاَّمَةُ ابنُ النَّابلسي، وهو: «الإِمَامُ القُدْوَةُ، الشَّهيدُ، أَبُو بَكْر مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بن سَهْل الرَّمْلِيُّ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ النَّابُلسيِّ.

(9) «السِّير» (145/15).
(10) «السِّير» (154/15).
(11) «السِّير» (151/15).
(12) «ترتيب المدارك» (720/4).



حَـدَّثَ عَـن سَـعيد بـن هَاشـم الطَّبَرَاني، وَمُحَمَّد بن الحَسَن بن قُتَيْبَةَ، وَمُحَمَّد بن أَحْمَدَ بن شَيْبَانَ الرَّمْلِيّ.

رَوَى عَنْهُ تَمَّامُ الرَّازيُّ، وَعَبْدُ الوَهَّاب المَيْدَانيُّ، وَعَليُّ ابنُ عُمَرَ الحَلَبِي.

قَـالَ أَبُـو ذر الحَافظُ: سَـجَنَهُ بَنُـو عُبَيْـد، وَصـلَبُوهُ عَلَـى السُّـنَّة، سَـمعْتُ الدَّارَقُطْنيَّ يذكُـرُهُ، وَيَبْكي، وَيَقُوْلُ: كَانَ يَقُـولُ، وَهُـوَ يُسْـلَخُ: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٥٨﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ]»[13].

قال ابنُ كثـير في «البداية والنِّهاية» عنـد ترجمـة المُعـزِّ الفاطمي: «وقـد أُحضـرَ إلى بـين يَدَيـه الزَّاهـدُ العابـدُ الوَرِعُ النَّاسـكُ التَّقيُّ أبو بكر النَّابُلسي، فقـال لـه المُعزُّ: بلغنـي عنك أنَّـكَ قُلتَ: لـو أنَّ معي عشـرةَ أسـهم رميتُ الرُّومَ بتسـعة، ورميتُ المصريِّينَ بسهم، فقال: مـا قلتُ هـذا، فظنَّ أنَّهُ رجـع عن قوله، فقال: كيـف قلتَ؟ قال: قلتُ: ينبغي أن نَرْميَكـم بتسـعة ثـمَّ نرميهم بالعاشـر، قـال: ولمَ؟ قال: لأنَّكم غيَّرتُم دينَ الأمَّة، وقتلتم الصَّالحين، وأطفأتم نورَ الإلهيَّة، وادَّعيتـم ما ليس لكـم، فأمر بإشـهاره في أوَّل يـوم، ثمَّ ضُـربَ في اليـوم الثَّاني بالسِّياط ضربًا شـديدًا مُبرِّحًا، ثمَّ أمر بسـلخه في اليوم الثَّالث، فجيء بيهوديٍّ فجعـل يَسـلَخُه وهو يقـرأُ القـرآن، قال اليهودي: فأخذتني رقَّةٌ عليه، فلمَّا بلغتُ تلقـاءَ قَلبِه طعَنْتُه بالسِّـكِّين فمات رَحِمَهُ اللهُ، فكان يقال له: الشَّـهيد، وإليه يُنسَبُ بنو الشَّـهيد من أهل نَابُلُـس إلى اليوم، ولم تَزَلْ فيهم بقايا خير»[14].

قَـالَ أَبُو الفَـرَج بنُ الجَـوْزيِّ: «أَقَامَ جَوهرُ القَائدُ لأَبي تَميم صَـاحبِ مِصْـرَ

(13) «السِّير» (149/16).
(14) «البداية والنِّهاية» (282/6).

أَبَـا بَكْرِ النَّابُلسِـيَّ، وَكَانَ ينـزلُ الأَكواخَ، فَقَـالَ لَـهُ: بَلَغَنَا أَنَّـكَ قُلْـتَ: إِذَا كَانَ مَعَ الرَّجُلِ عَشْرَةُ أَسـهُم، وَجبَ أَنْ يَرْمِيَ فِي الرُّومِ سَهْمًا، وَفِينَا تِسْعَةً.

قَالَ: مَا قُلْتُ هَـذَا، بَلْ قُلْتُ: إِذَا كَانَ مَعَـهُ عَشْـرَةُ أَسـهُم، وَجبَ أَنْ يرميَكُمْ بتسعَة، وَأَنْ يَرمِيَ الْعَاشـرَ فيكُمْ أَيْضًا، فَإِنَّكُم غيَّرْتُم المِلَّةَ، وَقَتَلْتُم الصَّالحينَ، وَادَّعَيْتُم نورَ الإلهيَّة، فشـهرَهُ ثُمَّ ضَرَبَهُ، ثُمَّ أَمرَ يَهُوديًّا فَسَلَخَهُ»[15].

هكـذا قُتِلَ هذا العالم السُّـنِّيُّ، وهي صورةٌ تدلُّ على بشـاعة ما اقترفته تلك الأيادي الآثمة ضدَّ علَم من أعلام السُّنَّة في زمانه، وقد اقتصرتُ عليها لشُهرتها وبلاغتها، وهي غيضٌ من فيض من كثير من علماء الأمَّة الَّذين أُزهقتْ أنفسـهُم البريئَةُ من قِبل هؤلاء الرَّافضة الأشرار، ووالله لن ينفعَ معهم إلاَّ السَّيفُ، وصدقَ العلاَّمة أبـو بكر بن العربـي في معرض كلام عن ضـلالاتهم قالَ: «في كفر بارد لا تُسـخِّنه إلاَّ حرارةُ السَّيف، فأمَّا دِفْءُ المناظرة فلا يُؤثِّرُ فيهم»[16] اهـ.

■ وممَّا سبق نخلص إلى ما يلي:

1. الحقد الدَّفين للرَّافضـة على أهل السُّـنَّة حقدًا يفوق الوصـفَ لأنَّهم كفَّار عندهـم، وإن أظهروا خلافَ ذلك، فهم قومٌ ركبوا في الكذبِ الصَّعبَ والذَّلول.

2. مـن السِّـمات الكبرى الَّتـي تُميِّز تاريـخَ الرَّافضـة الخيانـاتُ العظمَـى لأهل السُّـنَّة على مرِّ الحقَب والأزمان، ومُظاهـرة أعداء الإسـلام مـن اليهود والنَّصـارى على أهل الإسلام، فشاركوا اليهودَ في صفة الغدر والخيانة.

3. أنَّ فكرةَ قتل واغتيال علماء السُّنَّة تحتـلُّ مسـاحةً كبـيرةً في التَّركيبـة العنصـريَّة الرَّافضـيَّة الرَّافضة لكلِّ ما هو سُـنِّي، ولذلك لم تَخْتَـف هذه الفكرةُ في أيِّ عصر من عصُور الوُجود الشِّيعي، وما نراهُ الآن عيانًا يصدِّقُ ما قرأناهُ.

4. أنَّ التَّاريخ سـجَّل لنا جرائمَ دولة بنـي عُبيد الرَّافضـيَّة ضـدَّ أهل السُّـنَّة الأبريـاء، فبقيـت عليهم عـارًا إلى يوم الدِّين.

5. مـن مَقَاتِل أهل السُّـنَّة على أيدي هـؤلاء الخونـة الإمـامُ القـدوةُ الملقَّـب بـ«الشَّـهيد» ابـنُ النَّابلسـي رَحِمَهُ اللهُ، فلقـد ضـرب لنـا أروعَ الأمثلـة في الثَّبات على الحقِّ، والصَّـلابة في الدِّين، والذَّبِّ عن سنَّة سيِّد المرسلينَ.

6. كلمـة ابن النَّابلسـي الَّتي حفظها لنـا التَّاريـخ «إذا كانَ مَعَ الرجل عَشَـرَةُ أَسـهُم، وَجـبَ أَنْ يرميكُـمْ بتسـعَة، وَأَنْ يَرمـيَ العَاشـرَ فِيكُمْ أَيْضًـا»، فهي كلمةُ رجـل خَبَـر ورأى ما يصـنعُه القومُ بأهل السُّنَّة إذا تمكَّنوا منهم.

□□□

هـذا واللهُ المسـؤولُ وحـده أن يحفظ بلادَنـا وسـائر بـلاد المسـلمين من كيد هؤلاء الفجرة الأشرار، والفسقَة الفُجَّار، والله أعلم وصـلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(15) «المُنتَظم» لابن الجوزي (82/7).
(16) «العواصم من القواصم» (ص259).





الأمانة

بين الحفظ والتضييع

عز الدين رمضاني
رئيس التحرير

ليس يخفى على عاقل أنَّ السُّؤددَ والفلاحَ والحياةَ المُطمئنَّـةَ هي للأتقياء الأصفياء، والأشخاص النُّزَهاء العُقلاء، الَّذين يتمثَّلون في أنفسهم القِيَمَ الفاضلةَ والأخلاقَ الحميدةَ والسُّلوكاتِ الرَّشيدةَ، ساعين إلى إقامة العدل بين النَّاس، وتقويم المُعوَجِّ، وإصلاح الفاسد، وهؤلاء هم الَّذين حملوا الأمانةَ الَّتي أبت السَّمواتُ والأرضُ حَملَها وأشفقْنَ من ذلك، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب].

والأمانة ما ائتمن اللهُ عليه العبادَ من الإيمان والتَّكاليف والطَّاعات والفرائض، ومن ذلك أداءُ ما للعباد من مالٍ وحقوق، فالأمانةُ إذن فضيلةٌ عُظمَى ومسؤوليَّةٌ كبرى لا يستطيع حملَها الرِّجالُ المهازيل، ولا يَقوَى عليها الظَّلومُ الجهولُ الَّذي يَزِنُ النَّاسَ بشهواتهم ودنياهم، غيرَ مُكترِثٍ بإيمان وكفر، ولا بصلاح وفسق، أو إخلاص ونفاق.

فحفظُ الدِّين ودعامةُ بقاء الإنسان ومُستَقرُّ أساس الحكومات، وباسط ظِلال الأمن والرَّاحة، ورافعُ أبنيَةِ العزِّ والسُّلطان، وروحُ العدالة وجَسدُها إنَّما هي باقيةٌ ببقاء الأمانة بين النَّاس، ولا يكون شيءٌ من ذلك بدونها.

والأمانة ليست ـ كما يتصوَّرُها الكثيرُ من النَّاس ـ الوديعةَ الَّتي تُودَعُ عند الغير لحفظها كالنُّقود والحُليِّ وما شابه ذلك فحسب، بل هي كلُّ حقٍّ لَزِمَ أداؤُه وحفظُه، وعرَّفها الكفوي بأنَّها «كلُّ ما افتُرض على العباد فهو أمانة؛ كصلاةٍ وزكاةٍ وصيام وأداءِ دَيْن، وأوكَدُها الودائع وأوكَدُ الودائع كَتْم الأسرار»[1].

وكذلك جاءت في الشَّرع على معانٍ مُتعدِّدة، ووردت في القرآن على أوجه كثيرة[2]، فقد جاءت بمعنى الدِّين والدِّيانة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنفال]، قال قتادة رَحِمَهُ اللهُ: «اعلموا أنَّ دينَ الله أمانةٌ فأدُّوا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده...»[3]، وتأتي بمعنى الشَّرع والسُّنَّة، قال تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾ [الأنفال: 71] أي: إن تركوا الأمانةَ في السُّنَّة فقد تركوها في الفريضة.

وتأتي بمعنى الفرائض، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ [الأحزاب: 72].

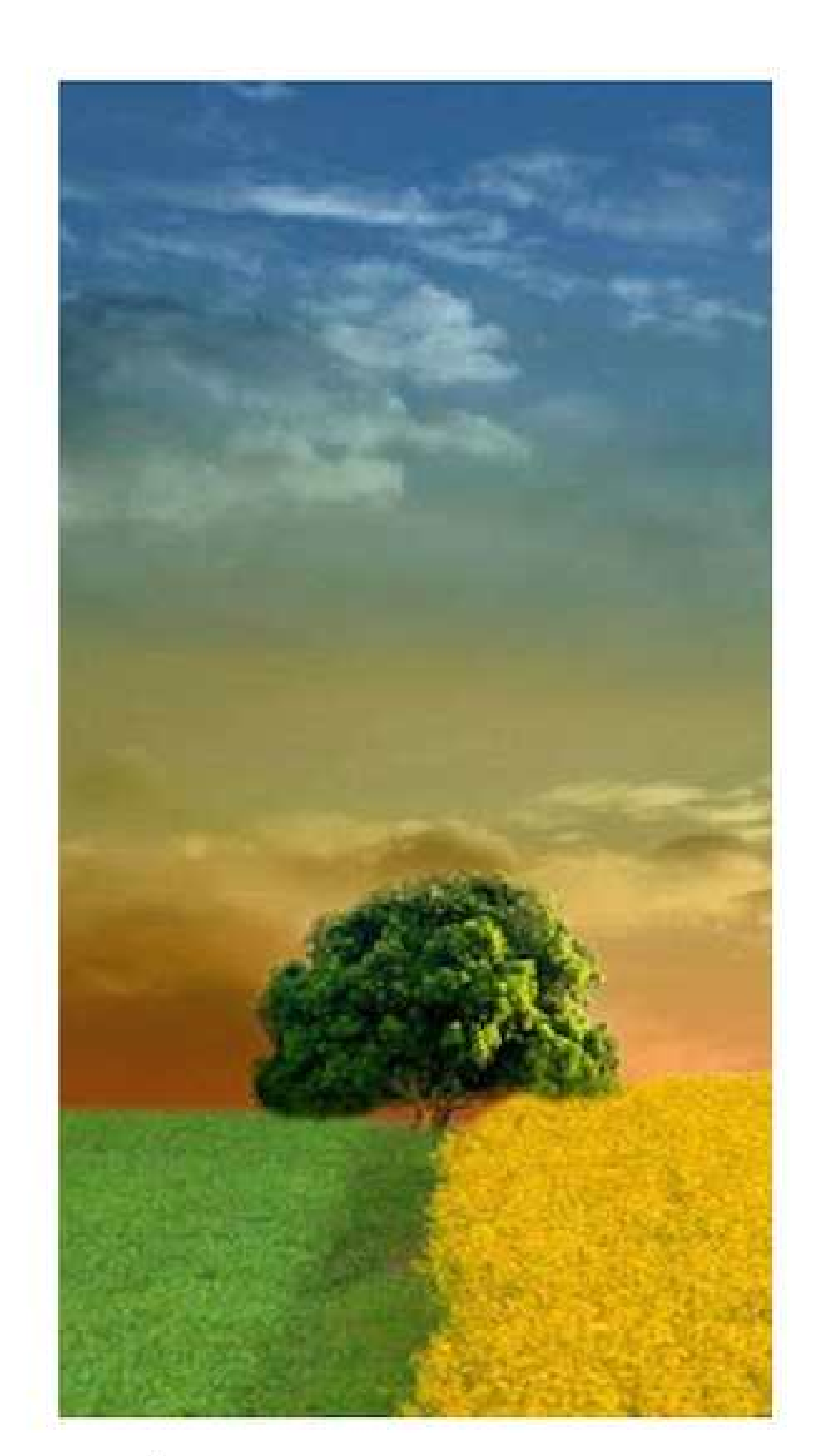
وتأتي بمعنى الوديعة، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: 58].

وتأتي بمعنى العِفَّةِ والصِّيانةِ، ومنه

(1) «الكلِّيَّات» (ص187).

(2) انظر «بصائر ذوي التَّمييز» (2/152)، «الوجوه والنَّظائر» للدمغاني (ص60).

(3) «تفسير البغوي» (3/348).



قولـه تعـالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [سُورَةُ القَصَصِ].

ومن هـذه المعاني نُـدركُ أنَّ الأمانةَ في دينِ الله أَضْـخَمُ وأَثْقَـلُ مـن ذلـك المعنى الضَّيِّقِ الَّذي تَعارَفَ عليه النَّاسُ، ويكفيهـا فضـلاً أنَّهـا الفريضـةُ الَّتـي يَتَواصَى المسـلمون برعايتها ويستعينون بالله على حفظها، حتَّى إنَّه عندما يكون المـرءُ علـى أُهبَـةِ سَـفَرٍ، يقول لـه أخوه ومُوَدِّعُه: «أَسْـتَوْدِعُ اللهَ دِينَـكَ وأَمَانَتَكَ وخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ»[4]، وما ذلك إلاَّ لإشعارِه بتَبِعَةِ ما يُوكَلُ إليه، وتَنبيهه بأنَّه مسـؤول عنه أمامَ خالقه ومولاه.

ولَـمَّا كانـت غايـةُ السَّـعادة أن يُوقَى الإنسـانُ شـقاءَ العيش في الدُّنيا وسـوءَ المُنقلَب في الأخرى؛ فإنَّ النَّبيَّ ﷺ جَمَعَ في استعاذَته بـين الحالَيْن معًـا إذ قال: «اللَّهُـمَّ إنِّي أَعُـوذُ بِـكَ مِنَ الجُـوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّـجِيعُ، وأَعُوذُ بِكَ مِـنَ الخِيَانَةِ فَإِنَّهَـا بِئْسَـتِ البِطَانَـةُ»[5]، ففـي الجوع ضياعُ الدُّنيا، وفي الخيانة ضياع الدِّين.

وللأمانـة صـورٌ كثـيرةٌ، وتدخُـلُ في عديدِ المجالات، قال الشَّـيخُ ابنُ عثيمين رحمه الله: «الأمانة بابٌ واسـعٌ جدًّا، وأصـلُها أمران: أمانةٌ في حقوق الله، وهي: أمانةُ العبـاد في عبـادات الله عز وجل، وأمانـةٌ في حقوق البشر»[6].

وأَجَلُّها قَدْرًا وأَحقُّها بالقيام والوفاء أمانـةُ العبـدِ مع ربِّـه، وتتحقَّـق بحفظِ مـا أمـر اللهُ بحفظه، وبـأداء الواجبات واجتنـاب المنهيَّـات، كما قـال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سُورَةُ الأَنفَالِ].

ومـن خيانـة الله تنقيصُ فرائضـه وتَركُها والتَّهاونُ في أدائها وعلى رأسـها توحيـدُه تعالى[7]، وفي الحديث الحسـن عـن النَّبـيِّ ﷺ قـال: «لاَ إِيمَـانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ»[8].

ثمَّ قيل: المـراد بالأمانة أمانةُ العباد مـن الودائـع وغيرهـا، وأمانـةُ الله من الصَّلاة والزَّكاة وأمثالها، وحفظ الفروج من الحـرام، والجوارح مـن الآثام...»، وهذا يُنبِـئُ أنَّ الأمانةَ لُبُّ الإيمان، وهي منه بمنزلـة القلب من البـدن، والأمانة هـي حفظ الجـوارح كذلك، فمن ضـيَّعَ جزءًا منها سـقم إيمانُه وضَعُفَ بقدرِه، فإن ضيَّعَ الكُلَّ خرج من جملة الإيمان.

وهناك أمانةُ العلم، وتتحقَّقُ بنَشـرِه وتقريبِـه للنَّاس على يد أَكْفَـاءَ مُؤَهَّلين لحمـل رسـالته، يُتوسَّـمُ في أقوالهـم وأعمالهـم وأحوالهـم العلـم الصَّـحيح والعمـل الصَّـالح والإخلاص والصِّـدق كمـا قـال تعـالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾ [الأَحزَابِ: 39] فنَفْـعُ العلم وزَكاتُه تَبليغُـه والخشـيةُ مـن الله ربِّ العالمين، ومن الخيانة في العلم أن يتصَدَّرَ الحدَثُ قَبْلَ التَّأَهُّلِ، ويَتَشَيَّخَ قبل أن يشيخَ، وهذا الضَّـربُ من العبـاد ما يَلبَـثُ أن يَلحَقَه الإدبـارُ، فتحيـط بـه خطيئَتُـه فتَنقُلُـه إلى السُّـقوطِ المُبكِّـرِ، ومن مأثـور حِكَمِ العلماء:

كلُّ مَنْ يَـدَّعي بما ليـس فيـه
فـضحَتْه شواهـدُ الامتحـان

وقـال قتادة: «مـن حدَّثَ قَبْـلَ حينِه افْتضَحَ في حينِه».

ومـن الخيانـة في طلب العلـم أن يُلتَمَسَ العلمُ عند هؤلاء المُتعالمِين الَّذين تَسوَّرُوا محرابَ العلم ولم يَتأدَّبُوا بآدابه، ففـي الحديـث الصَّـحيح أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَشْـرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُلْتَمَسَ العِلْـمُ عِنْدَ الأَصَـاغِرِ»[9]، وقد سُـئِلَ ابنُ المُبارك عنهم فقال فيهم: الَّذين يقولون برَأيهـم، فأمَّـا صـغيرٌ يَـروي عن كبير

(4) رواه أحمد (4524)، التِّرمذي (3443).

(5) حديث حسـن، رواه أبو داود (1547)، النَّسـائي (5468)، ابن ماجه (3354).

(6) «شرح رياض الصَّالحين» (463/2).

(7) «تفسـير ابـن جريـر» (124/11)، «التَّفسـير البسيط» (109/10).

(8) رواه أحمد (12383).

(9) انظر «السِّلسلة الصَّحيحة» (695).

فليس بصغير»، وفي تفسير له أيضًا: «هم أهلُ البدع»[10].

ومن الأماناتِ أمانةُ الإنسانِ مع نفسه بأن لا يختارَ لها إلاَّ ما هو الأنفعُ والأصلحُ له في الدِّين والدُّنيا، وألاَّ يُقدِمَ بسبب الشَّهوة والغضب على ما يَضرُّه في الآخرة[11]، ولهذا قال ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه»[12].

وهناك أمانةُ العبدِ مع النَّاس وتتحقَّقُ بردِّ ودائعهم إليهم وحفظِ حقوقهم وصيانةِ أعراضهم وكتمِ أسرارِهم والبعد عن غشِّهم والاعتذارِ عند الإساءةِ إليهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: 58].

وفي الآية قدَّمَ الله الأمرَ بأداء الأمانة على الأمر بالعدل؛ لأنَّ العدلَ في الأحكام يُحتاجُ إليه عند الخيانة في الأمانات الَّتي تتعلَّقُ بحقوقِ النَّاسِ والتَّخاصُم إلى الحاكم، والأصل أن يكونَ النَّاسُ أُمناءَ يقومون بأداء الأماناتِ بوازعِ الفطرة والدِّين، والخيانةُ في الأمانات خلافُ الأصل، ومن شأنها أنَّها لا تقع في الأمَّةِ المُتديِّنَة إلاَّ شذوذًا، وقلَّمَا يحتاج إلى العدل في الحكم إذا راعى النَّاس أماناتِهم وأدَّوْها إلى أهلها[13].

وقد ورد في هذا النَّوع من الأمانات آياتٌ كثيرةٌ وأحاديثُ شتَّى مُشدِّدَةٌ في وجوب رعايتها وأدائها وتشنيع الخيانة فيها والوعيد عليها، قال تعالى مادحًا عبادَه المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾ [المؤمنون]، قال السَّعدي رحمه الله: «أي مراعون لها، حافظون مُجتهِدُون على أدائها والوفاء بها، وهذا شاملٌ لجميع الأمانات الَّتي بينَ العبد وبين ربِّه، كالتَّكاليف السِّرِّيَّة الَّتي لا يطَّلعُ عليها إلاَّ الله، والأمانات الَّتي بين العبد وبين الخلق في الأموال والأسرار»[14].

وقال تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ [البقرة: 284]، وقال النَّبيُّ ﷺ: «أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ ولاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»[15]، وقال أيضًا: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بالحَدِيث ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ»[16]، أي مخافة أن يجيء آخر فيَسمَعَه، وهذا نوعٌ من الأمانات قلَّ من يَنتبِه إليه، فكم من حبالِ للوصل تقطَّعَتْ ومصالحَ للخلق تعطَّلَتْ بسبب الاستهانة بأمانةِ المَجلس وذكرِ ما يدورُ من كلام من غير ضابطٍ أو رادعٍ، مَنسوبًا إلى قائله أو غيرَ منسوبٍ، فالشرع يوجب والمروءةُ تقتضي من العبدِ أن يَحفَظَ حقوقَ المجالسِ الَّتي يُشارِكُ فيها، فلا يَدَعُ لسانَه يُفشي أسرارَها ويسرد أخبارَها.

ومن الأماناتِ المُضيَّعةِ اليومَ إهمالُ الودائعِ وضربُ الصَّفح عنها دون ردِّها إلى أصحابها، أو الاعتذار إليهم بحجَّة استغنائهم عنها في ظنِّهم أو نسيانهم لها، فاعتبار الوديعة غنيمةً باردةً هو ضربٌ من السَّرقةِ الفاجرة، ولو كان صاحبُها فاجرًا أو كافرًا، قال مَيمُونُ ابنُ مهران رحمه الله: «ثلاثةٌ يُؤَدَّينَ إلى البرِّ والفاجر: الرَّحمُ تُوصَلُ كانت برَّةً أو فاجرةً، والأمانةُ تُؤدَّى إلى البرِّ والفاجرِ، والعهدُ يُوفَّى به البرُّ والفاجرُ»[17].

ومن الأماناتِ أمانةُ الحكَّام مع المحكومين وهي من أعظم الأمانات، وتقتضي إسنادَ المناصب إلى الأقوياء والأكْفَاء المُخلصين، وتتحقَّقُ بالعدل بين الرَّعيَّةِ والحرصِ على مصالحهم والنُّصح لهم والرِّفقِ بهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ [النساء]، قال ابنُ تيمية رحمه الله: «قال العلماء: نزلت في ولاة الأمور: عليهم أن يُؤدُّوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين النَّاس أن يحكموا بالعدل، وإذا كانت الآيةُ قد أوجبت أداءَ الأمانات إلى أهلها، والحكمَ بالعدل، فهذا جماع السِّياسةِ العادلة والولايةِ الصَّالحة»[18]، وثبت في «الصَّحيحَيْن» من حديث مَعقل بن يَسَار رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ المُسْلِمِينَ، فَيَمُوتُ وهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ، إلاَّ حَرَّمَ الله عَلَيْه الجَنَّةَ»[19].

قال ابنُ بطَّال في «شرحه» (8/219): «فمن ضيَّعَ من استرعاه الله أمرَهم أو خانَهم أو ظلَمَهم، فقد توجَّه

(10) «جامع بيان العلم وفضله» (1/612).
(11) انظر «مفاتيح الغيب» (10/109).
(12) البخاري (883)، ومسلم (1829).
(13) انظر «تفسير المنار» (5/143).
(14) «تيسير الكريم الرَّحمن» (673).
(15) أبو داود (3534)، والتِّرمذي (1624).
(16) أبو داود (4868)، والتِّرمذي (1959).
(17) «شُعَب الإيمان» للبيهقي (4899) (7/219).
(18) «السِّياسة الشَّرعيَّة» (ص6).
(19) البخاري (7151).

إليه الطَّلبُ بمظالم العباد يومَ القيامة، فكيف يَقدرُ على التَّحلُّل من ظُلم أمَّةٍ عظيمة؟ وهذا الحديثُ بيانُ وعيدٍ شديدٍ على أئمَّة الجور».

ومن الأمانات أمانةُ الحياة الزَّوجيَّة وتتحقَّق بكتمان أسرارِها وعدم الحديث عن دَخائلها إلاَّ ما كان بدٌّ منه كإصلاحٍ أو استفتاءٍ أو شهادة، ففي «صحيح مسلم» (1437) من حديث أبي سعيد الخدري عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا» وفي رواية أخرى عند مسلم: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الأَمَانَةِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ...».

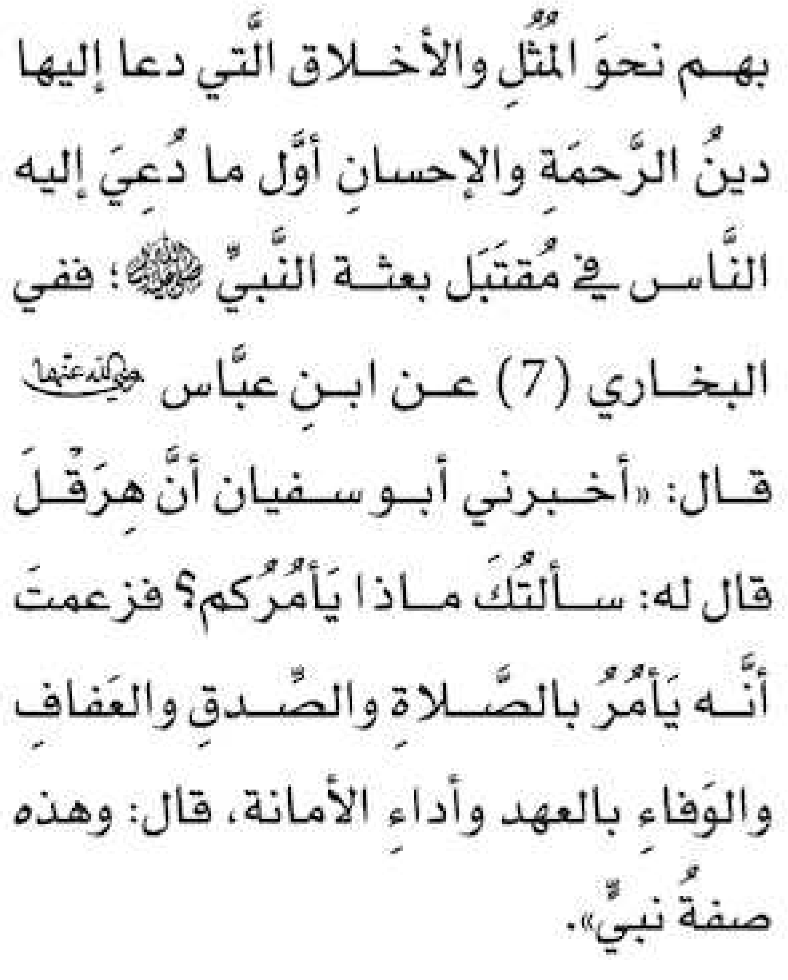
وهناك أمانةُ المعاملات من التِّجارَات والصِّناعات والزِّراعات وغير ذلك، وتتحقَّق بترك الغشِّ والتَّدليسِ والعيوبِ، وإتقانِ خدمَتِها وإيفاءِ الكيل والميزان عند بيعها، وإيصالها إلى مُستحقِّيها.

والحاصل أنَّ كلَّ عملٍ يَقُومُ به الفردُ وكلَّ مُهمَّة تُوكَلُ إلى جماعة لا بدَّ وأن تَعبُرَ على جِسرِ الأمانة، وذلك أنَّ بقاءَ النَّوع الإنساني قائمٌ بالمعاملات والمعاوضَاتِ في منافع الأعمال، ورُوحُ المعاملة والمعاوضة إنَّما هي الأمانة، فإن فَسدَتْ بين المُتعاملين بطلت صِلاَتُ المُعاملَة، وانْبَترَتْ حِبالُ المعاوضة، فاختلَّ نظامُ المعيشة.

ومن هنا يتبيَّنُ ما للأمانة من دورٍ بالغٍ في إصلاح حياة البشر والسُّموِّ بهم نحوَ المُثُل والأخلاق الَّتي دعا إليها دينُ الرَّحمَة والإحسانِ أوَّل ما دُعِيَ إليه النَّاس في مُقتَبَل بعثة النَّبيِّ ﷺ؛ ففي البخاري (7) عن ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما قال: «أخبرني أبو سفيان أنَّ هِرَقْلَ قال له: سألتُكَ ماذا يَأمُرُكم؟ فزعمتَ أنَّه يَأمُرُ بالصَّلاةِ والصِّدقِ والعَفافِ والوَفاءِ بالعهد وأداءِ الأمانة، قال: وهذه صفةُ نبيٍّ».

فسِرُّ بقاء الأمَّة وفلاحِها وظهورِها على أعدائها مَرهُون ببقاء الأمانة فيها وحفظ العهود والمواثيق ونبذ الخيانات بجميع أنواعها، والأمَّة الَّتي لا أمانةَ فيها هي الأمَّةُ الَّتي تَعبَثُ فيها الشَّفاعاتُ والوسائط بالمصالح المُقرَّرة، وتُطيشُ بأقدار الرِّجال الأكفاء لتُهملَهم وتُقدِّمَ مَنْ دونَهم، وتروج فيها سلعُ الفساد والكساد على حساب الصَّالح من العباد والنَّافع للبلاد، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ».

فالله نسأل أن يَقِيَنَا شرَّ الخيانة وأن يُوفِّقَنا لأداء الأمانة على وجهها الأكمل، إنَّه وَليُّ ذلك وهو وحده المستعان، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نبيِّنا مُحمَّدٍ وآله وصحبه.





أ.د.محمد علي فركوس
أستاذ بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر



في صفة ما تجوز التَّضحيةُ به

■ **السُّؤال:**

ما حكم مكسورةِ القرنِ في الأضحية؟ وهل يُشترَط كمال السَّلامة في الإجزاء؟ وكيف نجمع بين حديث عليٍّ رضي الله عنه: «نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُضَحَّى بِأَعْضَبِ القَرْنِ وَالأُذُنِ»[1]، وبين قول عليٍّ رضي الله عنه عندما سئل عن مكسورة القرن قال: «لَا يَضُرُّكَ»[2]؟ أفيدونا مأجورين.

■ **الجواب:**

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على من أرسله اللهُ رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد:

فقد نصَّت السُّنَّة المُطهَّرةُ على العيوب الَّتي تُرَدُّ بها الأضحية فلا تُجزئ معها باتِّفاق العلماء وهي:

- العوراء البيِّنُ عَوَرُها بحيث يغشى البياضُ معظمَ ناظرِها، وتدخل العمياءُ دخولاً أولويًّا.
- المريضة البيِّنُ مرضُها، أمَّا خفيفة المرض فتُجزئ بمقتضى دليل خطابِ النَّصِّ الآتي ذكرُه.
- العرجاء البيِّن عَرَجُها أو ظَلْعُها، ويدخل في هذا المعنى بالأحرويَّة مقطوعةُ الرِّجل والمكسورَتُها.
- العجفاء الَّتي لا تُنْقِي، وهي الهزيلة الَّتي لا مخَّ في عظامها لضعفها وهزالها.

ويدلُّ على ذلك حديث البراء بن عازبٍ رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أَرْبَعٌ لاَ تُجْزِئُ فِي الأَضَاحِيِّ: العَوْرَاءُ البَيِّنُ عَوَرُهَا، وَالمَرِيضَةُ البَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالعَرْجَاءُ البَيِّنُ ظَلْعُهَا، وَالكَسِيرَةُ الَّتِي لاَ تُنْقِي»[3].

وشرط البراءة من هذه العيوب المذكورة محلُّ إجماعٍ بين أهل العلم، قال النَّوويُّ رحمه الله: «وأجمعوا على أنَّ العيوبَ

(1) أخرجه أحمد (1048)، وأبو داود (2805)، والترمذي (1504)، وصحَّحه أحمد شاكر في «تحقيقه لسنن الترمذي» (52/2)، وحسَّنه محقِّقو «مسند أحمد» طبعة الرسالة (310/2)، وضعَّفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (6016)، وقال في «الإرواء» (1149): «منكر».
(2) أخرجه أحمد (734)، وانظر: «الإرواء» (362/4).

(3) أخرجه أبو داود (2802) والنسائي (4369)، وابن ماجه (3144)، وغيرهم من حديث البراء ابن عازب رضي الله عنه، وهو حديثٌ صحيحٌ، انظر: «الإرواء» للألباني (361/4).

الأربعةَ المذكورةَ في حديث البراء وهو: المرض والعَجَف والعَوَر والعَرَج البيِّن لا تُجزئ التَّضحيةُ بها، وكذا ما كان في معناها أو أقبحَ كالعمى وقطعِ الرِّجل وشِبْهِه»[4].

أمَّا مكسورةُ القَرْنِ أو جزءٍ منه أو مشقوقةُ الأُذُنِ فهي العَضْبَاء على خلافٍ في تحديد معناها، فحكمُها مختلَفٌ فيه للاختلاف في درجة الحديث الدَّائرة بين الحسن والضَّعف.

فمَن حسَّن حديثَ عليٍّ رضي الله عنه: «نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُضَحَّى بِأَعْضَبِ القَرْنِ وَالأُذُنِ»، وجاء مبيَّنًا بقول قتادة: «فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِسَعِيدِ بنِ المُسَيِّبِ فَقَالَ: «العَضْبُ مَا بَلَغَ النِّصْفَ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ»»[5]، فقد دفع التَّعارضَ مع قول عليٍّ رضي الله عنه ـ عندما سئل عن مكسورة القرن ـ فقال: «لاَ يَضُرُّكَ» بأنْ حَمَل «العَضَبَ» في الحديث المرفوع على عدم الإجزاء إذا كان المكسور منه النِّصفَ فأكثر، أمَّا قوله: «لا يضرُّك» فقد حَمَله على الإجزاء فيما دون النِّصف، وبذلك دفع التَّعارضَ بينهما، وبهذا قال النَّخعيُّ وأبو يوسف ومحمَّد بنُ الحسن وغيرُهم[6].

ومن ضعَّف حديثَ النَّهي عن مكسورة القرن ولم يَثْبُتْ عنده نهيٌ عن العَضَب وعَمِل بمقتضى حديث عليٍّ رضي الله عنه: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَسْتَشْرِفَ العَيْنَ وَالأُذُنَ»[7]، ورأى أنَّ مكسورةَ القَرْنِ ومشقوقةَ الأُذُن عيبٌ لا ينقص اللَّحمَ ولا يُخلُّ بالمقصود؛ قال بكراهية التَّنزيه في الأضحية الَّتي تَقتَرِن بها هذه العيوبُ ويحصل بها الإجزاء؛ لأنَّ حديث عليٍّ رضي الله عنه في استشراف العين والأذن ليس فيه ما يدلُّ على عدم الإجزاء، وإنَّما يدلُّ على اجتناب ما فيه شقٌّ أو قطعٌ أو ثقبٌ ونحوُ ذلك، قال ابن عبد البرِّ رحمه الله: «العلماء مجمعون على أنَّ الجمَّاء [وهي الَّتي لم يُخلَقْ لها قرنٌ] جائزٌ أن يضحَّى بها، فدلَّ إجماعُهم هذا على أنَّ النَّقص المكروه هو ما تتأذَّى به البهيمةُ وينقص من ثمنها ومن شحمها»[8]، وإذا جازت التَّضحية بالجمَّاء فلَأَنْ تجوز بالعضباء الَّتي ذهب أكثرُ من نصف قرنها من باب أَوْلى[9].

ويدخل في هذا المعنى ـ أيضًا ـ العيوبُ الأخرى الَّتي لا تأثيرَ لها في الحكم لعدم صحَّة النَّهي عنها؛ فإنَّها تُجزئ في الأضحية ـ على الصَّحيح ـ وتُكرَه لكونها تنافي كمالَ السَّلامة كالبتراء مقطوعةِ الأليةِ أو الذَّنَب، والجدعاءِ مقطوعةِ الأنف، والهتماء الَّتي لا أسنان لها، قال ابنُ قدامة رحمه الله: «وتُكرَه المشقوقةُ الأُذُن، والمثقوبةُ، وما قُطع شيءٌ منها؛ لِما رُوِيَ عن عليٍّ رضي الله عنه قال: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَسْتَشْرِفَ العَيْنَ وَالأُذُنَ، وَلاَ نُضَحِّيَ بِمُقَابَلَةٍ وَلاَ مُدَابَرَةٍ، وَلاَ خَرْقَاءَ وَلاَ شَرْقَاءَ»، قال زهيرٌ: قلت لأبي إسحاق: «ما المقابَلة؟» قال: «يُقطع طرفُ الأذن»، قلت: «فما المدابَرة؟» قال: «يُقطع من مؤخَّر الأذن»، قلت: «فما الشَّرقاء؟» قال: «تُشَقُّ الأذنُ»، قلت: «فما الخرقاء؟» قال: «تَشُقُّ أُذُنَها السِّمَةُ»».

وهذا نهيُ تنزيه، ويحصل الإجزاءُ بها، لا نعلم فيه خلافًا؛ ولأنَّ اشتراطَ السَّلامة من ذلك يشقُّ، إذ لا يكاد يوجد سالمٌ من هذا كلِّه»[10].

هذا، وتُجزئ الأضحية بالمَوْجوء وهو الخَصي؛ لأنَّ رسول الله ﷺ: «كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُضَحِّيَ اشْتَرَى كَبْشَيْنِ عَظِيمَيْنِ سَمِينَيْنِ أَقْرَنَيْنِ أَمْلَحَيْنِ مَوْجُوءَيْنِ»[11]، قال ابن قدامة رحمه الله ـ في جوازه ـ: «ولا نعلم فيه مخالفًا»[12].

□□□

(4) «شرح مسلم» للنَّووي (120/13)، وانظر «الاستذكار» لابن عبد البرِّ (215/5).

(5) صحَّحه التِّرمذي والحاكم، وضعَّفه أبو داود والألباني، انظر: «البدر المنير» لابن الملقِّن (293/9)، و«الإرواء» للألباني (361/4).

(6) انظر: «المغني» لابن قدامة (624/8).
ومذهب الجمهور أنَّه تُجزئ مكسورةُ القرن، أمَّا مالكٌ ففرَّق بين ما إذا كان قرنُها يدمى فلا تجوز كراهةً وإلاَّ جازت، [انظر: «المجموع» للنَّووي (404/8)، «الاستذكار» لابن عبد البرِّ (219/5)].

(7) أخرجه أبو داود (2804)، والتِّرمذي (1498)، من حديث عليٍّ رضي الله عنه، وصحَّحه ابن الملقِّن في «البدر المنير» (291/9)، والألباني في «الإرواء» (362/4).

(8) «الاستذكار» لابن عبد البرِّ (218/5).

(9) قال ابن عبد البرِّ في «الاستذكار» (219/5): «وفي إجماعهم على إجازة الضَّحيَّة بالجمَّاء ما يبيِّن لك أنَّ حديث القرن لا يثبت ولا يصحُّ، أو هو منسوخٌ؛ لأنَّه معلومٌ أنَّ ذهاب القَرْنَيْن معًا أكثرُ من ذهاب بعض أحدهما».
قلت: وقد خالف في ذلك بعض الحنابلة [انظر: «المغني» (626/8)].

(10) «المغني» لابن قدامة (626/8).

(11) أخرجه أحمد (25842)، وابن ماجه (3122)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسَّنه ابنُ الملقِّن في «البدر المنير» (299/9)، والبوصيري في «مصباح الزُّجاجة» (222/3)، وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (351/4).

(12) «المغني» (625/8)، وقال: «والوجأ رضُّ الخصيتين، وما قُطعت خصيتاه أو شُلَّتا فهو كالموجوء».

في أفضل الأنعام في الأضحية



■ **السُّؤال:**

هل تجوز الأضحية بالمعز؟ وما هو الأفضل في الأضحية؟ وجزاكم الله خيرًا.

■ **الجواب:**

لا يجزئ في الأضحية إلاَّ بهيمةُ الأنعام لقوله تعالى: ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: 34]، وهي أزواجٌ ثمانيةٌ تصحُّ من الجنسين[13]، متمثِّلةٌ في: الجمل والنَّاقة، والثَّور والبقرة، والكبش والنَّعجة، والتَّيس والعَنَز، ولكن لا يجزئ من المعز إلاَّ الثَّنيُّ وهو ما له سنةٌ فما فوق؛ لقوله ﷺ: «لاَ تَذْبَحُوا إِلاَّ مُسِنَّةً، إِلاَّ أَنْ يَعْسُرَ عَلَيْكُمْ، فَتَذْبَحُوا جَذَعَةً مِنَ الضَّأْنِ»[14]، وأمَّا الجذَع من المعز فقد نقل ابن عبد البرِّ رحمه الله إجماعَ العلماء على عدم إجزائها في الأضحية[15].

وأفضل الضَّحايا ـ عند الجمهور ـ يظهر على هذا التَّرتيب: الإبل ثمَّ البقر ثمَّ الغنم، وهذا الأخير على نوعَيْن: الضَّأن ويليه المعز، وممَّا استدلُّوا به قولُه ﷺ: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، ..»[16]، وعلَّلوا الأفضليَّةَ بغلاء الثَّمن وهي علَّةٌ منصوصةٌ في حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه أنَّه قال للنَّبيِّ ﷺ: «فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟» قال: «أَغْلاَهَا ثَمَنًا، وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا»[17]، ولا يخفى أنَّ الإبل والبقر أعلى ثمنًا وأكثرُ نفعًا وأكبرُ أجسامًا وأعود فائدةً: حُمولةً وطعمًا.

وخالف في ذلك المالكيَّةُ ورتَّبوا الأفضليَّةَ على علَّة طيب اللَّحم، فكان أفضلُها: الضَّأنَ ثمَّ البقر ثمَّ الإبل، واستدلُّوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧﴾ [الصافات]، أي: بكبش عظيم، ولأنَّ: «النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُضَحِّي بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ...»[18]، وهو ﷺ لا يفعل إلاَّ الأفضل.

والظَّاهر ـ عندي ـ أنَّ مذهبَ الجمهور أقوى تقديمًا لقول النَّبيِّ ﷺ على فعله،

(13) لقوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۖ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝١٤٣ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا﴾ [الأنعام]، هذا، وليس في ترتيب الضَّأن والمعز قبل الإبل والبقر في الآية تقديم أفضليَّة لنوعها، وإنَّما هو أسلوب قرآني بديع يتجلَّى فيه التَّرقِّي من الأدنى إلى الأعلى.

(14) أخرجه مسلم (1963) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(15) انظر: «التَّمهيد» لابن عبد البرِّ (23/185).

(16) أخرجه البخاري (881)، ومسلم (850)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(17) أخرجه البخاري (2518) وفي بعض رواياته: «أعلاها ثمنا»، وفي مسلم (136): «وأكثرها ثمنا».

(18) أخرجه البخاري (5564)، ومسلم (1966)، من حديث أنس رضي الله عنه.

ولأنَّـه ـ بغضِّ النَّظـر عـن اسـتدلالهم بالدَّليل المُبيِّن لمقام الأفضـليَّة بين بهيمة الأنعـام ـ قد علَّلوا أفضـليَّةَ التَّرتيب بعلَّة منصـوص عليها، بينمـا المالكيَّـة علَّلوا بعلَّة مُسـتنبَطة، وما هو مقرَّرٌ ـ أصـوليًّا ـ في بـاب قواعـد التَّرجيـح بالمعـاني أنَّ العلَّةَ المنصـوصَ عليها مُقدَّمةٌ على غير المنصـوص عليهـا؛ لأنَّ نصَّ صـاحب الشَّـرع عليها دليلٌ على صـحَّتها وتنبيهٌ علـى لزوم اتِّباعهـا، ولأنَّ النَّبيَّ ﷺ قد يـترك الأفضـلَ لبيـان الجـواز أو لفِعْلِ الأيسـر، ولكـن يمكـن توجيـه مذهـب المالكيَّة على أنَّ المضـحِّيَ بالضَّأن أفضلُ مـن الشَّـريك المُقاسـم في الإبـل أو في البقر، وهو رأيٌ له اعتبارُه ووجاهتُه.

هـذا، وإذا كان الأفضـل في أنـواع بهيمة الأنعام ما رتَّبه الجمهور، وتقرَّرت صـحَّةُ الأضـحية مـن الجنسـين إلاَّ أنَّ التَّضـحية بالذَّكَر أفضـلُ منها بالأنثى؛ لعمـوم قولـه ﷺ في أفضلِ الرِّقـاب: «أَغْلاَهَا ثَمَنًا، وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا».

أمَّا لون الأضحية فأفضلها البيضاء (العفـراء) وهي أفضل من السَّـوداء؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ ضـحَّى بكبشَيْن أملَحَيْن، والأملح: الأبيضـ الخالص البياض[19]، وإذا كان السَّـواد حول عينَيْها وفمها وفي رِجلَيْها أشـبهت أضـحيةَ النَّبيِّ ﷺ[20]، قال النَّوويُّ رحمه الله: «أفضـلُها البيضاء ثمَّ الصَّفراء ثمَّ الغبراء ـ وهي الَّتي لا يصفو بياضُـها ـ ثمَّ البلقاء ـ وهي الَّتي بعضُـها أبيض وبعضـها أسود ـ ثمَّ السَّوداء، وأمَّا قولُه في الحديث الآخر: «يَطَأُ فِي سَـوَادٍ، وَيَبْرُكُ فِي سَـوَادٍ، وَيَنْظُرُ فِي سَـوَادٍ»[21] فمعناه أنَّ قوائمَه وبطنَه وما حول عينَيْه أسود»[22].

(19) انظر: «شرح مسلم» للنَّووي (13/120).
(20) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (26/308).
(21) أخرجه مسلم (1967) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(22) «شرح مسلم» للنووي (13/120).



■ السؤال:

ما هو سنُّ الشَّاة المجزئة في أضحية العيد؟

■ الجواب:

السِّـنُّ المجزئـة في أضـحية العيـد الثَّنيُّ من كُلِّ شيءٍ:

فالثَّنيُّ من الإبل: ما له خمس سـنين ودخل في السَّادسة.

والثَّنيُّ من البقر: ما له سنتان ودخل في الثَّالثة.

والثَّنيُّ من الضَّأن: ما له سنةٌ ودخل في الثَّانية.

والثَّنيُّ من المعز: ما له سنةٌ ودخل في الثَّانية.

ولا يجزئ في الأضحية دون هذا السِّنِّ فيها جميعًا، باستثناء ما إذا تعسَّر الثَّنيُّ من الضَّأن، فإنَّه يُجزئُ الجَذَعُ، وهو: ما له سـتَّة أشـهر، لقولـه ﷺ: «لاَ تَذْبَحُوا إِلاَّ مُسِـنَّةً إِلاَّ أَنْ يَعْسُـرَ عَلَيْكُـمْ فَتَذْبَحُوا جَذَعَةً مِنَ الضَّـأْنِ»[23]، فظاهرُ الحديث يقتضـي عَدَمَ إجزاء الجَذَع من الضَّـأن إلاَّ عند العَجْز عن المُسِنَّة، أمَّا الأحاديثُ الـواردةُ في جواز الجذع من الضَّـأن في الأضـحية فـإنَّ الصَّـحيحَ منهـا يُحمَلُ على العجز عن المُسِـنَّة لعدم وجودها في الحال أو لغلاء سـعرها، لحديث عاصم ابن كُلَيْب عن أبيه، قال: «كُنَّا نُؤَمَّرُ عَلَيْنَا فِي المَغَـازِي أَصْـحَابَ مُحَمَّـدٍ ﷺ، وَكُنَّا بِفَارِسَ فَغَلَـتْ عَلَيْنَا يَوْمَ النَّحْرِ المَسَـانُّ فَكُنَّا نَأْخُذُ المُسِـنَّةَ بِالجَذَعَـيْنِ وَالثَّلاَثَةِ، فَقَامَ فِينَا رَجُلٌ مِنْ مُزَيْنَةَ فَقَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُـولِ اللهِ ﷺ فَأَصَابَنَا مِثْلُ هَذَا اليَوْمِ فَكُنَّا نَأْخُذُ المُسِـنَّةَ بِالجَذَعَـيْنِ وَالثَّلاَثَةِ، فَقَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الجَذَعَ يُوفِي مِمَّا يُوفِي مِنْهُ الثَّنِيُّ»[24].

□□□

(23) أخرجه مسلم (1963) من حديث جابر رضي الله عنه.
(24) أخرجه أبو داود (2799)، والنَّسائي (4383)، وابـن ماجـه (3140)، والحاكم في «المستدرك» (4/226)، مـن حديـث مجاشـع بـن مسـعود رضي الله عنه، وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (1146).

في حكم تخصيص الأكل من الكبد في الأضحية

■ **السؤال:**

كان النبيُّ ﷺ لا يُفطرُ في الأضحى حتَّى يأكلَ من أضحيته، فهل الأكلُ عامٌّ في أيِّ جزء من الأُضحية أم. كما يقول العامَّة. من الكَبِد؟ وما حكمُ تخصيصِ الأكلِ مِنَ الكبدِ؟ وبارك الله فيكم.

■ **الجواب:**

الثابتُ من حديث بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قولُه: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لاَ يَخْرُجُ يَوْمَ الفِطْرِ حَتَّى يَطْعَمَ، وَلاَ يَطْعَمُ يَوْمَ الأَضْحَى حَتَّى يُصَلِّيَ»[25]، وفي رواية: «وَلاَ يَطْعَمُ يَوْمَ النَّحْرِ حَتَّى يَذْبَحَ»[26]، وفي رواية: «وَلاَ يَطْعَمُ يَوْمَ النَّحْرِ حَتَّى يَنْحَرَ»[27]، وفي رواية: «حَتَّى يُضَحِّيَ»[28]، وفي حديث آخر: «وَكَانَ لاَ يَأْكُلُ يَوْمَ النَّحْرِ حَتَّى يَرْجِعَ»[29]، وزاد أحمد وغيره: «فَيَأْكُلَ مِنْ أُضْحِيَتِه»[30].

والحكمةُ من فعْله ﷺ موافقَتُه للفقراء. كما ذهب إليه أهلُ العلم.؛ لأنَّ الظَّاهرَ أنْ لا شيءَ لهم إلاَّ ما أطعَمَهُمُ النَّاسُ من لحوم الأضاحي، وهو متأخِّرٌ عن الصَّلاة، بخلاف صدقة الفطْر، فإنَّها مُتقدِّمةٌ عن الصَّلاة، وقد ذُكِرَتْ حكمةٌ أخرى وهي: ليَكُونَ أوَّلُ ما يَطْعَمُ من أضحيَته بأكلها شكرًا لله تعالى على ما أنعم به من شرعيَّة النَّسيكة الجامعة لخير الدُّنيا وثواب الآخرة، وامتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ٢٨﴾ [الحج]، سواءٌ قيل بوجوبه أو بسُنِّيَّته، وقد خصَّص بعضُ أهل العلم استحبابَ تأخير الأكل في عيد الأضحى حتَّى يرجع بمن له ذبحٌ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ إذ أخَّر الفطرَ في الأضحى إنَّما أكل من ذبيحته[31].

هذا، وقد وردت سُنَّتُه في مُطلقِ الأكلِ من غير تحديد عُضْوٍ أو تخصيص مَوْضعٍ، وإنَّما استحبَّ الأكلَ من كبد ذبيحته بعضُ العلماء كالشَّافعيِّ[32] وغيره اعتمادًا على حديث بريدة رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ يَوْمُ الفِطْرِ لَمْ يَخْرُجْ حَتَّى يَأْكُلَ شَيْئًا، وَإِذَا كَانَ الأَضْحَى لَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا حَتَّى يَرْجِعَ، وَكَانَ إِذَا رَجَعَ أَكَلَ مِنْ كَبِدِ أُضْحِيَتِه»، والحديث ضعيفٌ لا تقوم به حجَّةٌ[33]، غير أنَّ استحبابَ الأكل من الكبد خاصَّةً جارِ العملُ به في العادة لكون الكبد أخفَّ الأعضاء انتزاعًا وأسرعَ نُضْجًا وأسهلَ هضمًا.

في اجتماع العقيقة مع الأضحية

■ **السؤال:**

إذا اجتمعَت النَّسيكةُ مع أضحية العيد فهل يمكن الاكتفاءُ بذبيحةٍ واحدة؟ وجزاكم الله خيرًا.

■ **الجواب:**

في مذهب الحنابلة يجوز الاكتفاءُ بذبيحةٍ واحدة عملاً بالقياس، قياسًا على اجتماع يوم عيدٍ مع يوم جُمُعةٍ والاكتفاء بغُسْلٍ واحدٍ لأحَدهما[34]، ولكنَّ الظَّاهر أنَّه لا يجوزُ أنْ يقوم الذَّبحُ الواحدُ عنهما؛ لأنَّهما قُرْبَتان مُختلفتان لا تجتمعان بفعلٍ واحدٍ إلاَّ إذا جاء دليلٌ، ولا دليلَ على ذلك لقوله ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[35]، ولا شكَّ أنَّ مُقابلةَ الجمعِ. الَّذي هو «الأعمالُ». للجمع الآخَر. الَّذي هو «النِّيَّاتُ». يقتضي القسمةَ آحادًا، أي: لكُلِّ عَمَلٍ نيَّةٌ، هذا هو الأصلُ، ولا يُخرَج عن هذا الأصل إلاَّ إذا وُجِد دليلٌ[36]، والقياسُ في التَّعبُّدات لا يصلحُ دليلاً.

والعلمُ عند الله تعالى، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على محمَّد وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدِّين، وسلَّم تسليمًا.

---

(25) أخرجه الترمذي (542)، وابن حبَّان (2812)، وابن خزيمة (1426)، وصحَّحه الألباني في «مشكاة المصابيح» (1440).

(26) أخرجه ابن خزيمة (1426)، وأحمد (23042)، والبيهقي في «الكبرى» (6159)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (4845).

(27) أخرجه ابن حبَّان (2812)، وصحَّحه الألباني في «التعليقات الحسان» (2801).

(28) أخرجه أحمد (22984)، والبيهقي في «الكبرى» (6160)، والدارقطني (1715)، وحسَّنه محققو «المسند» (88/38).

(29) أخرجه ابن ماجه (1756)، من حديث بريدة ابن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه، وصحَّحه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (1422).

(30) رواه أحمد في «المسند» (22984).

(31) انظر: «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» للمباركفوري (45/5).

(32) انظر: «الأم» (217/2).

(33) أخرجه البيهقيُّ في «السنن الكبرى» (6161)، وقد ذكر الذهبيُّ في «ميزان الاعتدال» (86/3) تضعيفَ أحد رواته، والحديث بزيادة الأكل من كبد الأضحية ضعيفٌ لعلَّتين: الأولى: الوليد بن مسلم وهو القرشيُّ مولاهم أبو العبَّاس الدمشقيُّ، ثقةٌ لكنَّه كثير التدليس والتسوية، [«التقريب» (7506)]، الثانية: عقبة وهو ابن عبد الله الأصمُّ الرِّفاعي العبدي البصري: ضعيفٌ وربَّما دلَّس، [«التقريب» (4676)]، وقد ضعَّف الألبانيُّ هذه الزيادةَ كما في «سبل السلام» بتعليقاته عليه (200/2) حيث قال: «هذه الزيادة ضعيفةٌ؛ لأنها من رواية عقبة بن الأصمِّ عن ابن بريدة؛ وهو عقبة ابن عبد الله الأصمّ: ضعيفٌ، كما في «التقريب»».

(34) انظر: «الإنصاف» للمرداوي (101/4).

(35) أخرجه البخاريُّ (1)، ومسلمٌ (1907)، من حديث عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه.

(36) انظر: الفتوى: (1137) الموسومة ب: «في حكم تشريك قُرْبتين بعملٍ واحدٍ».







يسعى الشّيعة الرّوافض جاهدين في تشويه صَفحات التّاريخ الإسلامي، والنّيلِ مِن صحابة رسول الله ﷺ الطّاهرين، ونَشْرِ الرّوايات الباطلة عنهم، واختلاقِ الأخبار المكذوبة الّتي تقدح فيهم، ومُحاولة تصوير تلك القُرون المُفضَّلة على أنّها حِقبةٌ سادها الصّراع على السُّلطة، والتّناحر لأجل الحُكم والسِّيادة، وأنَّ بعضَهم اغتصب حقَّ غيره في الخِلافة، فتعيَّن علينا . بعد هذه الحملة المسعورة . أنْ نذود عن حياضهم وندافع عنهم، وخيرُ ما نسلكه لهذا الدِّفاع: هو تعريف النّاس بسِيَر أولئك الأعلام مِن الصَّحابة الكرام رضي الله عنهم، الّذين أثنى اللهُ عليهم ورَضِيَ عنهم.

فعمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه: فهو صاحبُ رسولِ الله ﷺ وخليفةُ أبي بكر رضي الله عنه من بعده، وأميرُ المؤمنين، وهو أحدُ السَّابقين الأوَّلين، ومِن العشرة المشهودِ لهم بالجنَّة، وثاني الخلفاء الرَّاشدين، وأحدُ أصهار النَّبيِّ ﷺ، ومِن كبار عُلماء الصَّحابة رضي الله عنهم.

اسمه وكُنيته:

هو عمرُ بنُ الخطّاب بن نُفَيل العدَويُّ بن عبد العُزَّى بن رِيَاح ابن عبد الله بن قُرْط بن رَزَاح بن عَدِيِّ ابن كَعْب بن لُؤَيِّ بن غالب، الفاروق، أبو حَفْص القُرَشي رضي الله عنه، يجتمع مع رسول الله ﷺ في كَعْبِ بنِ لُؤَيّ[1].

مَولده ومَكانته في قومه:

وُلِدَ عمرُ رضي الله عنه بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان من أشراف قُرَيْش، وإليه كانت السِّفارة في الجاهليَّة؛ لأنَّه كان إذا وقع بين قريش وبين غيرها حربٌ أو مُنافرةٌ أو مُفاخرةٌ بَعَثُوه سَفيرًا ومُنافِرًا ومُفاخِرًا[2].

(1) انظر: «أُسد الغابة» لابن الأثير (137/4).
(2) انظر «الاستيعاب» (1145/3).

صِفته وهَيئته:

كان رجُلًا أبيض، تعلوه حُمرَةٌ، طُوَّالًا، يمشي كأنّه راكب، أشيب، أصلع[3].

زَوجاته وأولاده:

مجموع نسائه في حياته: جميلة أخت عاصم ابن ثابت بن الأفلح، وزينب بنت مظعون، وعاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نُفيل، وقُريبة بنت أبي أُميَّة، ومُليكة بنت جَرْول، وأُمُّ حكيم بنت الحارث ابن هشام، وأُمُّ كُلثوم بنت عليِّ بنِ أبي طالب.

وجملة أولاده: زيد الأكبر، وزيد الأصغر، وعاصم، وعبد الله، وعبد الرَّحمن الأكبر، وعبد الرَّحمن الأوسط، وعبد الرَّحمن الأصغر، وعُبيد الله، وعياض، وحفصة، ورُقيَّة، وزينب، وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين[4].

(3) انظر «تاريخ الرُّسل والملوك» للطَّبري (196/4).
(4) انظر «البداية والنِّهاية» لابن كثير (196/10).

ظُهور الدِّين بإسلامه:

هدى اللهُ تعالى عُمَرَ رضي الله عنه وشرح صدرَه للإسلام ببركة دُعاء النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم له؛ روى الترمذي (3681) عن ابن عُمرَ أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْلٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ»، قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ»[5].

هذا الَّذي صحَّ في إسلام عمر رضي الله عنه ، أمَّا قصَّةُ إسلامه ودخوله على أُختِه فاطمةَ وزوجها وضربه لها، ثمَّ قراءته لسورة طه، وإسلامه بعدها، فقد وردت من طرق لا تَصِحُّ[6].

وما أسلم عمرُ رضي الله عنه حتَّى ظهر الإسلامُ في مكَّةَ، وفرح به المسلمون كثيرًا، واستطاعوا أن يُظهِرُوا دينَهم، وما خافوا إيذاءَ المشركين، فكان إسلامُه فتحًا على المسلمين، وفرجًا لهم من الضِّيق؛ أخرج البخاري (3684) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ»، وذلك لما كان فيه من الجَلَد والقُوَّة في أمر الله[7].

مُوافقة القُرآن له:

كان عمرُ رضي الله عنه يرى الرَّأي فينزل القرآن مُؤيِّدًا له، ومن ذلك:

روى مسلم (2399) عن ابن عُمر قال: قال عُمرُ: «وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ: فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الحِجَابِ، وَفِي أُسَارَى بَدْرٍ».

(5) (صحيح)؛ انظر «مشكاة المصابيح» للألباني (6036).

(6) انظر «ما شاع ولم يثبت في السِّيرة النَّبويَّة» للعوشن، و«التَّعليق على الرَّحيق المختوم» للملاَّح (ص70).

(7) انظر «فتح الباري» لابن حجر (48/7).

وروى البخاري (402) عن أنس ابن مالك قال: قال عمرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه : «وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ! لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125]، وَآيَةُ الحِجَابِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: 5]، فنزلتْ هذه الآيةُ».

وروى البخاري (1366) عن ابن عبَّاس عَنْ عُمَرَ بن الخَطَّاب رضي الله عنهم أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ بن سَلُولَ دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَثَبْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَتُصَلِّي عَلَى ابْنِ أُبَيٍّ وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ أُعَدِّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ: «أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ» فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: «إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا» قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمْ يَمْكُثْ إِلاَّ يَسِيرًا، حَتَّى نَزَلَتِ الآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةَ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة التوبة]، قَالَ: فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَئِذٍ، وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

مُوافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم له:

روى مسلم (31) عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ: «اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ» فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ، فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بِالجَنَّةِ، فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَخَرَرْتُ لاسْتِي، فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً... فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا عُمَرُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَلا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا، فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «فَخَلِّهِمْ».

وروى مسلم (27) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - شَكَّ الأَعْمَشُ - قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «افْعَلُوا» قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِنِ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «نَعَمْ» قَالَ: فَدَعَا بِنِطَعٍ فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكَسْرَةٍ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَيْهِ بِالبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ» قَالَ: فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ، حَتَّى مَا تَرَكُوا

فِي العَسْكَرِ وِعَاءٌ إِلاَّ مَلَؤُوهُ، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّةِ».

خوف الشَّيطان منه:

روى البخاري (3294) ومسلم (2396) عن سَعْد بن أَبي وَقَّاص قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاَءِ اللاَّتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الحِجَابَ» قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنَنِي وَلاَ تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».

تأثُّره لموت رسول الله ﷺ واستبعاده بذلك:

روى أحمد (13028) عن أنس ابن مالك قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ الإِثْنَيْنِ كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِتْرَ الحُجْرَةِ، فَرَأَى أَبَا بَكْرٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَى وَجْهِهِ كَأَنَّهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ وَهُوَ يَتَبَسَّمُ، قَالَ: وَكِدْنَا أَنْ نُفْتَتَنَ فِي صَلاتِنَا فَرَحًا لِرُؤْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَنْكُصَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ كَمَا أَنْتَ، ثُمَّ أَرْخَى السِّتْرَ، فَقُبِضَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ، فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنَّ رَبَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ كَمَا أَرْسَلَ إِلَى مُوسَى، فَمَكَثَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَاللَّهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَعِيشَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَقْطَعَ أَيْدِيَ رِجَالٍ مِنَ المُنَافِقِينَ وَأَلْسِنَتَهُمْ يَزْعُمُونَ - أَوْ قَالَ: يَقُولُونَ -: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ مَاتَ»[8].

تولِّيه الخلافة وكراهته للإمارة:

روى البخاري (6830) عن ابن عبَّاس: أنَّ أبا بكر الصِّدِّيق قال في سقيفة بني ساعدة: «قد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرَّجلين، فبايعوا أيَّهما شئتم» فأخذ بيد عمر وبيد أبي عبيدة ابن الجرَّاح، وهو جالسٌ بينهما، فقال عمر: «فلم أكره ممَّا قال غيرها، كان والله أن أُقدَّم فتُضرَبَ عُنُقِي، لا يُقرِّبني ذلك من إثم، أحبُّ إليَّ من أن أتأمَّر على قوم فيهم أبو بكر، اللَّهمَّ إلاَّ أن تُسوِّل إليَّ نفسي عند الموت شيئًا لا أجده الآن».

وقد وَلِيَ عمرُ رضي الله عنه الخلافةَ يوم تُوفِّي أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه باستخلافه له، وكان ذلك يوم الثُّلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة، فقام بالأمر أتمَّ قيام، وسار أحسن سيرة[9].

(8) (صحيح)؛ انظر «التَّعليقات الحسان» للألباني (24/10).

(9) انظر «تاريخ دمشق» لابن عساكر (14/44).

هو أوَّل مَن تسمَّى بأمير المؤمنين، وكان من قبل يُسمَّى خليفة خليفةِ رسولِ الله ﷺ:

روى البخاري في «الأدب المفرد» (1023) عَنِ ابْنِ شِهَابٍ: أَنَّ عُمَرَ ابْنَ عَبْدِ العَزِيزِ سَأَلَ أَبَا بَكْرِ بْنَ سُلَيْمَانَ ابنِ أَبِي حَثْمَةَ: لِمَ كَانَ أَبُو بَكْرٍ يَكْتُبُ: مِنْ أَبِي بَكْرٍ؛ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ، ثُمَّ كَانَ عُمَرُ يَكْتُبُ بَعْدَهُ: مِنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ؛ خَلِيفَةِ أَبِي بَكْرٍ، مَنْ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ: أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: حَدَّثَتْنِي جَدَّتِي؛ الشِّفَاءُ - وَكَانَتْ مِنَ المُهَاجِرَاتِ الأُوَلِ، وَكَانَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه إِذَا هُوَ دَخَلَ السُّوقَ دَخَلَ عَلَيْهَا - قَالَتْ: كَتَبَ عُمَرُ ابْنُ الخَطَّابِ إِلَى عَامِلِ العِرَاقَيْنِ[10]: أَنِ ابْعَثْ إِلَيَّ بِرَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ نَبِيلَيْنِ؛ أَسْأَلُهُمَا عَنِ العِرَاقِ وَأَهْلِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ صَاحِبُ العِرَاقَيْنِ بِلَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ وَعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، فَقَدِمَا المَدِينَةَ، فَأَنَاخَا رَاحِلَتَيْهِمَا بِفِنَاءِ المَسْجِدِ، ثُمَّ دَخَلا المَسْجِدَ، فَوَجَدَا عَمْرَو ابْنَ العَاصِ، فَقَالا لَهُ: يَا عَمْرُو! اسْتَأْذِنْ لَنَا عَلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ، فَوَثَبَ عَمْرٌو فَدَخَلَ عَلَى عُمَرَ، فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ! فَقَالَ عُمَرُ: مَا بَدَا لَكَ فِي هَذَا الاسْمِ يَا ابْنَ العَاصِ لَتَخْرُجَنَّ مِمَّا قُلْتَ: قَالَ: نَعَمْ، قَدِمَ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ وَعَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، فَقَالا لِي: اسْتَأْذِنْ لَنَا عَلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، فَقُلْتُ: أَنْتُمَا وَاللَّهِ أَصَبْتُمَا اسْمَهُ، وَإِنَّهُ الأَمِيرُ، وَنَحْنُ المُؤْمِنُونَ، فَجَرَى الكِتَابُ من ذلك اليوم[11].

(10) أي: الكوفة والبصرة.

(11) (صحيح)؛ انظر «صحيح الأدب المفرد» للألباني (784).

وهو مَن جمع النَّاس على التَّراويح بعد أنْ ترك النَّبيُّ ﷺ ذلك؛ خشيةَ أن يُكتَب عليهم:

روى البخاري (2010) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ القَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى المَسْجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ، يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلاَتِهِ الرَّهْطُ، فَقَالَ عُمَرُ: «إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلاَءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ، لَكَانَ أَمْثَلَ» ثُمَّ عَزَمَ، فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَةِ قَارِئِهِمْ، قَالَ عُمَرُ: «نِعْمَ البِدْعَةُ هَذِهِ، وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُومُونَ».

اهتمامُه برعيَّته:

روى البخاري (2881) عن ثَعْلَبَةَ ابنِ أَبِي مَالِكٍ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَسَمَ مُرُوطًا[12] بَيْنَ نِسَاءٍ مِنْ نِسَاءِ المَدِينَةِ، فَبَقِيَ مِرْطٌ جَيِّدٌ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ عِنْدَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَعْطِ هَذَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي عِنْدَكَ، يُرِيدُونَ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عَلِيٍّ، فَقَالَ عُمَرُ: «أُمُّ سَلِيطٍ أَحَقُّ، وَأُمُّ سَلِيطٍ مِنْ نِسَاءِ الأَنْصَارِ، مِمَّنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ» قَالَ عُمَرُ: «فَإِنَّهَا كَانَتْ تَزْفِرُ لَنَا القِرَبَ يَوْمَ أُحُدٍ».

وروى البخاري في «الأدب المفرد» (201) عن أبي محذورة قال: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عُمَرَ رضي الله عنه إِذْ جَاءَ صَفْوَانُ

(12) جمع مِرْط، وهو كساء من صُوف أو حرير.

ابْنُ أُمَيَّةَ بِجَفْنَةٍ، يَحْمِلُهَا نفرٌ في عباءة، فَوَضَعُوهَا بَيْنَ يَدَيْ عُمَرَ، فَدَعَا عُمَرُ نَاسًا مَسَاكِينَ وَأَرِقَّاءَ مِنْ أَرِقَّاءِ النَّاسِ حَوْلَهُ، فَأَكَلُوا مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: «فَعَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ - أَوْ قَالَ: لَحَا[13] اللَّهُ قَوْمًا - يَرْغَبُونَ عَنْ أَرِقَّائِهِمْ أَنْ يَأْكُلُوا مَعَهُمْ»[14].

من كراماته وسداد أقواله حتَّى كاد أن يكون نبيًا:

روى البخاري (3689) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه [وهو في مسلم (2398) عن عائشة] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ[15]، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ، فَإِنَّهُ عُمَرُ» زَادَ زَكَرِيَّاءُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ سَعْدٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ، يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ».

وروى التِّرمذي (3686) عن عُقبة ابن عامر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَوْ كَانَ نَبِيٌّ بَعْدِي لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ»[16].

أي: أنَّه أُعطي من التَّوفيق للصَّواب ما يكاد يكون نبيًّا، إلاَّ أنَّه ليس كذلك؛ لانقطاع دائرة النُّبوَّة، ولولا انقطاعُها

(13) أي: قبَّح ولعن.

(14) (صحيح)؛ انظر «صحيح الأدب المفرد» للألباني (148).

(15) جمعُ مُحدَّث، وتنوَّعت تفسيراتُ العلماء للمحدَّث، فقيل: مُلهَم، أو مُفهَّم، أو مُكَلَّم، أي: تُكلِّمه الملائكة من غير نُبوَّة، أو مُصيب إذا ظنَّ، أو الرَّجل الصَّادق الظَّنِّ، أو يجري الصَّواب على لسانه من غير قصد، أو المُتفرِّس.

(16) (حسن)؛ انظر «السِّلسلة الصَّحيحة» للألباني (327).

لكان حقيقًا بذلك، وفيه إبانة عن فضل ما جعله الله له من أوصاف الأنبياء وخِلال المرسَلين[17].

وروى أبو داود (2962) وابن ماجه (108) عن أبي ذرٍّ قال: سمعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ يَقُولُ بِهِ»[18].

أي: جعله الله مُوفَّقًا مُسدَّدًا في رأيه وما يقوله، وقد ظهر صِدقُ هذا الإخبار بما كان يراه، ثمَّ نزل به القرآن[19].

وروى التِّرمذي (3682) عن ابنِ عُمَرَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ»، وقال ابنُ عُمَرَ: «مَا نَزَلَ بِالنَّاسِ أَمْرٌ قَطُّ فَقَالُوا فِيهِ وَقَالَ فِيهِ عُمَرُ إِلاَّ نَزَلَ فِيهِ القُرْآنُ عَلَى نَحْوِ مَا قَالَ عُمَرُ»[20].

وروى البيهقي في «الاعتقاد» (289) وأحمد في «فضائل الصَّحابة» (355) عن ابنِ عُمَرَ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ بَعَثَ جَيْشًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلا يُدْعَى سَارِيَةَ قَالَ: فَبَيْنَا عُمَرُ يَخْطُبُ قَالَ: فَجَعَلَ يَصِيحُ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ: يَا سَارِيَةُ الجَبَلَ، يَا سَارِيَةُ الجَبَلَ، قَالَ: فَقَدِمَ رَسُولُ الجَيْشِ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، لَقِينَا عَدُوَّنَا فَهَزَمُونَا وَإِنَّ الصَّائِحَ لَيَصِيحُ: يَا سَارِيَةُ الجَبَلَ، يَا سَارِيَةُ الجَبَلَ، فَشَدَدْنَا ظُهُورَنَا بِالجَبَلِ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ، فَقِيلَ لِعُمَرَ: إِنَّكَ كُنْتَ تَصِيحُ بِذَلِكَ[21].

(17) انظر «تحفة الأحوذي» للمباركفوري (119/10).

(18) (صحيح)؛ انظر «صحيح الجامع» للألباني (1834).

(19) انظر «التَّنوير» للصَّنعاني (285/3).

(20) (صحيح)؛ انظر «صحيح الجامع» للألباني (1736).

(21) (صحيح)؛ انظر «السِّلسلة الصَّحيحة» للألباني (1110).

مِن فضائله:

روى البخاري (3690) ومسلم (2388) عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا الذِّئْبُ، فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً فَطَلَبَهَا حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي» فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»، وَمَا ثَمَّ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ.

شهد لهما النَّبيُّ ﷺ بالإيمان بذلك؛ لعلمه بكمال إيمانهما.

وروى البخاري (3679) ومسلم (2394) عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا دَارًا أَوْ قَصْرًا، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ ابْنِ الخَطَّابِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ»، فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَيْ رَسُولَ اللهِ أَوَ عَلَيْكَ يُغَارُ؟

وروى البخاري (3681) ومسلم (2391) عن عبد الله ابن عُمر رضي الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، إِذْ رَأَيْتُ قَدَحًا أُتِيتُ بِهِ فِيهِ لَبَنٌ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَجْرِي فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ»، قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «العِلْمَ».

وفيه دليلٌ على فضل عمر رضي الله عنه وتفوُّقه في علوم الشَّريعة؛ لأنَّه نَهلَ من ذلك اللَّبن الَّذي شرب منه النَّبيُّ ﷺ، فدلَّ ذلك على اختصاصه وامتيازه بقدرٍ زائدٍ من العلم[22].

وروى البخاري (23) ومسلم (2390) عن أبي سعيد الخُدْريِّ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ اجْتَرَّهُ»، قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الدِّينَ».

وفُسِّر القميص بالدِّين؛ لأنَّه يَستُر المؤمن، ويَصونه من النَّار كما يَستر القميصُ البدنَ[23].

قَتْلُه:

روى مسلم (567) عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ خَطَبَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَذَكَرَ نَبِيَّ اللهِ ﷺ وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ قَالَ: «إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ دِيكًا نَقَرَنِي ثَلَاثَ نَقَرَاتٍ، وَإِنِّي لَا أُرَاهُ إِلَّا حُضُورَ أَجَلِي...».

وروى البخاري (3700) عَنْ عَمْرِو ابْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامٍ بِالمَدِينَةِ... فَقَالَ عُمَرُ: لَئِنْ سَلَّمَنِي اللهُ، لَأَدَعَنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ العِرَاقِ لَا يَحْتَجْنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا، قَالَ: فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلا رَابِعَةٌ حَتَّى أُصِيبَ، قَالَ: إِنِّي لَقَائِمٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، إِلَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ غَدَاةَ أُصِيبَ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، قَالَ: اسْتَوُوا، حَتَّى إِذَا لَمْ يَرَ فِيهِنَّ خَلَلًا تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، وَرُبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ، أَوِ النَّحْلَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَبَّرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَتَلَنِي - أَوْ أَكَلَنِي - الكَلْبُ، حِينَ طَعَنَهُ، فَطَارَ العِلْجُ[24] بِسِكِّينٍ ذَاتِ طَرَفَيْنِ، لَا يَمُرُّ عَلَى أَحَدٍ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا طَعَنَهُ، حَتَّى طَعَنَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُسًا، فَلَمَّا ظَنَّ العِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ، وَتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَدَّمَهُ، فَمَنْ يَلِي عُمَرَ فَقَدْ رَأَى الَّذِي أَرَى، وَأَمَّا نَوَاحِي المَسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ، وَهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ، فَصَلَّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلَاةً خَفِيفَةً، فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، انْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي، فَجَالَ سَاعَةً ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: غُلَامُ المُغِيرَةِ، قَالَ: الصَّنَعُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قَاتَلَهُ اللهُ، لَقَدْ أَمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفًا، الحَمْدُ للهِ الذي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الإِسْلَامَ، قَدْ كُنْتَ أَنْتَ وَأَبُوكَ تُحِبَّانِ أَنْ تَكْثُرَ العُلُوجُ بِالمَدِينَةِ - وَكَانَ العَبَّاسُ أَكْثَرَهُمْ رَقِيقًا - فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ فَعَلْتُ، أَيْ: إِنْ شِئْتَ قَتَلْنَا؟ قَالَ: كَذَبْتَ بَعْدَ مَا تَكَلَّمُوا بِلِسَانِكُمْ، وَصَلَّوْا قِبْلَتَكُمْ، وَحَجُّوا حَجَّكُمْ، فَاحْتُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ فَانْطَلَقْنَا مَعَهُ، وَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ، فَقَائِلٌ يَقُولُ: لَا بَأْسَ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: أَخَافُ عَلَيْهِ، فَأُتِيَ بِنَبِيذٍ فَشَرِبَهُ، فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِلَبَنٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جُرْحِهِ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، وَجَاءَ النَّاسُ، فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ، فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللهِ لَكَ، مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدَمٍ فِي

---

(22) انظر «منار القاري» لحمَّد قاسم (184/1).
(23) المصدر السَّابق (104/1).
(24) هو الرَّجل من كُفَّار العَجَم، والمراد به هنا أبو لؤلؤة المجوسي.

الإسْلاَم مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلِيتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ شَهَادَةٌ، قَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ لاَ عَلَيَّ وَلاَ لِي، فَلَمَّا أَدْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الأَرْضَ، قَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ الغُلاَمَ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي ارْفَعْ ثَوْبَكَ، فَإِنَّهُ أَبْقَى لِثَوْبِكَ، وَأَتْقَى لِرَبِّكَ، يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ، فَحَسَبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ، قَالَ: إِنْ وَفَى لَهُ مَالُ آلِ عُمَرَ فَأَدِّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَإِلا فَسَلْ فِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ فَسَلْ فِي قُرَيْشٍ، وَلاَ تَعْدُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ، فَأَدِّ عَنِّي هَذَا المَالَ، انْطَلِقْ إِلى عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، فَقُلْ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ السَّلاَمَ، وَلاَ تَقُلْ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، فَإِنِّي لَسْتُ اليَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا، وَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي، فَقَالَ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ السَّلاَمَ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَقَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، وَلأُوثِرَنَّ بِهِ اليَوْمَ عَلَى نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ، قِيلَ: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَدْ جَاءَ، قَالَ: ارْفَعُونِي، فَأَسْنَدَهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَذِنَتْ، قَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ، مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنَا قَضَيْتُ فَاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلِّمْ، فَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِي فَأَدْخِلُونِي، وَإِنْ رَدَّتْنِي رُدُّونِي إِلى مَقَابِرِ المُسْلِمِينَ، وَجَاءَتْ أُمُّ المُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ وَالنِّسَاءُ تَسِيرُ مَعَهَا، فَلَمَّا رَأَيْنَاهَا قُمْنَا، فَوَلَجَتْ عَلَيْهِ، فَبَكَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، وَاسْتَأْذَنَ الرِّجَالُ، فَوَلَجَتْ دَاخِلاً لَهُمْ، فَسَمِعْنَا بُكَاءَهَا مِنَ الدَّاخِلِ، فَقَالُوا: أَوْصِ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ اسْتَخْلِفْ، قَالَ: مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلاَءِ النَّفَرِ، أَوِ الرَّهْطِ، الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّى عَلِيًّا، وَعُثْمَانَ، وَالزُّبَيْرَ، وَطَلْحَةَ، وَسَعْدًا، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَقَالَ: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ - كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ - فَإِنْ أَصَابَتِ الإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ وَإِلاَّ فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ، وَلاَ خِيَانَةٍ، وَقَالَ: أُوصِي الخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي، بِالمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَيَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالأَنْصَارِ خَيْرًا ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَأَنْ يُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِأَهْلِ الأَمْصَارِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ رِدْءُ الإِسْلاَمِ، وَجُبَاةُ المَالِ، وَغَيْظُ العَدُوِّ، وَأَنْ لاَ يُؤْخَذَ مِنْهُمْ إِلاَّ فَضْلُهُمْ عَنْ رِضَاهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالأَعْرَابِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ أَصْلُ العَرَبِ، وَمَادَّةُ الإِسْلاَمِ، أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِهِمْ، وَيُرَدَّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ، وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلاَ يُكَلَّفُوا إِلاَّ طَاقَتَهُمْ، فَلَمَّا قُبِضَ خَرَجْنَا بِهِ، فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي، فَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، قَالَتْ: أَدْخِلُوهُ، فَأُدْخِلَ، فَوُضِعَ هُنَالِكَ مَعَ صَاحِبَيْهِ...».

وروى البخاري (3692) عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ قَالَ: «لَمَّا طُعِنَ عُمَرُ جَعَلَ يَأْلَمُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ - وَكَأَنَّهُ يُجَزِّعُهُ -: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ! وَلَئِنْ كَانَ ذَاكَ، لَقَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ أَبَا بَكْرٍ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ صَحَبَتَهُمْ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُمْ، وَلَئِنْ فَارَقْتَهُمْ لَتُفَارِقَنَّهُمْ وَهُمْ عَنْكَ رَاضُونَ، قَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرِضَاهُ، فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنٌّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مَنَّ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ أَبِي بَكْرٍ وَرِضَاهُ، فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنٌّ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ مَنَّ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا تَرَى مِنْ جَزَعِي، فَهُوَ مِنْ أَجْلِكَ وَأَجْلِ أَصْحَابِكَ، وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِي طِلاَعَ الأَرْضِ ذَهَبًا لاَفْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﷻ قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ».

ولمَّا فاضت روحُه صلَّى عليه صُهَيْبٌ، وكان استخلفه عُمَر على الصَّلاة، حتَّى يتَّفق أَهْلُ الشُّورى على خليفة، ودُفن في الحُجرة مع صاحبَيْه[25].

فرضي اللَّه تعالى عنه وأرضاه وعن سائر الصَّحابة الأبرار الأخيار ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

(25) انظر «تاريخ الإسلام» للذهبي (3/600)، «البداية والنهاية» لابن كثير (10/671).







فَضْلُ أَصْحَابِ الحَدِيثِ

تأليف الحافظ ضياء الدّين محمَّد بن عبد الواحد المقدسي

المتوفَّى سنة 643 هـ

دراسة وتحقيق د. جمال عزُّون

أستاذ بجامعة نجران ـ السعودية

هذا جزءٌ لطيفٌ من أجزاء الحافظ الكبير والرُّحَلَةِ الشَّهير أبي عبد الله محمَّد بنِ عبدِ الواحد المقدسي (569 ـ 643هـ) صاحب «الأحاديث المختارة» وغيره من التَّصانيف الَّتي انتشرت في الأمصار، وحَظِيَت بالقبول لدى علماء الأقطار.

ooo

والجزءُ جمع فيه المؤلِّفُ أخبارًا عديدةً في فضل الحديث وأهله، مع «حكايات مُستَطرَفَة عنهم وأشعار بمدحهم»[1]، رواها بأسانيده عن شيوخه كما جرت به عادته في كتبه ورسائله.

ooo

وقد ذكره جمعٌ من أهل العلم منهم: الذَّهبي وابنُ رجب وابنُ فَهْد وابنُ حجر العسقلاني والنُّعَيْمي[2].

ووقع الجزءُ للحافظ ابنِ حجر وقرأه مع كتب أخرى للضِّياء المقدسي على شيخته فاطمة بنت مُحمَّد التَّنُوخيَّة الدِّمشقيَّة[3]، ووقع الجزءُ الثَّاني منه لأبي بكر بن عليٍّ ابنِ صلاح الزَّملكاني الصَّالحي وتيسَّرَ له سماعُه على الحافظ الشَّهيرِ أبي بكر مُحمَّد بن عبد الله المقدسي المعروف بابن المُحبِّ الصَّامت، والعماد أبي بكر بنِ مُحمَّد بن الحبَّال[4].

وقد ذكر الذَّهبي أنَّه في ثلاثة أجزاء، بينما قال ابنُ رجب: إنَّه أربعةٌ.

ooo

ولم يَصِلْ للباحثين من هذه الأجزاء سوى ستِّ ورقات بخطِّ مُؤلِّفه الحافظ ضياء الدِّين المقدسي وتخريجه احتفَظَتْ بها المكتبةُ الظَّاهريَّةُ بدمشق ضمن مجاميعها النَّادرة وتحديدًا مجموع العمريَّة رقم: (107) (ق 140 ـ 145) مُدمَجًا مع كتاب «آداب الصُّحبة» للسُّلمي، وقد انتبه لهذه الورقات العلاَّمة الألباني فأدرجها في فهرسه[5]، ووصفها قائلاً: «جزءٌ صغيرٌ في فضل الحديث وأهله»، بينما أغفلها الأستاذُ ياسين السَّوَّاس فلم يُدرِجْها في «فهرس مجاميع العمريَّة».

ثُمَّ ظفرتُ ـ بحمد الله تعالى ـ بثلاث دُرَر:

1 ـ ورقة من هذا الجزء حوَتْ صفحة العنوان، وهي ضمن مجاميع العمريَّة بالمكتبة الظَّاهريَّة[6]، كُتِبَ على صفحة العنوان: «جزء فيه من فضل أصحاب الحديث رضي الله عنهم من جمع الشَّيخ الإمام الحافظ أورع المُحدِّثين ضياء الدِّين أبي عبد الله مُحمَّد بنِ عبدِ الواحد المقدسي رحمة الله عليه»، وقد كتب أحدُهم فوق هذا العنوان: «نُقِلَتْ منه» في إشارة إلى انتخاب صاحب هذا القلم نصوصاً من جُزئنا هذا.

2 ـ ورقتان تَحتَفظُ بهما مجاميعُ الظَّاهريَّة كُتِبَ في أوَّلِهما: «منتخب من الحثِّ على طلب الحديث»، وعزاهما السَّوَّاس للضِّياء المقدسي[7].

وبتأمُّلِهما يرى النَّاظر بضعة

(1) محمَّد مطيع الحافظ: «التَّنويه والتَّبيين في سيرة مُحدِّث الشَّام الحافظ ضياء الدِّين» (342).

(2) انظر «تاريخ الإسلام» (212/47)، و«السِّيَر» (128/23)، و«ذيل طبقات الحنابلة» (239/2)، و«معجم شيوخ ابن فهد» (102)، و«المجمع المؤسِّس» (431/2)، و«الدَّارس في تاريخ المدارس» (94/2)، و«الدُّرُّ المُنضد» (385).

(3) «المجمع المؤسِّس» (431/2).

(4) «معجم شيوخ ابن فهد» (102).

(5) «المنتخب من مخطوطات الحديث» (رقم: 1618).

(6) «المجموع الثَّاني من مجاميع العمريَّة» الورقة (93ـ94).

(7) وانظر «فهرس مخطوطات دار الكتب الظَّاهريَّة» (المجاميع 356/2)، الورقة (144أ).

نصوص في فضل الحديث وأهله؛ اثنان منها مَرويَّان من طريق الضِّياء المقدسي وسوى ذلك فمن طريق غيره.

وأَحسَبُ هاتَيْن الورقتَيْن من ضمن «جزء في الحثِّ على طلب الحديث» جمعه صاحبُ ذاك القلم، وكان من جملة مصادره جزءُ الحافظ الضِّياء المقدسي هذا، ولم أرَ في هاتَيْن الورقتَيْن من نصوص في فضل الحديث وأهله من طريق الضِّياء سوى نصَّيْن اثْنَيْن هما:

الأوَّل: قال صاحب الجزء: «أخبرنا الحافظُ الإمام أبو عبد الله مُحمَّد بنُ عبد الواحد بن أحمد المقدسي بقراءتي عليه، قال: أخبرنا أبو الضَّوء شهاب بن محمود الهروي[8]. واسمه محمَّد وعرف بشهاب - بقراءتي عليه بجامع هراة، قلتُ له: أخبركم أبو سعد عبد الكريم ابن مُحمَّد السّمعاني، قال: أنشدنا أبو بكر عبدُ الله بنُ عمران الباقلَّاني إملاءً بواسط، أنشدنا أبو الكرم خميس بن عليٍّ الحوزي لنفسه:

تركتُ مقالاتِ الكلام جميعَها
لمبتدعٍ يدعو بهنَّ إلى الرَّدى
ولازمتُ أصحابَ الحديث لأنَّهم
دعاةٌ إلى سُبْل المكارم والهدى
وهل ترك الإنسان في الدِّين غايةً
إذا قال قَلَّدتُ النَّبيَّ مُحمَّدا[9]»

الثَّاني: «وقال: أخبرنا أبو الفُتوح يوسُفُ بنُ المُبارَك ابن كامل الخَفَّاف ببغداد، أخبرنا عبدُ الرَّحمن ابنُ محمَّد القزَّاز، أخبرنا مُحمَّد بنُ علي ابن المهتدي بالله، قال: قرأتُ على أبي الحسن عليِّ بن عمر السُّكَّري، حدَّثنا أحمد - هو ابنُ الحسن الصُّوفي - قال: سمعتُ الحَسَنَ بنَ حمَّاد يقول: سمعتُ عُبيْدَ الله بنَ محمَّد بن عُبَيْد... يقول: سمعتُ الأعمشَ يقول: «إذا رأيتُ الشَّيخ لا يَسمَعُ الحديثَ اشْتَهَيْتُ أن أصفَعَ له».

3. ممَّا ظفرت به أيضًا نسخةٌ أخرى من الورقات السِّتِّ اللاَّتي بخطِّ الضِّياء، نَسخَها المُحدِّث الجليل محمَّد ناصر الدِّين الألباني عام (1376هـ) - أي قبل ستِّين عامًا -، وقد ساعدت نسختُه رَحِمَهُ اللهُ في استجلاء كلمات خَفِيَتْ في نسخة الحافظ الضِّياء المقدسي[10].

جاء في آخر نسخة الألباني ما يلي:

«فرغتُ من نسخ هذه الرِّسالة المباركة ضُحَى يوم السَّبت 26 شهر جمادى الأولى سنةَ 1376، وهي بخطِّ الحافظ ضياء الدِّين المقدسي ومن تأليفه، وهذا القَدْرُ منها هو المحفوظ في المجموع (107) من مخطوطات المكتبة الظَّاهريَّة بدمشق، ولا أدري إذا كان هذا القَدْرُ هو الَّذي كتبه المؤلِّفُ أم له تَتمَّةٌ ضاعت مع ما ضاع من آثاره رَحِمَهُ اللهُ؛ فإنَّ الرِّسالةَ كما ترى ليس لها مُقدِّمَةٌ ولا خاتمةٌ».

ولا يشكُّ باحثٌ أنَّ الاحتمالَ الثَّاني هو الَّذي يتعيَّنُ المصيرُ إليه، فقد حدَّدَ الذَّهبي الكتابَ بثلاثة أجزاء، وابنُ رجب بأربعة، وهذه الورقات السِّتَّة لا تكاد تصل حدَّ الجزء الواقع عادةً في عشر ورقات.

والحاصل أنَّ هذه القطعَ الثَّلاثة تكاد تُمثِّلُ جُزءًا، والعنوان الوارد في إحدى القطع: «فضل أصحاب الحديث» هو الَّذي تمَّ الاعتمادُ عليه، وقد ذَكَرَت المصادرُ عنوانَيْن آخرَيْن قريبَيْن أحدهما: «مناقب أصحاب الحديث»، والثَّاني: «مناقب المُحدِّثين».

ooo

وأخيرًا يُشارُ إلى أنَّ هذا الجزءَ نَمُوذَجٌ من جهود العلماء في بيان فضل الحديث ومناقب أهله، وقد ألَّف فيه جمعٌ من أهل العلم منهم:

1 - أبو بكر مُحمَّد بنُ إسحاق ابن خُزيمَةَ السُّلمي (311هـ) في «فضل أصحاب الحديث»[11].

2 - أبو حامد أحمد بن مُحمَّد بن إبراهيم المقرئ (364هـ) في «بيان الفرقة النَّاجية من النَّار وفضيلة أهل الحديث على سائر المذاهب»[12].

3 - أبو الفضل أحمد بنُ عليٍّ السُّلَيْمَاني البيكندي (412هـ) في «الحثُّ على طلب الحديث»[13].

4 - أبو عبد الرَّحمن محمَّد بنُ الحُسَيْن السُّلمي (412هـ) في «شمائل أصحاب الحديث»[14].

5 - أبو صالح منصور بن مُحمَّد الوليدي البخاري في «شمائل أصحاب الحديث»[15].

6 - أبو بكر أحمد بنُ الحُسَيْن بن عليٍّ البيهقي (458هـ) في «رسالته إلى أبي مُحمَّد الجُوَيْني» في اتِّباع الحديث وبيان فضل أهله وهي مطبوعةٌ مُتداوَلَةٌ.

7 - أبو بكر أحمد بنُ عليِّ بن ثابت البغدادي الخطيب (463هـ) في «شرف

(8) في جزئنا هذا خبر من طريق شيخه أبي الضَّوء هذا، انظر رقم: (20).

(9) انظر أبيات الحوزي هذه في «معجم الأدباء» (306/3) لياقوت.

(10) آلت نسخةُ الألباني هذه إلى مكتبة الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة النبوية وقد أوقف عليها مكتبَتَه العامرة جعل الله ذلك في موازين حسناته.

(11) «طبقات الشَّافعيَّة» (99/1) لابن قاضي شهبة.

(12) فرغت من تحقيقه يسَّر الله نشرَه.

(13) «فتح المُغيث» (173/2)، (125/3).

(14) «التَّدوين في تاريخ قزوين» (391/2).

(15) «المُنتَخَب من معجم شيوخ السَّمعاني» (1702/3).

أصحاب الحديث» مطبوع متداول ـ وهو أشهر هذه المُصنَّفات ـ.

8 ـ أبو عليٍّ الحسَنُ بنُ أحمد بن عبد الله ابن البنَّا البغدادي (471هـ) في «شرف أصحاب الحديث»[16].

9 ـ أبو المُظفَّر منصور بنُ مُحمَّد ابنِ عبد الجبَّار السَّمعاني (489هـ) في «الانتصار لأصحاب الحديث»[17].

10 ـ أبو عليٍّ الحُسَيْن بنُ محمَّد الجيَّاني الغسَّاني (498هـ) في «شرف المُحدِّثين»[18].

11 ـ أبو الوفاء عليُّ بنُ عَقيل الحنبلي البغدادي (513هـ) في «الانتصار لأهل الحديث»[19].

12 ـ مُؤرِّخُ دمَشْق الحافظ أبو القاسم عليُّ بنُ الحَسَن ابنِ هبة الله ابن عساكر الدِّمشقي (571هـ) في «فضل أصحاب الحديث»[20] ـ أَحَد عشر جُزءًا ـ.

13 ـ أبو الفرج عبد الرَّحمن بنُ عليِّ بنِ الجوزي البغدادي (597هـ) في «مناقب أصحاب الحديث»[21].

14 ـ أبو شامة عبدُ الرَّحمن بنُ إسماعيل المقدسي (665هـ) في «خطبة الكتاب المُؤمَّل للرَّدِّ إلى الأمر الأوَّل»[22].

15 ـ عمادُ الدِّين أحمدُ بنُ إبراهيم الواسطي (711هـ) في «رسالة في فضل أهل الحديث»[23].

16 ـ مُؤلِّفٌ مَجهولٌ في تصنيف له نادر نقل عنه شيخ الإسلام ابنُ تيمية (728هـ) اسمه: «التَّحديث بمناقب أهل الحديث»[24].

17 ـ يوسف بنُ حَسَن بن أحمد ابن عبد الهادي ابنِ المِبْرَد الدِّمشقي (909هـ) في «بُغيَة الحثيث في فضل أهل الحديث»[25].

18 ـ أبو الفضل مُحمَّد بنُ عبد العزيز بن فَهد المَكِّي (954هـ) في «القول المُعظَّم المُنيف في الموعظة وتعظيم أهل الحديث»[26].

19 ـ أبو الفيض مُحمَّد بنُ مُحمَّد مُرتضَى الزَّبيدي (1205هـ) في «مناقب أصحاب الحديث»[27]، ولعلَّها «أرجوزته في مناقب الأبرار أهل الحديث السَّادة الأخيار»[28].

وغيرُ هذا كثير.

ooo

وكلُّ هذه المُصنَّفات تُرشِدُ إلى قيمةِ الاشتغالِ بحديث رسول الله ﷺ، ومعرفة أخباره، واقتفاء سُنَّته، والسَّيرِ على هديه، وجهودُ أهلِ الحديث هي المصدرُ الخَصبُ والمَنْبَعُ الثَّريُّ في استقصاء ذلك ومعرفته على أحسن الوجوه، فهم أُمنَاءُ السُّنَّة وحُرَّاسها، والباذلون حياتَهم لحفظها وتدوينها، وقد أحسن من قال في وصفهم:

«قومٌ سلكوا حجَّةَ الصَّالحين، واتَّبعوا آثارَ السَّلَف من الماضين، ودَمغُوا أهلَ البدع والمُخالفين، بسُنَنِ رسولِ الله ﷺ وعلى آله أجمعين، قوم آثروا قطعَ المفاوِز والقِفَار، على التَّنعُّم في الدِّمن والأوطار، وتنعَّموا بالبؤس في الأسفار، مع مساكنة العلم والأخبار، وقنعوا عند جمع الأحاديث والآثار، بوجود الكِسَر والأطمار، وقد رفضوا الإلحادَ الَّذي تتوق إليه النُّفوسُ الشَّهوانيَّةُ، وتوابع ذلك من البدع والأهواء، والمقاييس والآراء والزَّيغ، جعلوا المساجِدَ بيوتَهم، وأساطينها تكاهم، وبواريها فرشَهم»[29].

رزقنا الله حُبَّهم، وسلك بنا سبلهم، وجعلنا نقتفي أَثَرَهم، ونُحيي آثارَهم، ورحم الله من دعا لهم، وذكر بالخير أوائلهم وأواخرهم.

ooo

---

(16) «ذيل طبقات الحنابلة» (35/1).

(17) «قواطع الأدلَّة» (348/2)، و«البدر المنير» (598/2)، و«تلخيص الحبير» (144/1)، وفي كتاب «قواطع الأدلَّة» للمؤلِّف نصوصٌ كثيرةٌ من كتاب «الانتصار» طُبِعَت في جزء مُفرَد.

(18) «النُّكت على مُقدِّمة ابن الصَّلاح» (87/21)، و«مشيخة المراغي» (394).

(19) «درء تعارض العقل والنَّقل» (61/8)، و«المعجم المفهرس» (1866)، و«المنهج الأحمد» (91/3).

(20) «معجم الأدباء» (1701)، و«الباعث على إنكار البدع والحوادث» (68)، و«تاريخ الإسلام» (75/40)، و«سير أعلام النُّبلاء» (559/20).

(21) «الدُّرُّ المنضد» (309).

(22) ملأه بمناقب أهل الحديث ودعا فيه إلى اتِّباع الدَّليل وسلوك نهج الأئمَّة الأوائل في استنباط الأحكام من الأدلَّة، وحَذَّر فيه من التَّعصُّب والتَّقليد الَّذي ابْتُلِيَ به المُتأخِّرون، وقد يسَّر الله لراقمه نشرَه.

(23) مخطوطة في مكتبة شهيد علي باشا بتركيا ضمن مجموعة رقمها (5/1397) يسعى الأخ الفاضل أبو الفضل القونوي ـ وفَّقه الله تعالى ـ للحصول على نسخة منها، يسَّر الله له ذلك.

(24) «مجموع الفتاوى» (391/17)، ونقل عنه نصًّا مُطوَّلاً في الثَّناء على الإمام عبد الله بنِ مُسلِم بن قُتَيْبَة الدِّينَوَرِي.

(25) «فهرس الكتب» (رقم: 119).

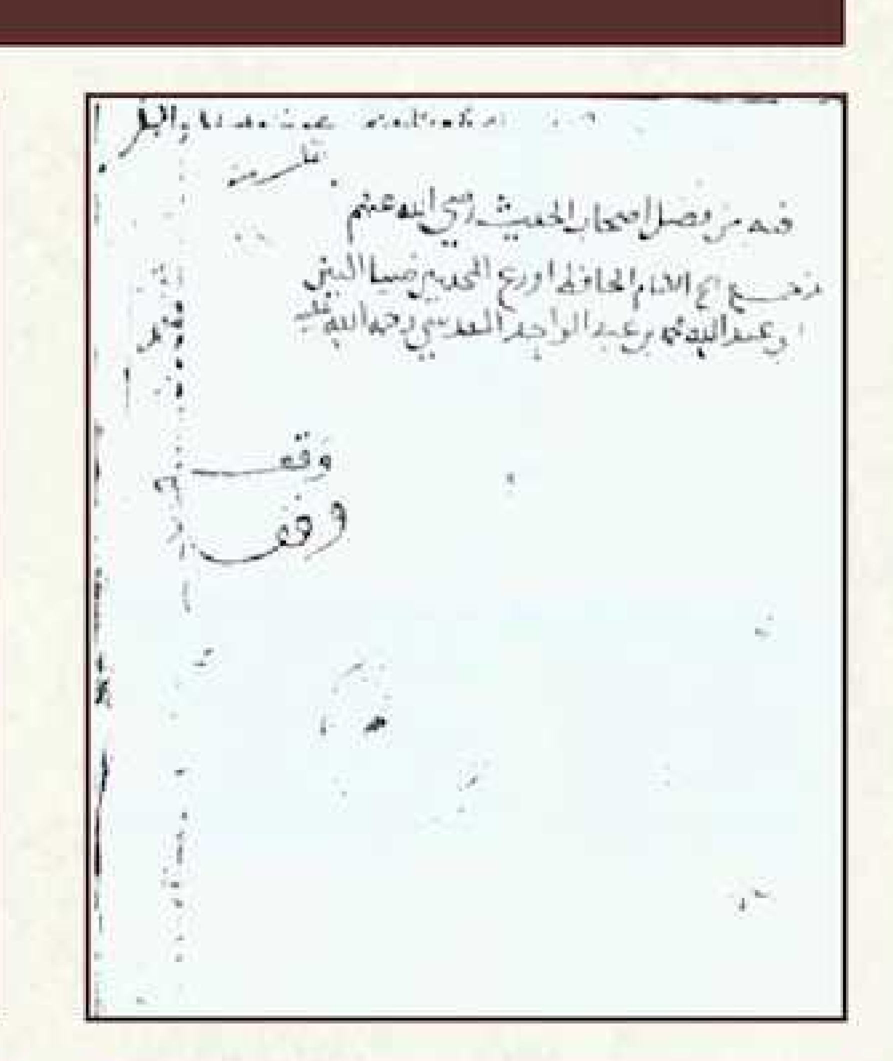
(26) «نيل المنى بذيل بلوغ القرى» (12/1، 650).

(27) «فهرس الفهارس» (538).

(28) مخطوطة في جامعة الملك سعود (7/2716، مجاميع).

(29) ابنُ مندَه: جزء فيه ذكْرُ أبي القاسم الطَّبراني ـ ضمن كتابه «المعجم الكبير» (337/25)، تحقيق: عبد المجيد السَّلفي.

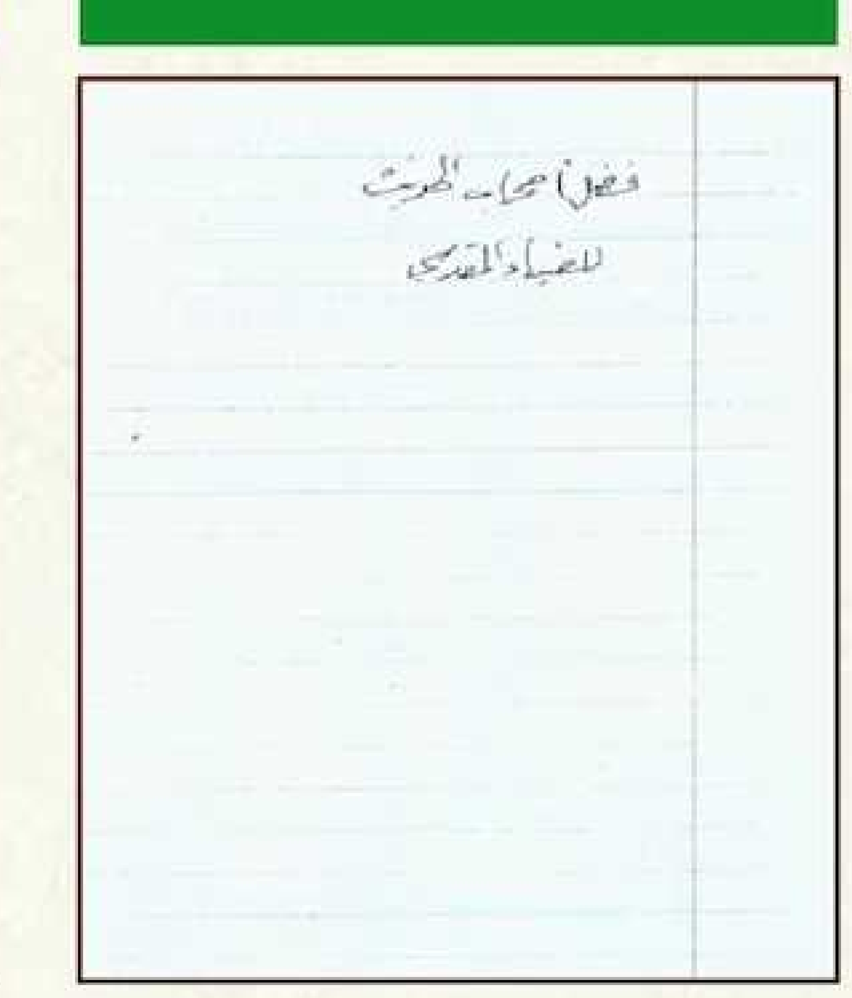
نماذج من النُّسخ الخطّيّة



صفحة العنوان



الورقة الأولى
من المنتخب من الحثّ على طلب الحديث



صفحة العنوان من نسخة الألباني

أوّل نسخة الألباني

نهاية نسخة الألباني
وفيها تاريخ الفراغ من الانتساخ



أوّل الموجود من نسخة الضّياء المقدسي



آخر الموجود
من نسخة الضّياء المقدسي

[بسم الله الرحمن الرحيم]

1 . أخبرنا الإمام مُظفَّر بنُ أبي القاسم بن أبي الحسن ابن قَيَبَا الحريمي بها، أخبرنا أبو مُحمَّد سلمان ابنُ مسعود ابن الحُسَيْن القَصَّاب قراءةً عليه، أخبرنا أبو القاسم عليُّ ابنُ الحسين بن عبد الله الرَّبعي، أخبرنا أبو الحسن مُحمَّد بنُ مُحمَّد بن مُحمَّد ابن مَخلَد، أخبرنا أبو مُحمَّد جعفر ابنُ مُحمَّد بن نصير الخواص الخلدي، حدَّثنا الحسَنُ بنُ علي بن شبيب، حدَّثنا سليمان بنُ أيُّوب، حدَّثنا حمَّاد بنُ زيد، عن أيُّوب قال: قال لي أبو قلابة:

«لقد أقمتُ بالمدينة ثلاثًا ما لي حاجةٌ إلاَّ أن يَقدم رجلٌ فأسأله عن حديث»[30].

ooo

2 . أخبرنا الإمام أبو أحمد عبد الوهَّاب بنُ عليٍّ بن عليٍّ بقراءتي عليه، قلتُ له: أخبَرَكم أبو بكر مُحمَّد ابنُ عبد الباقي بن مُحمَّد بن عبد الله البزَّاز قراءةً عليه، قال: أخبرنا القاضي أبو يعلى مُحمَّد بنُ الحُسَيْن بن مُحمَّد ابن خَلَف بن الفَرَّاء، قال: سَمعتُ إسحاقَ بنَ مُحمَّد بن يُوسُف النَّيسابوري - قدم علينا حاجًا - يقول: سَمعتُ مُحمَّد ابنَ يعقوب الأصمَّ يقول: سمعتُ الرَّبيعَ بنَ سليمان يقول: سَمِعتُ الشَّافعي يقول:

«طلب العلم أفضل من طلب النَّافلة».

ooo

3 . أخبرنا أبو روح عبدُ المُعِزِّ بنُ محمَّد بن أبي الفضل الهروي قراءةً عليه، قيل له: أخبَرَكم أبو القاسم زاهرُ ابنُ طاهر الشَّحَّامي قراءةً عليه، قال: أخبرنا أبو سعد مُحمَّد ابنُ عبد الرَّحمن ابن مُحمَّد، أخبرنا الحاكمُ أبو القاسم بِشْرُ بنُ مُحمَّد بن مُحمَّد بن ياسين، أخبرنا إمامُ الأئمَّة أبو بكر مُحمَّد بنُ إسحاق بن خُزَيْمَة، سمعتُ أحمد بنَ نَصْر المقرئ يقول: سَمعتُ إبراهيمَ بنَ مَعدان يقول: قال ابنُ المُبارَك:

«مَثَلُ الَّذي يَطلُب أمرَ دينه بلا إسناد كمَثَلِ الَّذي يَرتَقِي السَّطحَ بلا سُلَّم».

ooo

4 . وأخبرنا بها أيضًا مُحمَّد بنُ محمَّد بن كوي في بنيسابور، أخبرنا محمَّد ابنُ عليِّ بن مُحمَّد الطُّوسي، أخبرنا أبو بكر مُحمَّد بنُ الحُسَيْن بن علي بن الحسن، حدَّثنا مُحمَّد بنُ إبراهيم بن عمران بن أحمد بن المَرْزُبان الكرماني، أخبرنا مُحمَّدُ بنُ إسماعيل بن أحمد ابن العَنْبَر بسجِسْتَان، حدَّثنا محمَّد بنُ يعقوب الكَنارَكي - محلَّةٌ بسجستان[31] -، حدَّثنا إبراهيمُ هو ابنُ إسحاق الغسيلي، حدَّثنا محمَّد بنُ حُمَيْد، قال: سمعتُ ابنَ المُبارَك يقول:

«مَنْ طلبَ العلمَ بلا إسناد كان كمن يَرتَقِي السَّطحَ بلا سُلَّم»[32].

ooo

5 . وأخبرنا أبو النَّجيب إسماعيل المُعلِّم بنيسابور، أخبرنا هبة الرَّحمن ابنُ أبي سعيد قراءةً عليه، أخبرنا مُحمَّد ابنُ محمَّد بن زَيد العلوي، أخبرنا الحسَنُ بنُ أحمَدَ بن عبد الله المقرئ، أخبرنا محمَّد بن أحمد الحافظ، حدَّثنا أحمد ابنُ جعفر بن سلم، حدَّثنا الأبَّار، حدَّثنا مُحمَّد بنُ علي ابن الحَسَن بن شَقيق، قال: سمعتُ عبدان يقول: قال عبدُ الله ابنُ المُبارَك:

«الإسنادُ عندي من الدِّين، لولا الإسنادُ لقال مَنْ شاء ما شاء، فإذا قيل له: مَنْ حدَّثَكَ؟ بَقِيَ»[33].

ooo

6 . أخبرنا أبو علي ابنُ الخَرِيف وأبو القاسم ابنُ الشَّدقيني، أخبرنا أبو بكر ابنُ عبد الباقي، أخبرنا هنَّاد النَّسَفي، أخبرنا أبو القاسم الدِّينَوَرِي، أخبرنا أحمد بنُ علي بن أحمد الهمذاني، حدَّثنا حامدُ بنُ أحمد المروزي، سَمعتُ مُحمَّد بنَ يونُسَ السَّرْخسي يقول: سمعتُ عليَّ بنَ خَشْرَم يقول: سمعتُ الفضلَ بنَ موسى يقول:

«ما مَسستُ كتابًا إلاَّ وأنا مُتوضِّئٌ تعظيمًا لحديث رسول الله ﷺ»[34].

ooo

7 . أخبرنا عبدُ الوهَّاب بنُ علي، أخبرنا أبي، أخبرنا عبدُ الله بنُ مُحمَّد ابن هزارمرد، أخبرنا عُبَيْدُ الله ابنُ مُحمَّد، حدَّثنا عبدُ الله بنُ مُحمَّد

---

(30) أخرجه ابن سعد في «الطَّبقات» (184/7)، والرَّامَهُرمُزي في «المُحدِّث الفاصل» (223)، والخطيب في «الرِّحلة» (145) من طُرُق عن حمَّاد بن زيد به.

(31) انظر «الأنساب» (97/5) (الكنارَكي).

(32) أخرجه السَّمعاني في «أدب الإملاء والاستملاء» (1/1)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (41)، و«الكفاية» (391/1)، من طريق إبراهيم بن معدان، عن ابن المبارك به، وأخرجه الهروي في «ذمِّ الكلام» (رقم: 1008) من طريق ابن العنبر، عن مُحمَّد ابن يعقوب به.

(33) أخرجه التِّرمذي في «العلل الصَّغير» (743/1)، والهروي في «ذمِّ الكلام» (رقم: 1007)، وغيرهما من طرق إلى عبدان به.

(34) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الرَّاوي وآداب السَّامع» (300/1)، من طريق أبي القاسم الدِّينَوري به.

البَغَوي، حدَّثنا ابنُ زَنْجَوَيْه، حدَّثنا عبد الرَّزَّاق[35]، عن مَعْمَر، عن قتادة قال:

«لقد كان يُستحَبُّ أن لا يقرأ الأحاديث الَّتي عن رسول الله ﷺ إلاَّ على طهور».

قال شيخُنا أبو المُظفَّر عند ذلك: ما رَوَيْتُ الحديثَ إلاَّ على طهور.

ooo

8. وبه حدَّثنا صاعِد، أخبرنا أبو نصر مُحمَّد بنُ أبي الحسن بن بسطام الإمام في الجامع، أخبرنا إسحاقُ ابنُ إبراهيم بن مُحمَّد الحافظ فيما أجاز لي، سَمِعتُ الخليلَ بنَ أحمد إملاءً من حفظه قال: سمعتُ أبا محمَّد أحمدَ ابنَ مُحمَّد بن اللَّيث قاضي بَلَدِنا يقول: «جاء سَهلُ بنُ عبد الله التُّستَري إلى أبي داود السِّجستاني - رحمهما الله -، فقيل: يا أبا داود هذا سهلُ بنُ عبد الله جاءك زائرًا، قال: فرَحَّبَ به وأَجلَسَه، فقال له سهلٌ: يا أبا داود لي إليك حاجةٌ، قال: وما هي؟ قال: حتَّى تقولَ: قد قَضيتُها مع الإمكان.

قال: أَخرِجْ إليَّ لسانَك الَّذي حدَّثتَ به بأحاديث رسول الله ﷺ حتَّى أُقبِّلَه، قال: فأَخْرَجَ إليه لسانَه فقبَّلَه رحمهما الله»[36].

ooo

9. وأخبرنا أبو المُظفَّر بقراءَتي عليه بمَرْو، قلتُ له: أَخبَرَكم الرَّئيسُ أبو بكر سَعيدُ بنُ علي بن مَسعُود ابن مُحمَّد بن إسماعيل الشَّجاعي قراءةً عليه، حدَّثنا

(35) «المصنَّف» (1344) عن مَعمَر به.

(36) أخرجه ابنُ نقطة في «التَّقييد» (282/1)، من طريق الهروي قال: سمعتُ إسحاقَ بنَ إبراهيم القَرَّاب به، وانظر «تهذيب الكمال» (366/11).

عمُّ وَالدي أبو الحسن الشَّجاعي - هو أحمد بنُ مُحمَّد بن إسماعيل - إملاءً، أخبرنا أبو سعد عبدُ الرَّحمن بنُ حَمْدَان النَّصروي، أخبرنا أبو مُحمَّد الحَسَنُ ابنُ أحمد بن مُحمَّد بتُستَر، سَمِعتُ عليَّ ابنَ الحُسَيْن بن إسحاق يقول: سَمِعتُ أبا مُحمَّد سهلَ بنَ عبد الله يقول:

«مَنْ أراد الدُّنيا والآخرةَ فليَكْتُب الحديثَ؛ فإنَّ فيه منفعةَ الدُّنيا والآخرة»[37].

ooo

10. وأخبرنا أبو المجد زاهرُ بنُ أحمد بن حَامد الثَّقفي قراءةً عليه، أخبرنا أبو الفضل جَعفَرُ بنُ عبد الواحد ابن مُحمَّد بن مَحمُود الثَّقفي، سَمِعتُ أحمدَ بنَ الفضل إملاءً يقول: سمعتُ أبا العبَّاس أحمدَ بنَ مُحمَّد بن زكريَّا النَّسَوي شيخَ الحَرَم قَدِمَ علينا سنةَ إحدى وتسعين قال: سمعتُ مُحمَّد ابنَ أحمَدَ النَّحوي يقول: سَمِعتُ عُمرَ بنَ سُلَيْمَان يقول: سَمِعتُ سهلَ بنَ عبد الله يقول:

«الْزَم السَّوَادَ على البياض؛ حدَّثنا وأخبرنا إنْ أَردتَّ أن تُفلِحَ»[38].

ooo

11. ... [39] حدَّثنا أبي، حدَّثنا أبو الحُسَيْن مُحمَّد ابنَ عَبد الله بن مُحمَّد ابن بِشْر النَّسَوي قال:

(37) أخرجه البيهقي في «شُعَب الإيمان» (1868)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (61)، والذَّهبي في «السِّير» (331/13) وغيرهم، من طريق الحَسَن بن أحمد بن مُحمَّد به، قال الذَّهبي في «تاريخه» (187/21): «هكذا كان مشايخ الصُّوفيَّة في حرصهم على الحديث والسُّنَّة، لا كمشايخ عصرنا الجهلة البطلة، الأكلة الكسلة».

(38) ذكره ابنُ القَيِّم في «مدارج السَّالكين» (120/1).

(39) هذا الموضع من النُّسخة فيه سقط ولعلَّه قدر ورقة.

«رَأيتُ فيما يَرى النَّائمُ النَّبيَّ ﷺ في مسجد أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان كأنَّه مُستَندٌ في المِحرَاب، فبَرَكْتُ بين يَدَيْه فقُلتُ: يا رسولَ الله مَن الفرقَةُ النَّاجيَةُ من ثلاث وسبعين فرقةً؟ فأومأ بيده وقال: أنتم يا أصحاب الحديث»[40].

ooo

12. وأخبرنا الشَّيخُ مُحمَّد بنُ مُحمَّد ابن مَسعُود يُعْرَفُ أبوه بكو في قراءةً عليه بنيسابور، قيل له: أخبركم مُحمَّد ابنُ علي بن مُحمَّد الطُّوسي، أخبرنا الإمامُ أبو الحَسَن عليُّ ابنُ أحمد المديني، أخبرنا الشَّيخُ أبو سعد عبد الرَّحمن ابن حَمدَان بن مُحمَّد العدل، أخبرنا مُحمَّد بنُ العبَّاس الضَّبِّي، أخبرنا أبو الفضل يعقوب بنُ إسحاق، حدَّثنا مُحمَّد ابنُ العَنْبَر، قال: سَمِعتُ هَدِيَّةَ بنَ عبد الوهَّاب يقول: سَمِعتُ الفضلَ بنَ موسى يقول:

«خُذُوا الحَديثَ ممَّن الحديثُ حِرفَتُه».

ooo

13. وأخبرنا مُحمَّد، أخبرنا محمَّد الطُّوسي، قال: وسمعت أبا سعد عبدَ الرَّحمن بنَ الحسن بن علي الحافظ يقول: سمعتُ عليَّ بنَ عُمَر الحافظ يقول: سَمِعتُ محمَّد بنَ مخلد، حدَّثنا الحُسَيْن بنُ عُبَيْد الله الخَصيب، قال: سَمِعتُ حُبَيْش بنَ مُبَشِّر قال:

«رَأيتُ يحيى بنَ معين في المنام فقلتُ له: ما فعل الله بك؟ قال: مهَّدَ لي من مصراعي باب الجنَّة، ثمَّ ضرَبَ بيده

(40) أخرجه مختصرا الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (25)، من طريق أبي الحسين محمَّد بن عبد الله النَّسَوي به

إلى كُمِّه، فأخرج درجا فقال: وإنَّما نلْنَا ما نلْنَا بهذا ـ يعني كتابة الحديث ـ»[41].

ooo

14 . أخبرنا الإمامُ الحافظ أبو عُبَيْدُ اللَّه محمَّدُ ابنُ مُحمَّد بن مُحمَّد بن غانم بأصبهان، أخبرنا أبو المحاسن محمَّد بنُ عبد الخالق بن أبي شكر الجوهري، أخبرنا أبو بكر عبد الغفَّار بنُ مُحمَّد الشِّيروي إجازةً، أخبرنا أبو نصر عبد الكريم بنُ مُحمَّد بن أحمد بن هارون الشِّيرازي، سمعت أبا إسحاق إبراهيم ابنَ مُحمَّد بن مَعْن الشِّيرازي بشيراز يقول: سمعتُ القاضي أبا الحسن أحمد ابنَ مُحمَّد ابن حَكيم الحكيمي قاضي شيراز يقول: سَمِعتُ القاضي أبا العبَّاس ابنَ سُرَيْج يقول: سمعتُ أبا سليمان داود ابنَ عليٍّ ابن خَلَف الأصبهاني يقول:

«أصحابُ الحديث أعظَمُ أجرًا من الفقهاء، وذاك أنَّ كدَّهم في ضَبطِ الأصول»[42].

قال القاضي أبو العبَّاس ابنُ سُرَيْج:

وهذا عندي كما قال أبو سليمان داود بنُ علي؛ لأنَّه ليس كلُّ فَقيهٍ يَعرِفُ الحديثَ وهو الأصل.

ooo

15 . أخبرنا أبو جعفر مُحمَّد بنُ إسماعيل الطَّرسوسي إذنًا وأخبرنا عنه أبو عبد اللَّه مُحمَّد بنُ مُحمَّد بن منصور الواعظ بقراءتي عليه بباب نَهاوَنْد، قال: أخبرنا الحافظُ أبو الفضل مُحمَّد ابنُ طَاهر المَقدسي من لفظه، أخبرنا أبو إسماعيل عبدُ اللَّه بنُ مُحمَّد الأنصاري الإمام بهراة، قال: أخبرنا أبو الفضل عُمَرُ بنُ إبراهيم بن إسماعيل الزَّاهد إملاءً، قال: أخبرنا أبو جعفر مُحمَّد بنُ الحسَن بن مُحمَّد ابن العبَّاس السَّاوي بمرو، حدَّثنا أبو الحسن مُحمَّد بنُ أبي بكر المروزي، حدَّثنا عليُّ بنُ محمَّد المروزي، حدَّثنا أبو الفضل صالح بنُ مُحمَّد قال: سمعت أبا يعقوب البويطي قال: سمعتُ محمَّد بنَ إدريس الشَّافعي يقول:

«إذا رأيتُ صاحبَ حديث فكأنِّي رأيتُ رَجلاً من أصحاب النَّبيِّ ﷺ، هو بمنزلته».

قال لنا الشَّافعي:

«جزاهم اللَّهُ عنَّا خيرًا، إنَّهم حفظُوا لنا الأصلَ، فلهم علينا فضلٌ»[43].

وقد روى هذه الحكاية يُونُس عن الشَّافعي.

ooo

16 . قُرِئَ على أبي الفضائل محمود بن أحمد بن عبد الواحد العبدكوي وأنا أسمع، أخبركم الإمام الحافظ أبو القاسم إسماعيل بنُ مُحمَّد بن الفضل إملاءً، حدَّثنا سليمان بنُ إبراهيم، حدَّثنا أبو منصور المُظفَّر بنُ الحُسَيْن الغزنوي، حدَّثنا عبدُ الرَّحيم بنُ علي البَلْخي، حدَّثنا أبو صالح مَنصُورُ بنُ مُحمَّد بن علي، حدَّثنا عبدُ الرَّحمن ابنُ محمَّد الخلَّال ببغداد، حدَّثنا مُحمَّد ابنُ أحمد بن يعقوب، حدَّثني أبي قال: سمعتُ إسحاقَ بنَ أبي إسرائيل والزُّبَيْرَ ابنَ بكَّار، قالا: سمعنا النَّضرَ بنَ شُمَيْل، قال: سَمِعتُ الخليلَ ابنَ أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ يقول:

«إنْ لم يكُنْ أهلُ القرآن والحديث أولياءَ اللَّه فليس للَّه في الأرض وليٌّ»[44].

ooo

17 . أخبرنا أبو جعفر محمَّد ابنُ أحمد الصَّيْدَلاني قراءةً عليه، قال: أخبرنا أبو منصور محمودُ بنُ إسماعيل ابنِ مُحمَّد ابن الأشقر الصَّيرَفي قراءةً عليه، أخبرنا أبو مسلم عمر ـ هو ابن علي بن أحمد اللَّيثي ـ سمعتُ أبا الحَسَن إسماعيلَ ابنَ الحُسَيْن بن حمزةَ العلوي بهراة، سمعت أبا الحسن ابن أبي عبد اللَّه العلوي يقول: «رأيتُ فيما يرى النَّائمُ في المنام النَّبيَّ ﷺ وبيدي جزءٌ من مذهب الزَّيديَّة الشِّيعة، فسألني: ما في يدي؟ قلتُ: هذا جزءٌ فيه مذهبُ الزَّيدي أريد أن أنظُرَ فيه وأقتديَ به، فقال لي: عليك بمذهب أصحاب الحديث، وكرَّر هذا القولَ».

ooo

18 . أخبرنا أبو أحمد عبد الباقي بنُ عبد الجبَّار الهروي ببغداد، أخبرنا أبو الحسن عليُّ بنُ حمزة بن إسماعيل الموسوي، أخبرنا القاضي أبو محمَّد عبدُ اللَّه بنُ يوسف الجرجاني في كتابه، أخبرنا أبو الفتح ناصرُ بنُ الحُسَيْن العُمَري وعبدُ الرَّحمن بنُ محمَّد الواعظ، قالا: أخبرنا أبو عبد اللَّه محمَّدُ

---

(41) أخرجه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (109)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (42/65)، من طريق أحمد ابن جعفر الصَّيدَلاني، عن الحُسَيْن بن عبد اللَّه الخصيب به، والخصيب هذا كذَّبه أحمد بن كامل كما في «لسان الميزان» (2/297).

(42) أخرجه الهروي في «ذمّ الكلام» (394)، من طريق أحمد ابن منصور بن مُحمَّد الشِّيرَازي، قال: سمعتُ أحمد بنَ مُحمَّد ابن حكيم القاضي به.

(43) أخرجه ابنُ طاهر في «العلوِّ والنُّزول» (44)، من طريق أبي الحسن محمَّد بن أبي بكر المروزي، حدَّثنا أبو الفضل صالح ابن محمَّد به.

(44) أخرجه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (50)، من طريق عليِّ بن الحسن القاضي، عن محمَّد بن أحمد بن يعقوب به.

ابنُ عبد الله البَيِّعُ، أخبرني الزُّبير ابنُ عبد الواحد، حدَّثنا أبو العبَّاس الطَّبري، حدَّثنا محمَّد ابنُ إسحاق، حدَّثنا يونُس ابنُ عبد الأعلى، قال: سَمِعتُ الشَّافعي رَحمَةُ الله عليه يقول:

«إذا رأيتُ رجلاً من أصحاب الحديث فكأنِّي رَأيْتُ رجلاً من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ»(45).

○○○

19 . وأخبرَنا الحافظ السِّلَفي كتابةً، قال: أنشدنا أبو الحُسَيْن المُبارَك ابنُ عبد الجبَّار بنِ أحمد الصَّيْرَفي ببغداد، أنشدنا أبو عبد الله محمَّد بنُ علي ابن عبد الله الصُّوري الحافظ . وقد كتبتُ عن جماعة من الحفَّاظ فما رأيتُ مثلَه في الحفظ والإتقان . يَمدَحُ أصحابَ الحديث لنفسه(46):

قل لمن عاند الحديث وأضحى
عائباً أهلَه ومن يدَّعيه
أبعلم تقول هذا أبن لي؟
أم بجهل؟ فالجهل خُلق السَّفيه
أيعاب الَّذين هم حفظوا الدِّيـ
ـن من التُّرَّهات والتَّمويه
وإلى قولهم وما قد رووه
راجع كلُّ عالم وفقيه

○○○

20 . أخبرنا أبو الضَّوْءِ شهابُ ابنُ محمود بنِ أبي الحسن الهروي، قال: أخبرنا أبو سعد عبد الكريم(47)، قال: أنشدنا أبو المناقب محمَّد بنُ حمزة الحسني، أنشدهم بهذا لنفسه:

عليكم بأصحاب الحديث فإنَّهم
محبَّتهم فرضٌ لذي الدِّين والعقل
رُعاةُ حديث المصطفى ورُواتُه
لحفظهم الإسناد بالضَّبط والنَّقل
وإثباتُهم ذِكْرَ النَّبيِّ محمَّد
عليه سلامُ الله في الكتب بالعقل
فكلُّ حديث لم يكن مسندا إلى
مسند كالخلِّ ذاك وكالبقل

○○○

21 . وأخبرنا أبو المُظفَّر بقراءتي عليه، قلتُ له: أخبركم أبو بكر محمَّد ابنُ محمَّد بن علي السَّعدي قراءةً عليه، أنشدنا الإمامُ أبو إبراهيم إسحاق ابنُ محمَّد بن إبراهيم النُّوحي، أنشدنا الوالد، أنشدنا أبو الحسن الأنصاري، أنشدنا أبو نصر عبد الكريم بن محمَّد الشِّيرازي، أنشدنا أبو علي الحُسَيْنُ ابنُ الحسين الحمكاني ببغداد، أنشدنا أبو القاسم الطَّبراني بأصبهان(48):

طلب الحديث مذلَّةٌ وصغار
والصَّبرُ عنه تَندُّمٌ وشنار
فاصبر على طلب الحديث فإنَّه
من بعد ذلٍّ عزَّةٌ ووقارُ

○○○

22 . وأنشدنا أبو المُظفَّر عبدُ الرَّحيم ابنُ عبد الكريم السَّمعاني من لفظه، قال: أنشدنا أبو القاسم محمود ابنُ إسماعيل الإدريسي، قال: أنشدنا أبو العلاء صاعد بنُ سيَّار، أنشدني الحاكم أحمد بنُ محمَّد بنِ إبراهيم الفقيه، أنشدنا الحسن بن محمَّد النَّسوي لنفسه(49):

يا سادةً عندهم للمصطفى نسَبُ
رفقا بمن عندهم للمصطفى حَسَبُ
أهل الحديث هم أهل الرَّسول وإن
لم يصحبوا نفسَه أنفاسه صَحبوا

○○○

23 . وأخبرنا أبو المُظفَّر بقراءتي عليه، قلتُ له: أخبركم أبو القاسم الإدريسي وأنت حاضرٌ، أنشدنا صاعد، أنشدنا الشَّريف أبو النَّدى المُطَّلِب بنُ مُحمَّد بن إسماعيل الحرَّازي القرشي الأديب الشَّيبي لنفسه:

حديث المصطفى دين لمن قَبلَهْ
وأسُّ الدِّين بالحُفَّاظ والنَّقَلَهْ
فيا طوبى لمن يسمع ومن يحفظ
ويا طوبى لمن يكتب ومن نَقَلَهْ

○○○

24 . أخبرنا ابنُ الخريف وابنُ شدقيني، أخبرنا أبو بكر البزَّار، أخبرنا هنَّاد بن محمَّد النَّسَفي، حدَّثنا أبو عبد الله الحسين بنُ الحسن بن محمَّد المخزومي، حدَّثنا عثمان بنُ أحمد ابن عبد الله الدَّقَّاق، حدَّثنا أحمدُ ابنُ بشر المَرْثَدي، حدَّثنا هارون بنُ سفيان المُستَمْلي، حدَّثنا زكريَّا بنُ عَديٍّ، سمعتُ وكيعًا يقول:

«لولا أنَّ الحديثَ عندي أفضلُ من التَّسبيحِ ما حدَّثتُ».

○○○

25 . وبه أخبرنا هنَّاد، سمعتُ أبا العبَّاس القاضي بنهاوند يقول: سمعتُ أبا بكر محمَّد بن إبراهيم يقول: سمعتُ الحسنَ بنَ حبيب بدمشق يقول: سمعتُ علاَّن بنَ المُغيرَة يقول: سمعتُ يحيى ابنَ معين يقول:

---

(45) انظر رقم: (15).

(46) أخرجه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (77) عن الصُّوري به، وانظر «العلوُّ والنُّزول» (48)، و«السِّيَر» (631/17).

(47) «أدب الإملاء والاستملاء» (7/1).

(48) أخرجه ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (169/22)، من طريق أبي خليفة الفضل بن الحباب الجُمَحي، عن الطَّبراني به.

(49) «طبقات الفقهاء الشَّافعيَّة» لابن الصَّلاح (357/1) نقلاً عن الحافظ السَّمعاني بإسناده إلى النَّسَوي.

«الحديث بنزول كالقُرحَةِ في الوجه»[50].

ooo

26. وأنشدَنَا الإمامُ العالمُ أبو محمَّد عبدُ الرَّحمن ابنُ إبراهيم المقدِّمي، قال: أنشدنا نصرُ بنُ منصور النُّمَيْري لنفسه[51]:

أُحبُّ عليًّا والبتولَ وولدها
ولا أجحد الشَّيْخَين فضلَ التَّقدُّم
وأبرأ ممَّن نال عثمانَ بالأذى
كما أتبرَّى من ولاء ابنِ مُلجِم
ويعجبني أهلُ الحديث لصدقهم
مدى الدَّهر في أفعالهم والتَّكلُّم

ooo

27. أخبرنا محمَّد بنُ أحمد الصَّيدَلاني، أخبرنا محمودُ ابنُ إسماعيل الصَّيْرَفي، أخبرنا أبو مسلم عمر - يعني ابنَ علي ابنِ أحمد اللَّيْثي -، سمعتُ أبا الوليد الحسَنَ بنَ محمَّد البلخي، سمعتُ أبا الحسن ابنَ الحسن الرَّبعي الحافظ، سمعتُ مشايخَ الشَّام بأسرِهم يقولون: «عِلمُ الإسلامِ هو الحديث».

ooo

28. سمعتُ شيخي الإمامَ العالمَ الأوحدَ الزَّاهدَ الوَرِعَ أبا إسماعيل إبراهيم بنَ عبد الواحد بن عليٍّ ابنِ سرور المقدسي - رحمةُ اللهِ عليه ورِضوانُه - وقد شاورته عند سفري في طلب الحديث فقال:

«الإسلام هو الحديث، إذا ذهب الحديثُ ذهب الإسلامُ - أو ما هذا معناه -».

ooo

29. سمعتُ خالي وشيخي الإمامَ الزَّاهدَ أبا عمر محمَّد ابنَ أحمد بن قُدامة المقدسي وقد شاورته في طلب الحديث فقال:

«قد كان العلماءُ يُسافِرُ أحدُهم في طلب حديثٍ واحدٍ».

ooo

30. أخبرنا الحافظُ الإمامُ أبو طاهر السِّلَفي إذنًا - وأخبرنا عنه الحافظُ الإمامُ أبو محمَّد عبد القادر ابنُ عبد الله الرُّهاوي - أخبرنا المبارك ابنَ عبد الجبَّار بنِ أحمد الصَّيرَفي، أخبرنا أحمد بنُ محمَّد بن منصور العتيقي، حدَّثنا أبو المُفضَّل محمَّد ابنُ عبد الله بن المُطَّلب الكوفي، حدَّثَنَا ابنُ أبي داود، قال: سمعتُ محمودَ[52] ابنَ خالد يقول:

«قلتُ لأبي حفص عمرو بن أبي سلمة: تحبُّ أن تُحدِّثَ؟ قال: ومَنْ يُحبُّ أن يَسقُطَ اسمُه من الصَّالِحين؟»[53].

ooo

31. وبه سمعتُ المُبارَك بنَ عبد الجبَّار بن أحمد الصَّيْرَفي يقول: سمعتُ أبا الحسن عليَّ بنَ أحمد بن عليّ الفالي يقول: سمعتُ أبا عبد اللهِ أحمدَ ابنَ إسحاق بن خربان النَّهاوندي يقول: سمعتُ القاضي أبا محمَّد الحسن ابنَ عبد الرَّحمن بن خلاَّد[54] قال:

«قيل لبعض الأشراف: نراك تشتهي أن تُحدِّثَ؟ فقال: أَوَ لاَ أُحبُّ أن يَجتَمِعَ اسمي واسمُ النَّبيِّ ﷺ في سطرٍ واحدٍ؟».

ooo

32. وأخبرنا الحافظ أبو طاهر السِّلَفي إذنًا وأخبرنا عنه الحافظ عبدُ القادر بحرَّان، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد ابنُ الحسين بن مردويه، أخبرنا محمَّد بنُ الحسين البرجي، حدَّثنا عبد الله بنُ إبراهيم البجلي، حدَّثنا أبو أحمد ابنُ مكِّي، حدَّثنا أحمد بنُ محمَّد ابنِ الخليل، حدَّثنا أحمد ابنُ الضَّوء، قال: قال حمدويه الزَّاهد:

«ليس في الدُّنيا درجةٌ أَرفعَ من درجة رجل جلس فيَختَلفُ إليه خمسةٌ يكتبون العلمَ، وذاك أنَّه يَقعُدُ مقعَدَ النَّبيِّ ﷺ فيؤدِّي أثَرَه، وليس بعدها درجةٌ أرفعَ ممَّن يختلف فيكتب الحديث».

ooo

33. سمعتُ الحافظَ أبا محمَّد عبد القادر الرُّهاوي، قال: سمعتُ شيخَنا الحافظ - يعني السِّلَفي - يقول: سمعتُ المبارك بنَ عبد الجبَّار الصَّيرَفي يقول: سمعتُ أحمدَ ابنَ محمَّد العتيقي يقول: سمعتُ مُحمَّد بنَ عبد الله ابن المُطَّلب يقول: سمعتُ الفضلَ بنَ أحمد الزَّبيدي المقرئ يقول: سمعتُ أحمدَ ابنَ حنبل يقول - وقد أقبل أصحابُ الحديث بأيديهم المحابر فأومأ إليها وقال -:

«هذه سُرُجُ الإسلام - يعني المحابر -»[55].

ooo

(50) أخرجه الخطيب في «الجامع» (123/1)، وابنُ طاهر في «العلوّ والنُّزول» (19)، من طريق الحسن بن حبيب به.

(51) انظر «الرَّوضَتَيْن في أخبار الدَّولتَيْن» لأبي شامة (356/4)، و«تاريخ الإسلام» (313/41)، و«السِّير» (214/21).

(52) في الأصل: «محمَّد»، وعليها علامة تضبيب، والتَّصويب من كتب التَّراجم.

(53) أخرجه السِّلَفي في «الطُّيوريَّات» (679)، وابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (69/46)، من طريق محمَّد بن عبد الله ابن المطَّلب به.

(54) «المُحدِّث الفاصل» (161).

(55) أخرجه ابنُ أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (249/1)، والخطيب في «الجامع» (252/1)، والسِّلَفي في «الطُّيوريَّات» (96)، من طريق محمَّد بن عبد الله بن المُطَّلب به.

34 . أخبرنا أبو الطَّاهر إسماعيل ابن صالح بنِ ياسين بن عمران الشَّارعي بقراءتي عليه بالشَّارع بين مصر والقاهرة، أخبرنا أبو عبد الله محمَّد بنُ أحمد بنِ إبراهيم الرَّازي قراءةً عليه، أخبرنا محمَّد بنُ أبي عَدِي السَّمَرْقَنْدِي ومحمَّد بنُ أبي سعد القزويني بمصر، قالا: أخبرنا عليُّ ابنُ محمَّد بن إسحاق الإصطخري، حدَّثنا محمَّد بنُ إبراهيم بنِ نيروز الأنماطي، حدَّثنا محمَّد بن جعفر، حدَّثنا إبراهيمُ ابنُ عبد الله، حدَّثنا محمَّد بن صالح ابن يحيى العدوي، قال: حدَّثني أبي، عن عبد الله بن المُبارَك أنَّه كان يقول:

«أَثَرُ الحِبْرِ في ثوب صاحب الحديث أَحسَنُ من الخَلوق في ثوب العَرُوس»[56].

ooo

35 . أخبرنا الشَّيخُ الجليلُ أبو الرَّجاء عبدُ الهادي بنُ أحمد بنِ علي بنِ قاسم الهمذاني بها، أخبرنا أبو المحاسن نصرُ بنُ المُظفَّر بن الحُسَيْن البَرْمَكي الجُرجَاني، أخبرنا أحمد بنُ محمَّد ابنِ أحمد بن النَّقُّور، حدَّثنا أبو القاسم عيسى بنُ عليِّ بنِ عيسى بنِ داود ابنِ الجرَّاح، وقُرِئَ على أبي بكر محمَّد ابن نيروز وأنا أَسمع، قيل له: حدَّثكم ابنُ حنان، حدَّثنا بقيَّةُ بنُ الوليد، عن عبد الرَّحمن بن خالد، عن سفيان الثَّوري قال:

«أكثِرُوا من الأحاديث فإنَّها سلاحٌ»[57].

ooo

36 . أخبرنا أبو المعالي محمَّد ابنُ صافي بن عبد الله النَّقَّاش، أخبرنا أبو بكر محمَّد بنُ الحُسَيْن بن عليٍّ المقرئ، حدَّثنا الشَّريفُ أبو الحُسَيْن محمَّد ابنُ عليِّ بنِ محمَّد بنِ المهتدي بالله، حدَّثنا أبو حاتم الخزاعي ـ هو محمَّد ابنُ عبد الواحد بن محمَّد الرَّازي ـ أخبرنا أبو بكر أحمد بنُ محمَّد العَنبَري الأصبهاني، قال: سمعتُ الفضلَ بنَ الحُبَاب يقول: سَمِعتُ محمَّدَ بنَ سلاَّم الجُمَحي يقول:

«قيل للمنصور: هل بقي من لذَّات الدُّنيا شيءٌ لم تَنَلْه؟ قال: بقِيَتْ خصلةٌ: أن أَقعُدَ في مصطبَة وحولي أصحابُ الحديث، فيقول المُستَملي: من ذكرتَ رَحمكَ الله؟ قال: فغدا عليه النُّدَماءُ وأبناءُ الوُزَرَاء بالمحابر والدَّفاتر فقال: لَستُمْ بهم إنَّما هم الدَّنسَةُ ثيابُهم، المُتشَقِّقَةُ أَرجُلُهم، الطَّويلَةُ شُعورُهم، بُرُدُ الآفاق، ونَقَلَةُ الحديث»[58].

ooo

37 . وبه حدَّثنا محمَّد بنُ المهتدي بالله، حدَّثنا محمَّدُ بنُ عبد الرَّحمن ـ هو المُخلِّص ـ، حدَّثنا أحمدُ بنُ محمَّد ابنِ أبي شيبة، حدَّثنا عبدُ الله بنُ هاشم الطُّوسي، قال: سمعتُ وكيعًا يقول:

«كُنَّا نَستَعِينُ على حفظ الحديث بالعمل به، وكُنَّا نَستَعِينُ على طلبه بالصَّوم»[59].

ooo



(56) أخرجه أبو طاهر السِّلَفي في «مَشيَخَة الحطَّاب الرَّازي» (209)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (231/64)، من طريق مُحمَّد بنِ إبراهيم بن نيروز الأنماطي به.

(57) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (364/6)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (26)، من طريق بقيَّة بنِ الوليد به.

(58) أخرجه ابنُ السَّمعاني في «أدب الإملاء والاستملاء» (18/1)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (330/32)، من طريق ابنِ المهتدي بالله به.

(59) أخرجه ابنُ البخاري في «مشيخته» (200)، من طريق محمَّد ابن عبد الرَّحمن المُخلِّص به، وهذا آخر ما وُجِدَ من هذا الجزء اللَّطيف، يسَّر الله تمامَه، وسهَّل العثور على ما قبله وأمامه.

أرْكان

قصيدة عن مأساة إخواننا المسلمين في بورما

مراد قرازة
أم البواقي



عَيْنَايَ جُودِي بِالوعَـاءِ الأَحمَـرِ
وَلْتُسْعِفِي خَبَـرَ الزَّمَـانِ الأَكْـدَرِ

فَالدَّمْعُ مِنْـكَ جَـرَى شَحِيحًا بَـارِدًا
فِي وَجْـهِ ذَا الخَطْبِ الجَلِيـلِ الأَكْبَرِ

يَكْفِيـكَ مِـنْ كَـذِبِ الدُّمُوعِ فَأَقْصِـرِي
وَلْتُرْسِلِي سَيْـلَ الدِّمَـا المُتَسَعِّـرِ

فَلَقَدْ أَتَـاكَ كَشَـرٌّ أَنْبَـاءِ الـوَرَى
خَطْبٌ يَـذِلُّ لَدَيْـهِ هَـوْلُ المُنْكَـرِ

أَرْكَانُ تَنْـزِفُ مِـنْ صَمِيمِ وَرِيدِهَـا
وَأَرَى دُمُوعَـكِ دُونَ أَجْـرِ المُكْتَرِي

يَاشَـرَّ نَائِحَـةٍ تُعِيـرُ دُمُوعَهَـا
لِبَرِيـقِ دِرْهَمِهَـا وَوَهْـجِ الأَصْفَـرِ

فِـي كُلِّ يَـوْمٍ مِـنْ مَنَازِلِهَـا لَنَـا
خَبَـرٌ يُرَقِّقُـهُ اعْتِيَـادُ الأَخْطَـرِ

فَكَأَنَّمَـا الأَخْبَـارُ تَخْتَصِـرُ الحَيَـا
رَقْمًـا يُجَـرَّدُ فِـي ثَنَايَـا الدَّفْتَـرِ

أَوْ صُورَةٍ تَحْكِـي الحَقِيقَـةَ بَيْنَمَـا
أَلِفَتْ عُيُـونُ النَّـاسِ زُورَ المَنْظَـرِ

أَفْـلامُهُمْ ذَهَبَتْ بِتَعْظِيـمِ الدِّمَـا
فَغَدَى العَظِيـمُ سُدًى بِعَيْنِ الأَعْـوَرِ

بَـلْ أَكْبَرَتْ مَـا كَـانَ مُحْتَقَـرًا فَـذَا
شَـأْنُ العَظِيـمِ وَذَاكَ شَـأْنُ الأَحْقَـرِ

يَـا لَيْتَهَـا عَمِيَتْ فَكُنَّـا وَالَّـذِي
فَقَدَ البَصِيرَةَ فِي سَـوَاءِ العُنْصُـرِ

لَكِنَّهَا نَظَـرَتْ فَجَارَتْ فِـي القَضَـا
وَتَبَرَّعَـتْ سَفَهًـا بِدَمْـعٍ مُهْـدَرِ

تَجْـرِي مُرَقْرَقَـةً لِكُـلِّ تَفَاهَـةٍ
وَتَـرُدُّ دَوْمًـا لِلحَقِيـرِ الأَصْغَـرِ

مِـنْ نَاظِـرٍ لُبْسًـا وَلَيْسَ بِفَاهِـمٍ
أَبَـدًا وَلا هُـوَ بِالسَّمِيـعِ المُبْصِـرِ

أَرْكَانُ عُـذْرًا قَـدْ تَغَافَلَنَـا الـوَرَى
بِمَشَـاهِدِ اللَّهْـوِ المُضِـلِّ المُسْكِـرِ

تَحَامَلُـوا حَتَّـى رَأَوْا مِـنْ عَجْزِنَـا
وَصُدُودِنَـا دُونَ الفَتَـى المُتَعَثِّـرِ

أَبْكِيـكِ أَمْ أَبْكِـي الَّذِيـنَ تَنَكَّـرُوا
إِخْوَانَهُـمْ يَـوْمَ اشْتِـدَادِ المُنْـزِرِ

مَـا سَرَّنِي وَاللهِ مَنْظَـرُ إِخْوَتِـي
بَيْنَ اللَّهِيـبِ وَبَيْـنَ غَـرْقِ الأَبْحُـرِ

مَـزْهُوقَـةً أَرْوَاحُهُـمْ وَجُسُومُهُـمْ
تَحْـتَ الـرُّكَامِ وَفِي ضِفَـافِ الأَنْهُـرِ

وَيَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ حُثَالَةٌ ... مِنْ شَرِّ مَنْ وَلَدَتْ بَنَاتُ الأَصْفَرِ

أَطْفَالُهَا تَصِفُ البَلاَءَ وَشِيبُهَا ... تَرْمِي الوُجُوهَ بِنَظْرَةِ المُتَحَيِّرِ

وَاليَأْسُ بَادٍ فِي المَلاَمِحِ كُلَّمَا ... رَامَ السُّؤُولُ تَفَاؤُلاً لَمْ تُظْهِرِ

وَنِسَاؤُهَا عَرَضُ الكِلاَبِ وَدُونَهَا ... طَمَعُ الذِّئَابِ وَكَاسِرَاتُ الأَنْسُرِ

مَا المَالُ عِنْدَهُمُ إِذَا اكْتَسَبُوا سِوَى ... أَرُزٍ وَخُبْزٍ مِنْ قَفِيزِ المُقْتِرِ

أَكْوَاخُهُمْ تِلْكَ التِي هَوِيَتْ بِلاَ ... رِيحٍ صَرِيرٍ أَوْ سَحَابٍ مُمْطِرِ

وَاللهِ قَدْ رُمْتُ السُّكُوتَ فَلَيْسَ ذَا ... زَمَنُ الكَلاَمِ وَنَظْمِيَ المُتَقَعِّرِ

لَكِنَّ كَفِّيَ عَنْ بَلِيغِ بَصِيرَتِي ... قَصُرَتْ بِنَا وَلِسَانُهَا لَمْ يَقْصُرِ

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ قَوْلِي لَنْ يَفِي ... لَكِنَّهُ صَوْتُ الحَشَا المُتَكَدِّرِ

هَذَا وَإِنِّيَ قَدْ مَلَكْتُ سِلاَحَ مَنْ ... أَلْقَى الرُّهَابَ عَلَى قُلُوبِ العَسْكَرِ

أَعْنِي الدُّعَاءَ فَخَيْرُ سَهْمٍ لِلْفَتَى ... سَهْمٌ يُصِيبُ بِثُلْثِ لَيْلٍ مُدْبِرِ

فَهُوَ السِّلاَحُ وَلَيْتَ شِعْرِي لَوْ دَرَى ... قَوْمِي صَدَاهُ بِبَرِّهَا وَالأَبْحُرِ

لَغَدَى الذَّلِيلُ بِهَا عَزِيزًا دُونَمَا ... مُلْكِ الجُنُودِ وَرُغْمَ أَنْفِ القَيْصَرِ

لَكِنَّهُمْ تَرَكُوا اليَقِينَ إِلَى الذِي ... شِبْهِ السَّرَابِ بِسَهْلِ قَحْطٍ مُقْفِرِ

وَتَنَافَسُوا وَهْمًا وَضَحُّوا عَنْ غِنًى ... بِغِلاَلِ جَنَّاتٍ وَمَرْجٍ أَخْضَرِ

وَاسْتَنْجَدُوا صَنَمًا بِلاَ سَمْعٍ وَلاَ ... بَصَرٍ وَإِنْ سَمِعَ الدُّعَا لَمْ يَحْضُرِ

أَوَلاَ يَرَوْنَ المَجْدَ فِي سَلَفِ الهُدَى ... فَكَأَنَّ شَمْسَهُمُ إِذَا لَمْ تَظْهَرِ

وَكَأَنَّ نَجْمَ الحَقِّ لَمْ يَسْطَعْ وَلاَ ... يَوْمًا أَضَاءَ عَلَى مَسَارِ الأَعْصُرِ

وَكَأَنَّ ذَاكَ الفَخْرَ يَوْمًا لَمْ يَكُنْ ... مِنْ شَأْنِ دِينِهِمُ الأَغَرِّ الأَزْهَرِ

فَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يُفَرِّجَ كَرْبَكُمْ ... وَيُزِيلَ مِنْ هَمِّ الأَخِ المُتَكَسِّرِ

وَيُعِيدَ مِنْ بَعْدِ المَذَلَّةِ عِزَّةً ... وَيَرُدَّ مِنْ حَقِّ الضَّعِيفِ المُهْدَرِ

وَيُجِيرَ قَوْمًا لاَمُجِيرَ لَهُمْ سِوَى ... رَبِّ العِبَادِ القَادِرِ المُتَجَبِّرِ

وَيُجِيبَ مِنْ سُؤْلِ الضَّعِيفِ لِمَا دَعَا ... وَيَحُطَّ مِنْ قَدْرِ الفَتَى المُتَكَبِّرِ

وَيَرُدَّ لِلإِسْلاَمِ مَجْدًا ضَائِعًا ... بَيْنَ الكَفِيفِ وَعَجْزِ ذَاكَ المُبْصِرِ



لصوص العقول

توفيق عمروني

إنَّ هـذا العنـوان مأخـوذٌ مـن كلمة للعلاَّمـة البشـير الإبراهيمـي مُوجَّهـةً لأولياء التَّلاميذ ليَحفَظُوا أبناءَهم ممَّن يحـاول أن يَصُـدَّهم عن العلم ويسعى لصَرفِهم عن طَلَبه، فيحاول بهذه المقالة وَخْـزَ الضَّـمائرِ لتحيا القلـوبُ، وتتيقَّظَ الهِمـمُ وتتفتَّـح الأعـيُنُ، ويَنتَبِـهَ الآبـاءُ إلى أنَّهـم كما يسـعَوْن لتخليص أبنائهم مـن لصُـوص الطَّريـق إذا اعترضُـوا طريقَهـم وحفظِهـم منهـم؛ فعليهم أن يُدرِكـوا أنَّ ثمَّةَ لصوصًـا آخَرين؛ فيقول رَحِمَهُ اللهُ: «... إلاَّ أنَّ لصـوصَ العُقـول أفتَكُ مِن لصُـوصِ الأموالِ، وأشـدُّ منهُم عبثًا وإفسـادًا، وإنَّ اللُّصـوصَ الَّذين أعنيهِم لصُـوصُ عقُـولٍ يتحكَّمُـون بأبنائكـم في مطـارح هجرتِهـم إلى العلـم، وفي مَسـارِح غيْبَتِهم عنكُم، فيُضِـلُّونَهم عن سَـواء السَّـبيل، ويوجِّهونَهم لغَيْر الجهَة الَّتـي أردتُم، ويأتُونَهـم كالشَّـيطَان مِـن بين أيديهـم ومِن خلفِهم وعـن أيمانِهم وعـن شـمائِلهم، ويصُـدُّونَهم عن ذِكرِ الله وعـن الصَّـلاةِ، وعـن العلـم إلى أحاديـثَ يزوِّقُونَهـا لهم، تملأُ السَّـمعَ، ولا تملأُ العقـلَ، ويصـرِفُونَهم عن كُتُبِ العلـم ودُروسِ العلم إلى جرائـدَ حزبيَّةٍ مملوءَةٍ بالكَذب والنَّقائصِ والمهاتَرات والسِّبابِ»[1].

فهـذا الخطـابُ مـن الشَّـيخ الإبراهيمـي قبل حـوالي أكثر من خمسٍ وستِّين سنةً في زمَنٍ لم يَكُنْ فيه للُصوصِ العُقول من الوسَائل الَّتي يَصِلُون بها إلى الطَّلبة والتَّلاميذ مثلَ ما صَـار بأيديهم اليومَ منَ الأدوات والأجهزة الَّتي لا يكاد ينفكُّ عنها شـخصٌ، ولم يعُدْ يخلو منها بيـتٌ؛ كالهواتـف الذَّكيَّـة، والكمبيوتر، والتِّلفـاز، وأجهزة الألعـاب الإلكترونيَّة وغيرهـا، وارتبطت حيـاةُ النَّـاس بهذه الأجهزة ارتباطًا عجيبًا ورهيبًا، فلم يعُدْ بإمكان الأولياء أن يحفظوا أولادَهم من لصوص العقول، ولا أن يَحجُبُوهم عنهم بيُسرٍ وسهولة.

فأقولُ: كيف لو اطَّلع الشَّـيخُ البشيرُ رَحِمَهُ اللهُ علـى آبـاءِ اليـوم ورأى كيـفَ أنَّ أحدَهـم يحرِصُ بنفسـه علـى أن يجرَّ لصـوصَ العُقـول إلى بنيـه بجلـب هذه الآلات والأجهـزة إلى البيـت وجعلها في مُتنَـاوَلِ أيـدي الأطفـال دون رقيـب ولا حسـيب، ليصـرِفَهم هـؤلاء اللُّصـوصُ ليسَ عن العلم فحسـب، بل ليصرِفُوهم عـن حقائقِ الأمـور، ويُذيبـوا فيهم روحَ الحياءِ والفَضـيلة، ويُطفِئُوا في نفوسِهم نورَ الحشـمة والعفَّـة، ويُفسـدوا عليهم أخلاقَهـم وطبائعَهـم وأذواقَهـم؛ وقـد يصـل الأمـرُ إلى أن يُسـلَبَ الابـنُ مـن أبَوَيْه وهو تحـت ناظِرَيْهما؛ فنجد اليومَ أنَّ الـوليَّ يرى ابنَه أمامَه ولا يكاد يفارقُ

[1] «الآثار» (3/317).

بصـرَه؛ لكنَّـه في الحقيقةِ لا يشـاهد إلاَّ الصُّـورةَ والجسـدَ؛ لأنَّ عقلَه ولبَّه يسبح بهما في عوالم أخرى، غـير العالم الَّذي يعيشـه ببدنـه مـع أهلـه؛ إذ لا يُصبـح الفتـى ولا يُمسـي إلاَّ وأصـابعه تُلامسُ أزرارًا أو تداعب لوحةً، ولا تراه إلاَّ مُقلِّبًا لصـفحات إلكترونيَّة، أو ناظرًا ومُحاورًا في مواقع التَّواصـل الاجتماعي المتنوِّعة، أو لاعبًا بأحد هذه الألعاب الباهرة، قد سطا لصوصُ العقول على عقله فأسَروه وأحكموا أسـرَه، وجعلوا منـه عبدًا لهذه الآلات، فـلا والدُه يسـتطيع أن يفكَّه، ولا أمُّه تسـتطيع أن تحـلَّ قيـدَه، ولا معلِّمُه يسـتطيع أن ينقلَه من عالمه الافتراضـي إلى عـالم الحقيقةِ والواقـع؛ ومما يزيد الأمـر تعقيـدا أن تنتقل عـدوى الافتتان بهـذه الآلات إلى الآبـاء والأمهات، فكم مـن أوقـاتٍ أُهـدِرَتْ، وكم مـن طاقات بُدِّدت، وتسـببت في قفـل قلوب، وإغلاق فهـوم، وتبلـد أذهـان، وتلاشـي كثـير من المعاني السَّـامية الَّتي تَربِطُ النَّاسَ وتقـرِّبُ بـين أرواحهـم داخـلَ الأُسَـرِ، كالمجالسـةِ والمحادثة والمؤانسة، فجفَّت المشـاعرُ وأقفرت الأحاسيس وانزَوَى كلُّ فـرد في زاوية مـن زوايا البَيـت يُداعب هاتفَـه أو لوحتَـه، لا يقـومُ إلاَّ على نداءِ والدتـه لتنـاول العَشـاء أو تنبيهـه على أنَّ الوقـتَ متأخِّـرٌ وعليـه أن يـأويَ إلى فراشـه للنَّـوم، ونكون بهـذا النَّمط منَ الحياة قَد فقدنا كثيرًا من لذائذ الحياة وطَعم العيشِ السَّـعيدِ، وصارت الرَّوابطُ الأسـريَّةُ عند كثيرٍ من النَّاسـ ماديَّةً لا روحَ فيها.

بل إنَّ المختصِّـين قد أنذروا، ونبَّهوا إلى أنَّ أبـدان الصِّـغار لم تعـد تتحرَّك بالقَـدْر الَّـذي تدعو إليه مرحلةُ الصِّـبا والطُّفولة، وهذا بسَـبب الإغراق في هذه الآلات وطـولِ الجلوس إليهـا؛ فظهرَتْ آفـاتٌ جديدة وعللٌ غريبـةٌ منها ما بات يُعـرَفُ بالإدمان الإلكـتروني أو الإدمان على الأنترنـت، والَّذي لا يكاد يَختَلفُ في ضـرره على الطِّفل عن الإدمان المعروف على المُسكِرَات والمخدِّرات.

إنَّ لصـوصَ العقـول الَّذيـن تحدَّث عنهم الشَّـيخُ الإبراهيمي رحمه الله كان لهم مجـالٌ واحـدٌ يَشـغلُون به الطُّـلاَّبَ عن العلـم وتحصيله ويصـرفوهم إليه؛ هو مجـالُ العمل السِّياسـي والحزبـي، أمَّا اليـومَ فقـد أتاحت لهـم التِّقنيَّـةُ مجالاً فسـيحًا متشـعِّبًا متفرِّعًـا إلى أوديـةٍ كثيرةٍ وطُرقٍ عديدةٍ، يصـلون به إلى من يشـاؤون ويوصـلون إليه ما يشتهون؛ من الشُّبهات والشَّهوات.

فينبغـي ألاَّ يَغفُل الأولياءُ عن حقيقة مهمَّـة، وهـي أنَّ هذه الأجهزة صـنعَتها عقـولٌ لا تؤمنُ بـالله ولا باليَـوم الآخر، ولا تحرِّم ما حرَّم اللهُ ورسولُه، ولا تَدينُ ديـنَ الحقِّ، مـن أهـل الكفـر والإلحاد وعبَـدَة الأوثان، فهي لا تُراعي في الطِّفل المسلم ما يُراعيه الشَّرعُ المُطهَّرُ؛ ولا شيءَ يحدُّ أفكارَ صانعيها، لا حلالٌ يُرعى، ولا حـرامٌ يُتَّقـى، ولا فطـرةٌ سـليمَةٌ تُحفظ وتُحمى؛ والواقف على هذه الأدوات يَشعُرُ بأدنى تأمُّلٍ أنَّها بقَدر ما فيها من منافع، فهـي تَحمِـلُ في جوفهـا أضـعافًا كثيرةً من وسـائل التَّفنُّن في صـناعةِ الانحلال الخُلُقي والإفسـادِ العقدي بما يتماشـى وأهـواءَ صـانعيها وفِطَرِهم المسـوخة، ويتوافـقُ مع تشـريعاتهم الوضـعيَّة الَّتي أضْـحَتْ تبيحُ اللِّـواطَ والسِّـحاق وزواجَ المثليِّـين وتَكفُلُ حقَّهم في تبنِّي الأولاد كلُّ ذلك باسـم الحرِّيَّة؛ وصَـدق الله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الفرقان] فهَـل يرضَـى مسـلمٌ عندَه مسـكةُ عقلٍ أن يدَعَ أبنـاءَه ترعاهُم أيدٍ آثمةٌ غير آمنَة كهـذه الأيدي. ببرامجها وألعابهـا وصُـوَرِها وأفلامهـا وأفكارها.. لتصـقُلَ عقولَهم وتنحتَ شخصـيَّتَهم وتوجِّه تفكيرهم.

لهـذا وجـب علـى الأوليـاء أن يَقِفُوا حُرَّاسًـا على أبنائهـم وأن يكونوا قريبين منهم غـير بعيديـن، ويحاوروهـم برفق ولين ليعلموا منهم ما يدور في رؤوسهم وما يختلج في صدورهم؛ ليُخففِّوا من وطأة شرِّ هذه الأجهـزةِ الَّتي بأيديهم، والَّتي نَزعُم أنَّـه لم يَعُـدْ في الإمكان الاسـتغناءُ عنها؛ فينبِّهَ الطِّفلُ دومًا وباستمرار على ما فيها من محظورات شرعيَّة كالموسيقى والغناء والصُّـوَر الخَليعـة والعُـري والاختـلاط ونحوها، ليحذرها فلا يميل إليها فيألفَها، ولا ينساقُ وراءها فيتعوَّدَها.

كما يلزم أيضًا أن يُنبَّهَ على المحتَوى والمضـامين الكُفريَّة المخالفَـة للاعتقاد السَّـليم، والأفـكارِ السَّـيِّئة الَّتـي يُـراد

غرسُها في نفوس النَّاشئة الَّتي تتلقَّف ببرائتها ما يُعرَضُ أمامَها من صُوَر ورسوم متحرِّكة ونحوها تُشيعُ تعدُّدَ الآلهة والخضوع للأوثان وتصويرَ مخلوقاتٍ غريبة وإظهار المخلوق في صُورة الخارق القادر على كلِّ شيءٍ ولا يعجزه شيءٌ ونحوها من المعاني الفاسدة الَّتي تُغرَزُ في عقل الطِّفل غرزًا ممَّا يُبقي أثرَها في النَّفس ولو بعد البلوغ، بل أحيانا حتَّى وهو راشد ناضجٌ متعلِّمٌ؛ ما قد يُحدِث لبعض النُّفوس خللاً في التَّصوُّرات والأحكام سائر الحياة.

وإنَّ من أخطَر لصُوص العُقول اليوم في شبكات التَّواصل ومواقع الأنترنت هم أولئك الزَّاعمون أنَّهم يرفعون رايةَ الجهاد في بلاد المسلمين وهم في حقيقتهم حاملون لمذهب الخوارج الآفِن وفكْرِ الغلو في التَّكفير الآسِن، فيتخطَّفون الشَّبَابَ والصِّغارَ بصُوَرِهم وشعارَاتهم وخُطَبِهم وأناشيدِهم ويَقذِفُون بهم في أتُونِ فتنة لا نهايةَ لها، ويقدِّمونَهم قرابين لحرب ليسُوا فيها سوى أعوادٍ تُوقَدُ بهم نارُها ويُشعَل بهم أُوَارُها، فلا للإسلام نصَروا ولا للكُفر كسَرُوا؛ بل على العكس من ذلك كانوا سببًا في تنفير النَّاسِ من دين الله وتشويه صُورَته، وصاروا سُبَّةً ومَعرَّةً تُرمَى بهم الأمَّةُ بعد أن أثقلُوا كاهلَها بالجِرَاحاتِ والنَّكَبات. كفى اللهُ الأمَّةَ شرَّهم.؛ فعلى كلِّ وليٍّ تحته صغارٌ وشبابٌ في مرحلة المراهقة أن يرقُبَهم ويُراقب مواقعَ الأنترنت الَّتي يتردَّدون عليها وحساباتِهم الَّتي يتواصلون بها حتَّى لا يَسلُبَه منه هؤلاء اللُّصوصُ، فلا يفيقُ بابنه إلاَّ وهو أسيرٌ أو قتيلٌ أو مُنتَحِرٌ في إحدى هذه الدُّولِ الَّتي تَعُجُّ بالفتن.

وعليه؛ أردتُّ بهذه الكلمة أن أُوخِزَ الضَّمائرَ مرَّة أخرى. كما فعل الشيخ الإبراهيمي رحمه الله في زمانه. وأَلفتَ الانتباهَ إلى الخطر المُحدق بأبنائنا وفَلَذَات أكبادنا، لنأخُذَ الحَيْطَةَ الكاملةَ من لصوص العقول الَّذين أحاطوا بهم من كلِّ جانب، ولَبِسوا لَبُوسَ الصَّاحب النَّاصح، وهم ساعون لصَرفهم عمَّا هُيِّئوا له، وما نأمل أن نُوَرِّثَهم إيَّاه من التَّربية الحسنة والصَّلاح؛ وإنَّ من الغش وتضييع الأمانة أن يهمل الأولياءُ من استرعاهم اللهُ ويَدَعُوهم فريسةً لهؤلاء اللُّصوص لينقضُّوا عليهم ويَخطَفُوهم من بين أيديهم، ويصنعوا منهم نماذجَ ممسوخةً، وأشخاصًا بلا هويَّة، ويصرفوهم عن العلم ومعالي الأمور إلى عالم مملوء بالأوهام والخيالات والجهالات والسفالات، ويشغلوهم بسفاسف الأمور، ويُزَيِّنون لهم العقوق ويُهوِّنون عليهم الحقوق، فيسهل عليهم ارتكاب الرذائل ويصعب عليهم التحلي بالفضائل.

فجدير بنا أن نأخذ الأمرَ مأخذ الجدِّ وألا نتجاهله فنقعُدَ عن نجدة أبنائنا بحجَّة أنَّهم أطفالٌ وحقُّهم في اللَّعب والتَّرفيه ينبغي أن يُراعى، نعم هذا أمرٌ لا يُنكَر؛ لكن لا نُحبُّ أن يَرعَى لَعِبَهُم وترفيهَهم عقولٌ ليست كعقولنا، وقلوبٌ ليست كقلوبنا، وليس أحدٌ أعلمَ منَّا بما يصلُح لأبنائنا؛ واللهُ الهادي.





واحة الإصلاح

إعداد: أسرة التحرير

هدي القرآن

قال الشَّيخُ ابنُ باديس رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» عند قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: 23] مُبيِّنًا معنى الإحسان إلى الوالدَيْن وكيف يكون، ما نصُّه:

«وتقديرُ نظم الآية هكذا: وقضى ربُّكَ ألاَّ تَعبُدوا إلاَّ إيَّاه، وبأن تُحسنُوا للوالدَيْن إحساناً، فحذف (أن تُحسنُوا) لوجود ما يدلُّ عليه وهو (إحسانًا)، وفي تنكيره إفادةٌ للتَّعظيم، فهو إحسانٌ عظيمٌ في القول والفعل والحال، وتقول: أحسنتُ إليه وأحسنتُ به، وأحسنتُ به أبلَغُ لتضمُّن أحسنتُ معنى لطفتُ، ولما في الباء من معنى اللُّصوق، ولهذا عُدِّيَ في الآية بالباء ليفيدَ الأمرَ باللُّطف في الإحسان والمبالغة في تمام اتِّصاله بهما، فلا يَرَيَان ولا يَسْمَعَان ولا يَجِدَان من وَلدِهما إلاَّ إحسانًا، ولا يَشعُرَان في قُلوبهما منه إلاَّ بالإحسان».

[«مجالس التَّذكير» (1/ 193)]

من فتاوى أهل العلم

قال الشَّيخُ ابنُ عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «أمَّا قول بعض الأئمَّة (استقيموا) (عند الأمر بتسوية الصُّفوف) فإنَّ هذه لا أصلَ لها، ولم تَرِدْ عن النَّبيِّ ﷺ... ولا وجهَ لقول (استقيموا)؛ لأنَّه المراد بقوله: (استقيموا) يعني على دين الله، وليس هذا محلَّه؛ لأنَّ هذا محلُّ أمرِ النَّاس بإقامة الصُّفوف في الصَّلاة، فالمشروع أن يقول: «أقيموا صُفوفَكم»، «سَوُّوا صفوفَكُمْ»، وما أشبهَ ذلك».

[«مجموع الفتاوى» (16/ 357)]

استعِن بفهم العلماء

سأل رجلٌ أَسَدَ بنَ الفُرَات عن قوله ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»، وقال له: أخاف ألاَّ أكون كذلك، فقال له: أرأيتَ لو كان النَّبيُّ ﷺ بين أظهُرنا، فقُرِّبَ ليُقتَل، أكنتَ تفديه بنفسك؟ قال: نعم، وبأهلك وولدِك ومالك؟ قال: نعم، فقال: لا بأس، فقال له الرَّجلُ: فَرَّجْتَها عنِّي فَرَّجَ اللهُ عنك.

[«ترتيب المدارك» (1/ 506)]

الخير في لزوم السُّنَّة

قال سُحنون: «نذَرَ ابنُ وهب أن لا يصوم يوم عرفة أبدًا، وذلك أنَّه صام مرَّةً، فاشتدَّ عليه الحرُّ والعطَشُ في الموقِف، قال: فكان النَّاس ينتَظِرُون الرَّحمةَ وأنا أَنْتَظِرُ الإفطَارَ».

[«ترتيب المدارك» (1/ 464)]



بريد القراء

❁ بلَّغ لنا الأخ الودود عبد الكريم بن اطريو ـ حفظه الله ـ من مدينة المسيلة السَّلام ودعا للمشايخ الكرام بالخير، ونحن نقول له: جزاك الله خيرًا ورزقنا وإيَّاك حسن الخاتمة.

❁ ❁ ❁

❁ أرسل إلينا الأستاذ هشام سعد الدِّين ـ وفقه الله ـ من جامعة الجلفة موضوعًا يتعلَّق باللُّغة العربيَّة ـ لغة القرآن والإسلام ـ كاشفًا الهجمة الشَّرسة عليها وعلى أبنائها ومناصريها، وبيَّنَ أنَّها قديمةٌ ومُبيَّتَةٌ، وقد خطَّط لها الاستعمار الصَّليبي الفرنسي منذ وضع رجله في هذا البلد الطَّيِّب.

كما ردَّ على دعاة العامِّيَّة وأبرز نيَّاتِهم الخبيثة المُتمثِّلة في القضاء على العربيَّة وجعل اللُّغات الأخرى ـ كالفرنسية ـ مكانها.

فجزاه الله خير الجزاء، ونسأله تعالى أن ينصر دينه وأن يعلي كلمته.

❁ ❁ ❁



❁ أرسلت إلينا الأخت صونيا ـ وفقها الله ـ عن طريق البريد الإلكتروني خطابا عبرت فيه عن إعجابها بالمجلة التي وصفتها بالنافعة، وتقترح تناول موضوعات في الأخلاق والتعامل مع الأقرباء ومعاملة أهل البدع والمعاصي، وسنأخذ إن شاء الله بمقترحها مع أنه سبق التطرق إلى بعض هذه الموضوعات.

شكر الله للأختِ تواصُلَها واهتمامَها بما يُنشَر في مجلَّتنا.

❁ ❁ ❁

❁ وبعث إلينا الأخ المُكرَّم خويلد راشدي ـ سدده الله ـ من ورقلة بنظم أسماه: نظم الحسان في ذكر خير مشايخ دعوة الرَّحمن يشيد في أبياته بالدَّورة العلميَّة النَّاجحة الَّتي انعقدت في وهران هذه السَّنة (1436 هـ)، مُعبِّرًا عن فرحه بالمشايخ المشاركين فيها، وجلُّهم من كُتَّاب مجلَّة الإصلاح، ومما نظمه:

مشايخ الجـزائـر الـحبيـبه
قد ذاع صيتهم لدى الشبيبه
يلبون الندا مــن كـــل داع
محوا لـمـا جـهـل كـل راع

فنشكره على حسن ظنه بإخوانه ونتمنى له النجاح في مشواره العلمي، زاده الله حرصا وتوفيقا.

❁ ❁ ❁

❁ وأما الأخوان الفاضلان سمير برقرق وبلال رشدي ـ وفقه الله ـ من ولاية سطيف فقد بعثا برسالة يعبران فيها عن شكرهما وامتنانهما بما تُقَدِّمُ المجلة لقرائها من نفع وعلم وتوجيه، سائلين الله لطاقمها التوفيق والسداد وتمام المنة.

❁ ❁ ❁

❁ ولا ننسى شُكرَ الأخ المفضال يحيى بوكردوس ـ حفظه الله ـ الذي وجه رسالة إلى طاقم المجلة شاكرا لهم جهودهم وناصحا لهم بانتقاء النافع من المقالات والمراسلات التي تصلهم، وضَمَّنَ مراسلته التَّنبيهَ على مسألة من مسائل الصلاة وقع فيها الخلاف، وهي حكم وضع اليدين إحداهما على الأخرى بعد الرفع من الركوع، نسأل الله أن يزيدنا وإياه علما وتوفيقا وسدادا.